قبائل فيفاء ولهجتها



إعداد

عيسى بن سليمان الفيفي

١٤٤٠هـ

قبائل فيفاء
ولهجتها

إعداد

عيسى بن سليمان بن جابر الفيفي

عام ١٤٤٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

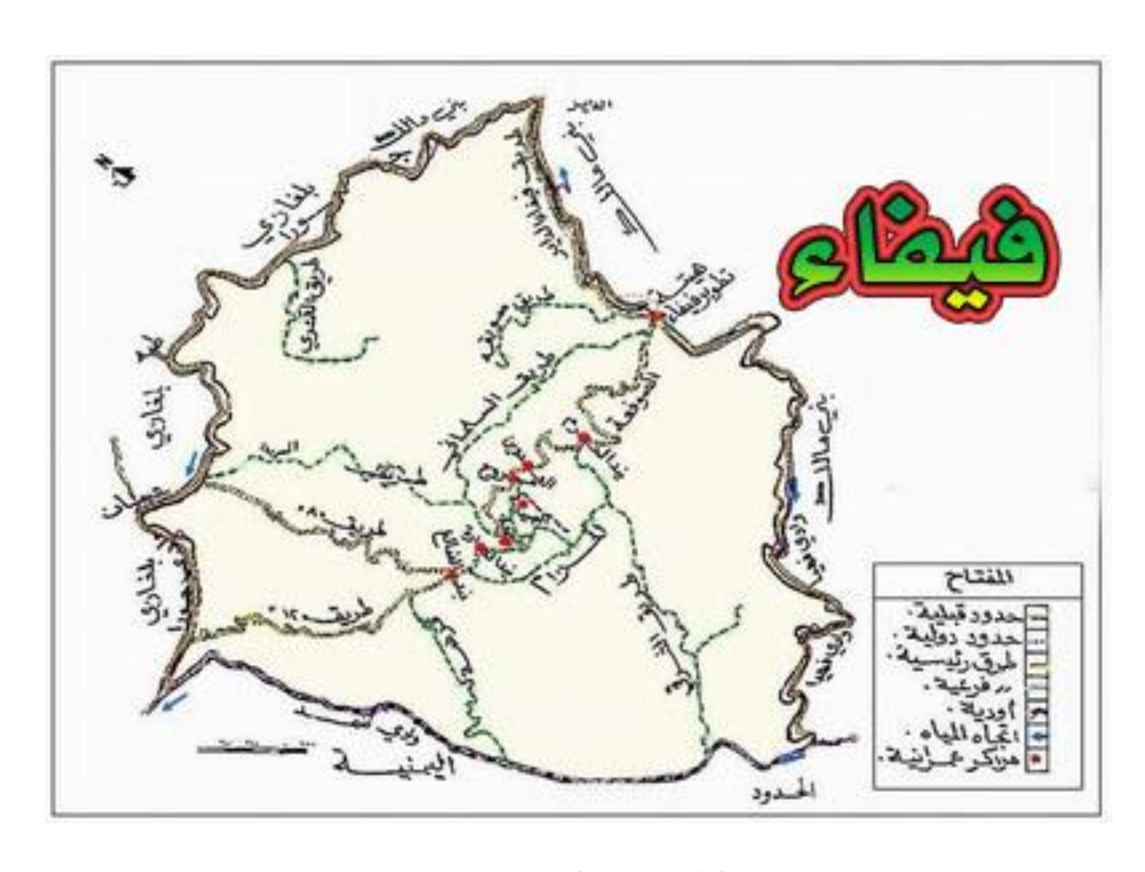
مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، ثم الصلاة والسلام على أفضل الخلق _ صلى الله عليه وسلم _ أمَّا بعد:

جمعت موضوعات وحلقات من أماكن متعددة تخص لهجة فيفاء وقبائلها وهي كما يلي:

- نبذة مختصرة عن تاريخ جبال فيفاء.
- رحلة بعنوان (قبائل فيفاء اليهنوية الخولانية) في كتاب: الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء لمؤلفه الشيخ حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي، رداً على بعض المعلومات التاريخية التي يرى أنه لا بد من الوقوف عندها في هذا الكتاب.
- لهجة قبائل فيفاء.
- ركام من المأزق والعثرات يستدعيها التعريف بـ "إم" رداً على الدكتور عبدالله بن أحمد الفيفي.
- "إم" التعريف من ابن جني إلى ابن مسعود!!
- رحلة لساني في لهجة فيفاء.
- حالات التعريف في لغة العرب، لسان قبائل فيفاء أنموذجاً.

- باحث يتوصل لقواعد اللهجة الفيفية بعد ٢٢ عاماً من الدراسات المتواصلة.
- لهجة حميرية تجاهل المؤرخون تدوينها، شفرة الفيافية لا يفكها إلاّ أهلها.
- كتاب نظرات في اللهجة الفيفية.



خريطة محافظة جبال فيفاء



للباحث

حسن بن جابر بن قاسم الحكمي الفيفي

جارة القمر فيفا[١]

فيفاء عبارة عن مجموعة من الجبال ملتفة حول بعضها، تبدو من بُعد على شكل جبل واحد هرمي الشكل، مما أجاز لها التسمية الثنائية المعروفة، جبال فيفا أو جبل فيفاء.

تقع فيفاء جنوب غربي المملكة العربية السعودية في منطقة جازان حالياً وبالتحديد في الشمال الشرقي لمدينة جازان، حيث تتوسط سلسلة المنطقة الجبلية التي تمتد من الشمال إلى الجنوب بين دائرتي عرض (١٧,١٢ – ١٧,٢٠) شمالاً، وبين خطي طـول (٤٣,٢ –٤٣,١٢) شرقاً، وأما المساحة فتقدر تقريبًا بحوالي ٢٥٥كم مربع.

وتتكون فيفا من مجموعة من القمم البارزة كقمة العبسية والكدرة واللعثة. حيث يقدر ارتفاع جبل فيفا الشامخ عن سطح البحر بحوالي ٧٠٠٠ قدم وذلك في أعلى قمة من الجبل، وهي قمة العبسية التي لا ترتفع كثيراً عن أختيها قمة الكدرة واللعثة. ويفصل بين هذه القمم مجموعة كبيرة من الشعاب والأودية الصغيرة التي تزداد اتساعاً كلما اتجهت إلى أسفل، وتصب جميعها في ثلاثة أودية رئيسة

---

(١)ـ هذا المختصر زودني به الأستاذ الفاضل (أبو سامر) حسن بن جابر بن قاسم الحكمي الفيفي . . صاحب الموسوعة الميساء لجارة القمر فيفاء . . وفقه الله وشكر الله سعيه.

بحيث تصب في وادي ضمد من الناحية الشرقية الجنوبية والجنوبية الغربية، وتصب في وادي جورا من الناحية الشمالية الغربية، وتصب في وادي ظهياء الجوة من الناحية الشمالية والشرقية.

قبائل جبل فيفا

يسكن هذه الجبال حالياً ١٨ قبيلة. ولكل قبيلة جبل خاص بها يعرف باسمها وقد تشترك قبيلتين أو أكثر في جبل واحد.

وتنقسم قبائل فيفا إلى ثلاثة أقسام قسمان منهم:

هما: القبائل التابعة لعبيد بن أحمد وهم تسع قبائل. آل المغامر والبيتين.

والقسم الثاني قبائل عطا بن أحمد وهم ست قبائل بنو حجر وآل الصلت.

والقسم الثالث: قبيلة آل شراحيل. وبعض القبائل الأخرى كقبيلة الأشراف العدنانية.

الموقع والحدود

تقع جبال فيفاء في جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وتبعد عن جازان بمسافة تقدر بـ (١٢٥كم).

ويحدها: شمالاً وادي جورا، ومن الجنوب مجرى وادي ضمد وجزء من وادي جورا، ومن الشرق يحدها وادي ضمد ووادي ضهياء، ومن الغرب يحدها وادي جورا، فهي كما نلاحظ منطقة تحيط بها الأودية من جميع الجهات.

ويصرف مياه جبال فيفاء واديان رئيسان هما وادي جورا ووادي ضمد، يصرف الأول مياه السفوح الشمالية والغربية للجبل، أما الثاني فيصرف مياه سفوحها الشرقية والجنوبية.

وتعد هذه الأودية من أخطر الأودية في المنطقة خاصة في مواسم الفيضان لكثرة حمولتها وشدة انحدارها.

أما القبائل الحدودية مع فيفاء فيحدها:

غرباً وشمالاً: قبائل بلغازي.

وجنوباً: قبيلة بني حريص الحميراء.

وشرقاً: قبائل بني مالك.

المناخ

على الرغم من وقوع جبال فيفا ضمن إقليم مناخي قاري حار رطب صيفاً ومعتدل نسبياً شتاءً، كما أن للمنطقة عموماً موقعاً متميزاً وطبوغرافية مختلفة.

إلا أن هذه الجبال تتميز بمناخ فريد خاص بها أملته الطبيعية الجبلية الخضراء والارتفاع الشاهق، لذا فإن المناخ في جبال فيفا معتدل تقريباً طوال العام إلى أنه يميل في الشتاء إلى البرودة في أعالي الجبال، وإلى الحرارة صيفاً في سفوح تلك الجبال.

وتكثر الأمطار في فصل الصيف أكثر من أي فصل آخر من فصول السنة حيث تهطل الكمية العظمى من الأمطار على جبل فيفا بسبب تعامد الرياح الموسمية الجنوبية الغربية على التلال الجبلية.

وتكون الأمطار عادة مصحوبة بالعواصف الرعدية المخيفة، وتتراوح درجة الحرارة في هذه الجبال صيفاً ما بين (١٦) و (٢٨) وإن كانت في بعض الأحيان ونظراً لتقلب الأجواء قد تصل إلى ٣٥ درجة تقريباً وشتاء ما بين (٣) و (٢٥) درجة مئوية. وبهذا يكون الجو معتدلاً طيباً في فصل الصيف، وأقرب إلى البرودة في فصل الشتاء.

وجبال فيفا والمنطقة عموماً تعتبر من أكثر مناطق المملكة حظاً في كمية الأمطار والسيول، حيث يتراوح معدل سقوط الأمطار ما بين ٤٠٠ إلى ٦٠٠ ملم في السنة. وإن كان هناك بعض التذبذب الواضح وعدم ثبات حقيقي لهذه النسبة.

ولذلك تتميز جبال فيفاء بمناخ فريد خاص بها. أملته الطبيعة الجبلية الخضراء والارتفاع الشاهق وكذلك تمتاز جبال فيفا عن الجبال المحيطة بها بكونها أخصبها وأكثرها قابلية لأصناف المزروعات وأنها أجملها منظرا وأنضرها بهاء وأنقاها وألطفها هواء وأحسنها مناخاً مكسوة بثوب سندسي من الأشجار الضخمة الباسقة والمتعددة الأشكال والألوان إضافة إلى الأزهار الجميلة والشجيرات العطرية المختلفة الألوان والأشكال والأعشاب المتنوعة التي تغطي كل شبر من تلك الجبال. فلا تقع عيناك في تلك الجبال إلا على منظر جميل خلاب، فسبحان من خلق فأجاد وكذلك يكثر الضباب في فصل الصيف مما يضفي على جمال تلك الطبيعة جمالاً آخر.

وحقاً فإن فيفا جبل شامخ يقف في شموخ وكبرياء الجمال.

ولذلك توصف جبال فيفاء المرتفعة ذات الأطواد الشامخة بأنها معشوقة الضباب لهوائها الطلق ونسيمها العليل ومناظرها الخلابة وخضرتها الدائمة ونباتاتها العطرية المكسوة بأصناف الورد والزهور ومروجها الخضراء وغاباتها الغناء ومدرجاتها البديعة ومبانيها الفريدة وقممها الناطحة للسحاب المليئة بالغيوم التي ليس لها نظير، والتي سلبت عقول الشعراء، فتنافسوا في وصف معشوقتهم، وفتنت الأدباء، فتنافسوا في وصفها، وبهرت الفنان، فأبدعت ريشته في تخليدها. فنعتوها الأدباء والكتاب بالفردوس المجهول – لبنان تهامة – جوهرة الجنوب – جارة القمر – نجمة الجنوب – فردوس الجنوب – معشوقة السحاب – معشوقة الضباب وبحق فهي كما وصفت.

ويعد مناخ فيفاء بجميع عناصره عاملاً مؤثراً في ساكن الجبل: في نفسه وفي حرفته، بل وحتى في مسكنه. ومناخ جبال فيفاء عموماً يمتاز بالاعتدال على مدار العام، فلا صيفها قيظ يؤذي ولا شتاؤها قارس يمُرِض.

فهي بحق مصيفاً من أبدع مصائف الجزيرة العربية وأروعها وأجملها، لو توفرت لها مقومات السياحة.

المعمار في فيفا

إن مما يلفت النظر في فيفاء، هو طريقة بناء بيوتها، والتي أضافت إليها جمالاً رائعاً، إضافة إلى جمال الطبيعة التي تتميز به، فبيوتها الأثرية فريدة من نوعها، ومبنية بطريقة ليس لها شبيه في الجزيرة العربية، بل ربما في العالم أجمع. اللهم إلا من الجبال المجاورة والقريبة من فيفاء كجبال بني مالك وحريص جبال الحشر وبعض من جبال بلاد بلغازي المجاورة كجبلي صماد ومصيدة.

ولذلك فإن تلك المعالم الأثرية الرائعة تشكل لوحة فنية رائعة تستوقف المشاهد، وتلفت نظره، وتثير إعجابه من أول لحظة تطأ فيها قدماه جبال فيفا.

وربما يعود السبب في ذلك إلى عزلة أهالي جبال فيفاء عزلة شبه تامة عن العالم المحيط بها، إضافة إلى الظروف الأمنية والاقتصادية التي كان لها دور بارز في الفن المعماري. لذا فقد جاءت طريقة بناء بيوتهم على أنماط اسطوانية الشكل أكثر من مربعة الشكل بكثير، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على ذوق جميل وفن رائع ونبوغ هندسي لم تترجمه المدارس.

وإذا قُدِّر لك أن تزور هذه الجبال فستندهش عندما ترى هذه البيوت، وكيفية طريقة بنائها وصلابتها، ومحافظتها على شكلها، رغم أن بناءها لم يدخل فيه إلا مواد البناء التراثية كالطين والحجر والأخشاب.

المجال الزراعي:

يعتبر النشاط الرعوي والزراعي من أهم الأنشطة في بلاد فيفاء، حيث تتوفر التربة الخصبة، وموارد المياه كالأمطار في الجبال والأودية السهول، والتي تسمح بقيام نشاط زراعي جيد، وتتوزع الزراعة على شكل مدرجات في الجبال، إضافة إلى الزراعة التي تنتشر حول الأودية.

وتعتبر فيفا منطقة زراعية وَجُلَّ سكانها قديماً كانوا يعملون بالزراعة وتربية الماشية ورعيها. وبالرغم من اعتمادهم على الأدوات التقليدية وانحصار زراعتهم في الغالب على مدرجات زراعية صغيرة. إلاّ أنهم نجحوا في زراعة ما يشاءون من المحاصيل التي تفي بمتطلباتهم. ولكن للأسف الشديد فإن الجيل الحاضر قد بدأ يهمل في المحافظة عليها مما ينذر بخرابها والقضاء عليها لا قدر الله.

لهجة فيفاء

لقبائل فيفاء لهجة خاصة يعرفون بها تختلف عن باقي لهجات العرب لكنها لا تختلف كثيرا عن لهجات القبائل المجاورة لها...العديد من الكلمات الخاصة بلهجتنا قد تبدو غريبة. الغريب في الأمر أن الكثير من مفردات هذه اللهجة هي لغة عربية فصحى. فلو عدنا لمعاجم اللغة لوجدنا عدد لا يستهان به من تلك المفردات الفصيحة. ولذلك فإن أهالي فيفا لا زالوا محافظين على تلك المفردات والتي أصبحت بالنسبة للآخرين من خارج فيفا كلمات غريبة لا تفهم نتيجة لتفشي العامية واللحن بينهم. وهناك الآن العديد من الأبحاث التي تتطرق لهذه اللهجة بالتفصيل المفيد. وفيها ما يغني طالب المعرفة.

فما أحرانا أن نحافظ على لهجتنا المميزة كما حافظ عليها أجدادنا من قبل.

لأن هذه الثروة اللغوية ستصبح بعد مدة قليلة في حكم الضياع خاصة وان معظم أبناء فيفاء من الجيل الصاعد قد بدأوا يفقدون بعض المفردات بل إن بعضها لا يفقهونها نتيجة المعيشة والتربية خارج تلك الجبال.

اللباس في فيفا

إن لأهالي جبال فيفا لباساً غريباً عن سكان الجزيرة العربية، ولكن لا يختلف هذا اللباس عن لباس أهالي الجبال والمناطق المجاورة لها، ولا يختلف أيضاً عن لباس تهامة منطقة عسير وتهامة قحطان.

والذي يتكون من:

المصنف: وهو إزار غالباً ما يكون أبيض في أطرافه خطوط ملونة، وهو يستر ما فوق السرة إلى نصف الساق تقريباً.

ويلبس فوق هذا المصنف: المسبت (المقصب): وهو حزام مصنوع من الجلد يتمنطق به الرجل، ويثبته حول الخصر معتداً بجمال شكله وهيبته، ويثبت فيه أسلحته المكونة من الجنبية أو الجوفية (الخنجر)، ويستخدم أيضاً لحمل الرصاص.

إضافة إلى حمل بعضهم للبنادق والأسلحة البيضاء بصورة شبه دائمة، وهذه الأسلحة دائماً لا تفارقه أينما كان، وتعد من لوازم الرجولة.

أما اللباس المغطي للصدر: فهو يتكون من (القميص)، ويسمى هناك (بالشميز) والبعض يضيفوا على ذلك اللباس لبس (الكوت) أيضاً.

كذلك لبس الْمِعْدَلْ: وهو عبارة عن لحاف مميز لا يلبسه إلا الأعيان تقريباً كما هي موضة البشت الآن، ولكن هذا المعدل يكون على الكتف مثنياً بعضه على بعض، وكذلك فهناك من أنواع الإزار المبرد والفقيهية والحطيم وغيره من الملابس ذات الألوان الزاهية.

التراث الشعبي

تحوي فيفاء تراثاً شعبياً كبيراً قلّ أنْ يوجد مثله خاصة في منطقة صغيرة كفيفاء. فعلى سبيل المثال فإن في فيفا آلاف من الأمثال الشعبية والأساطير والحكم والشعر والأحاجي. وكذلك العديد من الألعاب الشعبية، وهناك بعض الأدوات التراثية التي لم تعد مستخدمة نتيجة للمدنية والتحضر ووجود البدائل الراقية عنها.

فيفاء عبر التاريخ

لم تلق فيفاء الاهتمام من المؤرخين والجغرافيين القدامى، حيث يعود السبب في ذلك إلى عزلتها قديماً عن العالم المحيط بها واستقلاليتها التامة. وكلنا يعلم ما لهذه المنطقة الجبلية من خصائص منها:

صعوبة التضاريس في جبال فيفا، والتي نتج عنها صعوبة الذهاب منها وإليها. مما أدى بهم إلى أنه لم يكن لهم أي مشاركة في المعارك والأحداث السياسية، والعناية التاريخية مقصورة في الغالب على التقلبات والحوادث السياسية. وعلى ما يبدو أن موقعهم الجغرافي ذلك، جعل اتصالاتهم محدودة أيضا. وربما أدى ذلك إلى إحجام بعض المؤرخين الذين أرخوا للمناطق المجاورة لجبال فيفاء.

إذن فالمجتمع الفيفي قد آثر حياة الاستقرار وبشكل نسبي. فأدى ذلك وبلا شك إلى تعاملهم مع الزراعة ورعي الماشية بشكل أمن لهم ما يقيم أودهم. فأعطاهم ذلك اكتفاء ذاتيا فأراحوا أنفسهم من عناء السياسية وتقلبات الأحداث. وبما أن جبال فيفا كانت في غالبية فتراتها التاريخية مستقلة استقلالاً تاماً اللهم إلا ما حدث لهم في بعض الغزوات الطامعة في خيرات ذلك الجبل وخيراتهم. فقد كان الحكم الفعلي والمباشر في جبال فيفاء بيد مشايخ قبائلها قبل دخولها تحت الحكم السعودي.

وأخيراَ نقول أننا قد حاولنا الاختصار في هذه اللمحة الموجزة قدر الإمكان نظراً لضيق الوقت وإلا فالأمر يطول ويطول.

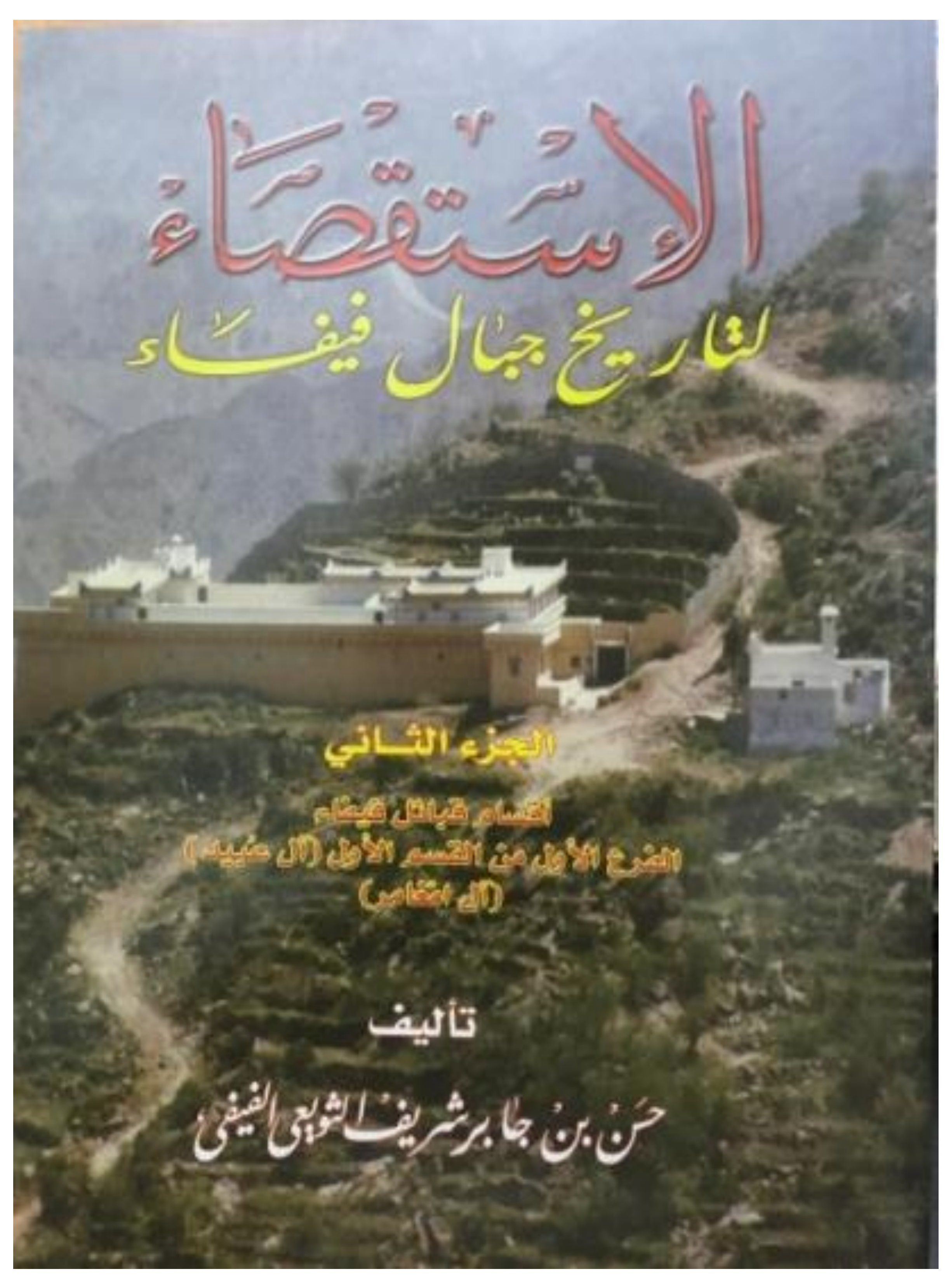


للأديب محمد بن مسعود العبدلي الفيفي

(حلقات منشورة حول الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء)

السبت 26 مايو 2012م





(كتاب الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء)



صورة الشيخ حسن بن جابر بن شريف الثوثعي الفيفي

مؤلف كتاب الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء



صورة الأديب محمد بن مسعود بن يحيى العبدلي الفيفي



إيقاعات سحابة عابرة

.. لهواة التذحيج : - هل سبق أن ذَحَّجَ بك من قبل؟ - نحن على استعداد تام للتذحيج بك وفق إمكانيات هائلة

الرئيسية فهرس المواضيع راسلنا

السبت 12 ديسمبر 2020 - الساعة الآن 02:51:30 مساء

قبائل فيفا اليهنوية الخولانية 1

حلقات نشرت تحت عنوان : رحلة في كتاب (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء)لمؤلفه الأستاذ حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي .كتبه
محمد بن مسعود الفيفي

1في طبعته الأولى وصلني كتاب :
(الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء) ، لمؤلفه الشيخ حسن بن جابر الثويعي ، وجاءت مادته في (1624) صفحة من القطع المتوسط مقاس 17×24 ، واستهلكت خمسة أجزاء ، ذات طباعة فاخرة من لونين الأسود والأحمر ترتدي غلافا أنيقا ازدان بصورة ملونة لمنزل المؤلف في الهضمة من جبل آل الثويع ، حشد فيه واستقصى وأبان عن جهد جبار وعزيمة لا تقهر وهمة لا تلين ، إلا أن عمل البشر يظل قاصرا والكمال لله ، وقد صدّره بالإهداء كما درج كثيرون من أصحاب التواليف فأهداه أولا إلى قبيلة مذحج ، وهي لعمري قبيلة عربية ذات مجد تليد وتاريخ حافل بالرجالات والذكر والحسن ، وله مطلق الحرية أن يهديه لقبيلة الأزد ، أو لقيس عيلان، أو لبكر، أو لتغلب ، فذلك كله لن يعترض عليه معترض ، ثم شفع إلى قبيلة مذحج آخرون ، فقال :
(إلى أولئك الذين يتطلعون إلى دراسات تاريخية جادة تنفض عن كاهل تاريخ جنوب سراة جنب (فيفاء) غبار الزمن) ج1ص5. وهكذا يفاجئك بعبارة (جنوب سراة جنب فيفاء) دون أخذ القارئ بالتدرج كي يستوعب العلاقة بين سراة جَنْب وفيفا، ولم يفرد فصلا جغرافيا عن سراة جنب ، ويتتبع أوهام الحسن بن أحمد الهمداني في الصفة وكل من تابعه إن كان واهما أو مخطئا ، لكنه أدرك أي صاحب الاستقصاء أن في ذلك هدم كبير لعبارته :
(جنوب سراة جنب فيفا) انظر الهمداني ماذا يقول :
(ثم وادي بيش ومأتيه من قيوان وبلد بني عامر من الغور ودفا من شمالي بلد خولان وجنوبي بلد جنب.) صفة 73 . لحظة .. لحظة !
.. هل سمعتم الهمداني قال (دفا) ؟ إذن فـ (دفا) عند الهمداني تقع شمال خولان وجنوب جَنْبْ .. وعلى هذا ؛ لكي تصبح فيفا ضمن (سراة جنب) على حافتها الجنوبية بحسب الاستقصاء ورقعة الشطرنج هذه؛ يلزمنا تحريك وادي دفا جنوبا حوالي 70 ميلا ، إن كان أقل مشقة من تحريك جبل فيفا شمالا بنفس المسافة لثقل وزنه وبذلك ينضبط النص ويتوافق جغرافيا مع تقريرات الاستقصاء .
وقال المؤلف :
(ومما يترجح عندي أن سكان جبل فيفاء في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام هم من الفروع المذحجية ولعله كان منهم الفروع الآتية :

الصفحات الرئيسية
البوم الصور...
الفهرس
إيقاعات المبدعين.
إيقاعات ساخرة
إيقاعات سحابة اسماء
إيقاعات سحابة البحوث
إيقاعات سحابة الرواية
إيقاعات سحابة الشعر
إيقاعات سحابة القصة
إيقاعات سحابة اللقاءات
إيقاعات سحابة المقالة
إيقاعات سحابة النقاش
إيقاعات سحابة النقد
إيقاعات سحابة رسائل
سحابة المذكرات
من أنا؟

تعليقات الزوار
أسعد دوما بمتبعتك اديبتنا القديرة ..
الله الله ..دام حرفك مميزا
رائعة هي حروفك أ.محمد .. رائع هو الوجع الذي يخرج ج...
الله الله كم انت جميل
أولا : تشرفت بحضورك الأنيق سعادة الدكتور محمود.. ث...

أرشيف المدونة

سجّل ليصلك جديدنا
ادخل بريدك الإلكتروني:
سجل

جديد مكتبة خالدية
سلسلة عالم المعرفة من سنة 1978 إلى سنة 2018
مؤلفات العلامة محمد الغزالي
مؤلفات عباس محمود العقاد
سلسلة كتاب الامة
عزيز نيسين.. الأعمال المترجمة شبه الكاملة

الصفحات
الصفحة الرئيسية

بحث هذه المدونة الإلكترونية
البحث

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا، وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ

المتابعون
المتابعون (19)
متابعة

زوارنا من كل مكان

chat FX online casino Internet casino Hit Counters

صورة للحلقة الأولى من المدونة



إيقاعات سحابة عابرة

هائلة سُخرت من أجل عملائنا الكرام، فقط اتصل على هواتفنا المبينة في هذا الإعلان واستمتع بتذحيجة ال

الرئيسية فهرس المواضيع راسلنا

السبت 12 ديسمبر 2020 - الساعة الآن 03:02:12 مساءً

قبائل فيفا اليهنوية الخولانية 11

11

ما بعد الرحلة

دائما قيل : "كفى المرء نبلا أن تعد معايبه"، وقد التزمت دوما تجاوز المحاسن التي هي أصل في العلم إلى الخلل الذي لا يمكن التغاضي عنه وهو الطارئ على العلم، والأجدر بالناقد أن يشير لمواطن الضعف أولا ثم يتجاوزها إلى مواطن القوة والجمال، وهذا المنهج لستُ فيه بدء وقد درج عليه الكثيرون من أرباب النقد .. وإذا كان من السهل حصر العيوب في بحث "الاستقصاء" فإنه من العسير استعراض محاسنه في مساحات لن تكون ضيقة مع ضعف الهمة وتضعضع العزيمة وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن باب الأمانة والإخلاص أدعو المؤلف إلى إعادة تنقيح بحثه وفق منهجية واستراتيجية علمية أكثر رصانة، وليس بالضرورة أبدا أن يكون وفقا لما قلت فلا أدعو لنفسي وأفكاري أبدا وإنما وفق المنهجية الخاصة بدراسة التاريخ والأنساب، وتلك أمنية كل محب حتى يخرج البحث بشكل أروع وأعمق بما يخلص إليه من نتائج، وسيسعد المنصفون بكل تعديل منهجي علمي حتى ولو كان مخالفا لرؤيتي مائة وثمانون درجة ذلك لا يهم، بل المنهجية وحدها هي الفيصل .. ومن أساسياتها تخلص الباحث من الأهواء والنزعات والميول العاطفية كي لا تؤثر سلبا على نتائج بحثه فيخرج للناس ذرائع تذهب لدعم رغباته وميوله ، ومعه تنكب سبل البحث من المناهج العلمية والحرص الشديد، والحياد التام، فلا يوجد عمل بشري كامل، ذلك محال، ولا ندعي أن كتابا بشريا أو بحثا يخلو من عيب أو نقص، حتى عمل الناقد ومنها هذه الحلقات التي قرأت فيها "الاستقصاء" فلا أعدها في القول الفصل، ولا تخلو من العيوب والنقص ويبقى الكمال لله، وكل ما نقوله ونكتبه عرضة للنقد والتعديل والتصحيح إلى ما شاء الله

.

وكنت فيما مضى من حلقات أعرض ما رأيته جانب الصواب، ولم أداهن أو أمالئ الصديق الكريم والأخ الفاضل على حساب العلم والمعرفة والمنهجية والضبط والتحقيق، فسميت الأشياء بأسمائها، سالكا في ذلك منهج نقد الرواية والرواة عند أهل الجرح والتعديل وجعلتها أداة لا أتجاوزها أو أعدوها إلى غيرها ما استطعت وذلك هو البغي والظلم والحيف، فتجردت للنهوض بهذه المهمة ما وسعني التجرد والحياد، حفاظا على العدالة وصونا لها من أن يقتحمها من لا يحسن مقاربتها، قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) آية (58) النساء . ومحاولة مني لتدارك الضعف فقد اجتهدت في المذاكرة، وراجعت منطلقات أحكامي، وعدلتُ مقالاتي مرات عدة بعد تسليمها للصحيفة الناشرة وأزعجت رؤساء التحرير في كل من الشقيقتين فيفاء أون لاين وفيفاء نيوز ، حتى فاض بهم الكيل واكتفت فيفاء أون لاين بنشر النسخة ما قبل التعديل الأخير من الحلقة السادسة ونشرت فيفاء نيوز النسخة الأصلية

ولهذا جاءت مختلفة، كل ذلك من أجل أن تكون الأقرب للصواب..

الصفحات الرئيسية: البوم الصور... | الفهرس | إيقاعات المبدعين | إيقاعات ساخرة | إيقاعات سحابة اسماء | إيقاعات سحابة البحوث | إيقاعات سحابة الرواية | إيقاعات سحابة الشعر | إيقاعات سحابة القصة | إيقاعات سحابة اللقاءات | إيقاعات سحابة المقالة | إيقاعات سحابة النقاش | إيقاعات سحابة النقد | إيقاعات سحابة رسائل | سحابة المذكرات | من أنا؟

تعليقات الزوار: أسعد دوما بمتبعتك أديبتنا القديرة .. | الله الله ..دام حرفك مميزا | رائعة هي حروفك أ.محمد .. رائع هو الوجع الذي يخرج ج... | الله الله كم انت جميل | أولا : تشرفت بحضورك الأنيق سعادة الدكتور محمود.. ث...

أرشيف المدونة

سجّل ليصلك جديدنا — ادخل بريدك الإلكتروني: — سجّل

جديد مكتبة خالدية: سلسلة عالم المعرفة من سنة 1978 إلى سنة 2018 | مؤلفات العلامة محمد الغزالي | مؤلفات عباس محمود العقاد | سلسلة كتاب الأمة | عزيز نيسين.. الأعمال المترجمة شبه الكاملة

الصفحات: الصفحة الرئيسية

بحث هذه المدونة الإلكترونية — البحث

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ

المتابعون — المتابعون (19) — متابعة

زوارنا من كل مكان

chat FX online casino Internet casino Hit Counters

صورة للحلقة الأخيرة من المدونة بعنوان (ما بعد الرحلة)!!

(١)

في طبعته الأولى وصلني كتاب: (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء) لمؤلفه الشيخ حسن بن جابر الثويعي الفيفي، وجاءت مادته في (١٦٢٤) صفحة من القطع المتوسط مقاس ١٧ × ٢٤، واستهلكت خمسة أجزاء، ذات طباعة فاخرة من لونين الأسود والأحمر ترتدي غلافاً أنيقاً ازدان بصورة ملونة لمنزل المؤلف في الهضمة من جبل آل الثويع بفيفاء، حشَد فيه واستقصى وأبان عن جهد جبار وعزيمة لا تقهر وهمة لا تلين، إلا أن عمل البشر يظل قاصراً والكمال لله، وقد صدّره بالإهداء كما درج كثيرون من أصحاب التواليف فأهداه أولاً إلى قبيلة مذحج، وهي لَعمري قبيلة عربية ذات مجد تليد وتاريخ حافل بالرجالات والذكر والحسن، وله مطلق الحرية أن يهديه لقبيلة الأزد، أو لقيس عيلان، أو لبكر، أو لتغلب، فذلك كله لن يعترض عليه معترض، ثم شفع إلى قبيلة مذحج آخرون، فقال: (إلى أولئك الذين يتطلعون إلى دراسات تاريخية جادة تنفض عن كاهل تاريخ جنوب سراة جنب "فيفاء" غبار الزمن). ج١ص٥.

وهكذا يُفاجئك بعبارة (جنوب سراة جنب فيفاء) دون أخذ القارئ بالتدرج كي يستوعب العلاقة بين سراة جَنْب وفيفا، ولم يفرد فصلاً جغرافياً عن سراة جنب، ويتتبع أوهام الحسن بن أحمد الهمداني في الصفة وكل من تابعه إن كان واهماً أو مخطئاً، لكنه أدرك أي صاحب الاستقصاء أن في ذلك هدم كبير لعبارته:

(جنوب سراة جنب فيفا) انظر الهمداني. ماذا يقول: (ثم وادي بيش ومآتيه من قيوان وبلد بني عامر من الغور ودفا من شمالي بلد خولان وجنوبي بلد جنب). ص ٧٣

لحظة .. لحظة ! .. هل سمعتم الهمداني قال (دفا)؟ إذن فـ (دفا) عند الهمداني تقع شمال خولان وجنوب جَنَبْ .. وعلى هذا؛ لكي تصبح فيفا ضمن (سراة جنب) على حافتها الجنوبية بحسب الاستقصاء ورقعة الشطرنج هذه؛ يلزمنا تحريك وادي دفا جنوباً حوالي ٧٠ ميلا، إن كان أقل مشقة من تحريك جبل فيفا شمالاً بنفس المسافة لثقل وزنه وبذلك ينضبط النص ويتوافق جغرافياً مع تقريرات الاستقصاء.

وقال المؤلف: (ومما يترجح عندي أن سكان جبل فيفاء في العصر الجاهلي حتى ظهور الإسلام هم من الفروع المذحجية ولعله كان منهم الفروع الآتية: (قبيلة رهاء)، (قبيلة بني هلال)، (عبس مراد)، (بطون من أبناء شكر)، (بطون من آل سلمان)، (بطون من أبناء عمر بن عوثبان)، (بطون من أبناء صداء)، (بطون من أبناء منبه)، (بطون من أبناء سعد العشيرة). ص١٩٥ إلى ص٢٠٤ بتصرف.

قلتُ: هذه فنتازيا ولا بأس بها قليلاً، وتلك بطون مذحجية إلى أن يَثْبُتَ تاريخياً وجغرافياً أن جبل فيفا كان يعيش ذات يوم جنوب سراة جنب، وانتقل في ظروف غامضة إلى الجنوب ليطل على البحر الأحمر! .. لقد كنت أعتقد أن الهجرة

والارتحال من خصائص الإنسان وليس للجبال الراسيات، إنما للتاريخ عجائبه وغرائبه الجغرافية التي لا تنقضي من الاختزال والتحريك والطّمر وإيجاد المعدوم، وتغييب الموجود، حتى يصبح مادة متقبلة يسهل هضمها ليس عند نقاده بل لدى دهماء العامة، وليعذرني القارئ الكريم حين أعرج على هذا المنطق الخيالي، لا لأن أحداً من الأجيال سيتقبله، وقد قدم له بالقول: (يترجح لدي والله أعلم) و(أظن والله أعلم) و(أعتقد والعلم عند الله) و(لعله) و(ربما كان)، والمؤلف بهذه العبارات الدالة على الرجم بالغيب، والظن، يدرك أن تقريراته من قبيل القصص والحكايات والأساطير التي لا تلزم صاحبها أن يكون منطقه في الصدق والحقيقة، ومن سَهُل عليه نقل جبل فيفا – على ضخامته – إلى جنوب سراة جنب، فلن يعجز عن نقل تل صغير هو (حَمُومَة) من (جُرَش) بأحد رفيدة؛ ينقله بخفة متناهية إلى ضفة وادي ضمد وانظر إليه حين يقول: (يوجد قليل من النقوش القديمة من الخط المسند على صخرة في سفح جبل فيفاء على ضفة وادي ضمد جنوبي حول أسفل مفتح وداي (ظالم) بالجهة الجنوبية الغربية لفيفاء إلا أن هذه النقوش لا تحمل أي أهمية لأنه لم يعد يتضح منها سوى كلمات بسيطة تدل على أسماء منها: (حياة بنت منبه)، (صعب)، (ذرحان)، وقد عبثت أيدي الرعاة وغيرهم من الذين يرتادون هذا المكان من هذا الوادي بكثير من هذه النقوش على تلك الصخرة).

وفي الهامش يقول: (قمت برحلة على هذا الموقع أثناء جولاتي الميدانية ١٤١٨هـ و١٤٢٧هـ). ص٢٣٧.

قلتُ:

أولاً: هذه الخربشات التي نشرها المؤلف بخط المسند على ثلاثة أسطر، لا وجود لها على ضفة وادي ضمد، وإنما كُتِبَتْ على صخور متفرقة في رأس تلّ (حَمُومَة) على ضفاف مدينة جُرَش المندثرة بأحد رفيدة من خميس مشيط.

ثانياً: فيما يخص النص الأول (السطر الأول) أخطأ في نقله أسلوبياً وإملائياً، فهذا النص كتب بالطريقة المحراثية من اليمين لليسار ثم العكس أما المؤلف فقد جعل النص سطراً واحداً بخط المسند هكذا: (ح، ي، ا، ت، ب، ن، ت، م، ن، ب، هـ)، بزيادة حرف العلة ألف، وهذا النص أصله من ثلاثة أسطر تحت رسم غائر في صخرة يمثل صورة أنثى، والنص على هذا النحو:

١ـ ح، ي، ت، ب،٢ـ ن، ت،٣ـ ه، ب، ن، مو هكذا لا وجود لحرف العلة كما ترون.

ثالثاً: السطرين التالي بحسب ما جاء في الاستقصاء: (ص، ع، ب) فلا ينتمي إلى المكان الذي يوجد به النقش الأول وإنما من صخرة مجاورة إلى الأسفل غرب.

رابعاً: السطر الثالث، أورده هكذا: (ذ، ر، ح، ا، ن)، فأخطأ في نقله وزاد حرف علة وإلا فهو (ذ، ر، ح، ن) بدون ألف.

خامساً: النقوش والخربشات الخاصة بتل (حَمُومَة) ومن ضمنها النص الوارد في السطر الأول (حياة بنت منبه) سبق أن نُشِرَ عنها دراسة أثرية متخصصة في مجلة (بيادر) الصادرة عن نادي أبها الأدبي أواخر الثمانينات الميلادية من القرن الماضي.

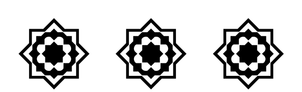
سادساً: هيئة الآثار والمتاحف بمنطقة جازان ستعتبر ما نشره المؤلف من النقوش كشفاً أثرياً يستحق العناية والاهتمام، وأتمنى ألاّ يكون مشابهاً لنقوش الرفاعي في جبل العبادل التي عجز تماماً أن يهتدي إليها حينما خاطبته هيئة الآثار رسمياً بعد مقالتي في الجزيرة، طبعاً لن يخيب الأمل فالكاتب هنا ذكر في الهامش أنه زار النقش لمرتين متتاليتين وحدد موضعه فما رأيُ القارئ إن لم يعثر عليه في ضمد؟ هذا ما أؤكده لكم سلفاً، وإنما نَقَلَ جُرش إلى ضمَد كما نَقَلَ فَيْفا إلى شمال وادي دفا.

أما منهجه فغير مضطرد، وتأمل كيف يقبل رواية الآحاد، ويرد المتواتر، قال في رده على الشيخ على بن قاسم الفيفي:

(أولاً: إن هذه القبيلة (عبس) التي ذكرها الباحث (يقصد الشيخ على بن قاسم الفيفي) والتي تعتبر من قبائل منطقة جازان في الوقت الحاضر لا تعود في نسبها الى قبائل فيفاء ولا حتى إلى خولان كما ذكر ـ حفظه الله ـ بل هي قبيلة عدنانية تعود من أبناء عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان). ص٢٨١.

قلتُ: أما لماذا أخرج عبس من خولان؟ فبموجب الرواية التي سيوردها لنا حيث **يقول**: (وفي مقابلة مع بعض أعيانهم ومنهم الشيخ ملهوي بن أحمد بن رديني بن جابر بن علي الملقب أبو راسين ابن محمد العبسي ذكر لي أن أجدادهم يذكرون لهم أنهم قدموا من الشام أي من الشمال منذ زمن طويل). ص٢٨٢.

قلتُ: هذا ميزان مختل، كيف تخرج عبس من خولان بشهادة رجل واحد لمجرد أنه ذكر الشام؟ وترد شهادة خمسين ألف رجل يقولون لك نحن أبناء هانئ بن خولان؟ وتنسبهم كُرهاً وجبراً وغلاباً إلى مذحج وليس أبيهم، تفعل ذلك عياناً بياناً جهاراً نهاراً، وتتجاهل أن الناس مؤتمنون على أنسابهم، وقد لعن الله ورسوله من انتسب إلى غير أبيه.



(٢)

قبل استكمال رحلتنا يحسُن بي أن ألفت نظر السادة المتابعين إلى أن كتاب (الاستقصاء لتاريخ فيفاء) لم تصدر طبعته عن دار نشر ولا يحمل تصنيف أو فهرسة، وعلماً أن تاريخ الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

قلتُ: فقبائل فيفا تنتسب إلى (خولان بن عامر) الذي هو (عمرو) وهذا الـ (عامر) في أنساب فيفا هو (عمرو) كما نص الشيخ علي بن قاسم الفيفي وغيره ممن بحثوا وحققوا.

إن المعضلة الحقيقية والعقبة الكأداء التي تعترض الباحث في أنساب فيفا هي تلك الفجوة الكبيرة في سلسلة الجدود لكي تتصل بـالأصل (خولان بن عامر) الأبعد، أو الفرع (هانئ بن خولان) الأقرب، وهو من تنتسب إليه قبائل فيفا (فرعاً) وإلى خولان (أصلاً)، وبه تواتر نسبهم، وحفل شعرهم، واشتهر فيهم كالصبح، وأثبتت القرائن العقلية والمنطقية صحته حيث لا خلاف في ذلك، وحين عجزت البحوث الرصينة عن رأب تصدعات سلاسل النسب، وبقيت تتراوح في نقطة ثابتة دون أن تجتازها، كان لا بد من شيء جديد ومثير وهو ما انتهجه صاحب الاستقصاء حين ذهب (يفتش عن الشِّلن في النور)، والقصة بزعمهم أن صعيدياً أسقط (شلنا): عملة معدنية؛ في ركن مظلم من أحد الشوارع، فسأله العسس: ما الذي تبحث عنه؟ أجاب: أفتش عن الشلن الذي

أضعتُهُ، سألوه: وأين سقط منك؟ قال: هناك في المنطقة المظلمة من الشارع!. قالوا: فابحث عنه حيث سقط منك .. أجاب: ولكن الدنيا هناك مظلمة وهنا نور! ..

انتهت الحدوثة .. ورغم النور فإنه لن يجد الشلن طالما فتش عنه في المكان الخطأ ومؤلف الاستقصاء صدمه الفقر الشديد الذي يحيط أخبار فيفا وذكر أنسابها وأمجادها ولم يقرأ مقدمة ابن خلدون قراءة تَتَلْمُذ وإلا لكانت زالت عنه تلك الصدمة، وحين تعذر عليه سد ثغرات سلاسل النسب والاتصال بـ (خولان) ذهب يقلب في أنساب مذحج ليس لما أفاضه عليهم النسابون والمؤرخون في الجاهلية والإسلام، من تفصيل في النسب، والأخبار، والتراجم، والوقائع، ولكنه التقط وهماً لعاتق بن غيث البلادي الذي أورده في كتابه بين مكة واليمن، فعزم على ضوء ذلك الارتحال إلى منطقة أخرى هرباً من ضنك البحث وشح المعلومة وندرتها عن خولان، إلى ما يعتقده يمثل السعة والثراء في المادة المدونة عن مذحج، ولسبب لا أجهله فقد عقد الفصل الذي يناقش نسب (فيفا) آخر الجزء الأول صفحة ٢٧١ وترتيبه الخامس والأخير، وليس هذا مكانه على الاطلاق بل في الفصل الأول مباشرة، لكنه اختار له هذه الترتيب عن قصد وسوء تدبير.

<u>أما القصد</u>: فهو إعطاء الفرصة الكافية لجرعة التذحيج التي بدأها من السطر الأول، وأما سوء التدبير: فكان هذا الاختيار في الترتيب الذي كشف منهج الرجل في فرض المذحجية التي لا سند لها ولا دليل.

وجاء تحت عنوان (قبائل فيفاء القحطانية واختلاف المؤرخين في نسبها) فتحاشى نسبها إلى خولان إمعاناً في تكريس الواقع الجديد الذي فرضه قسراً، وبغض النظر عن كلمة (القحطانية) التي دسها في العنوان قبل أن تتأكد المذحجية بصورة علمية، وفي هذا الفصل (الخامس) يجعل اختلاف المؤرخين والنسّابين مقدمٌ عنده على اتفاق أهل الشأن ـ وهم أبناء فيفا من (الحَلْفَة للمَيْثَة) ـ على أنهم ينتسبون (لخولان)، وهو اتفاق غير حادث، أولا طارئ، أولا وليد حقبة زمنية معينة دون سواها، فتعلق بأهداب خلاف مزعوم لم يثبته على مدار هذا الفصل، رغم إصراره الغريب وتفانيه في توجيه مسار البحث ليتفق مع خارطته التي رسمها سلفاً، بصورة قاطعة أنه لا يمتلك أدوات الباحث المتمكن، ومنها ما تبقيه محايداً منتصراً للدليل الأصوب والبرهان الجلي، وتدفع عنه مغبة التنظير لرأي لا تدعمه القرائن والبراهين بل لا يعدو مجرد وهم ليس إلا، فلم يأت في هذا الباب على ذكر انتسابهم لخولان إلا لينفيه، ولم يعرج على ما تناقلوه عبر الأجيال، ولم يستشهد بأشعارهم التي تشير إلى نسبهم الخولاني، وضرب عن ذلك صفحاً واستعاض عنه بالأشعار التي تخلد وقائع وأيام مذحج، وأخبارها، وحين جد الجد إذا به يقع في ذات

الإشكال من ضياع سلسلة النسب لمذحج فالذي جرى لأنساب خولان قد جرى لأنساب مذحج؛ وكأنه لا فرق، فذهب يعتذر في معرض قوله: (ونعود بالحديث إلى جبال فيفاء التي تسكنها فروع من هذه القبيلة (مذحج)، لنتحدث عن مرجع أصول هذه القبائل بـ (فيفاء)؛ وإن كانت المصادر التاريخية وكتب الأنساب القديمة والحديثة لم تُسعفنا بتسلسل أسماء القبائل الفرعية حالياً إلى أصولها الأولية). ج١ ص٢٧١.

قلتُ: إنه يكرس عبارة (مذحج)، هكذا، بدلاً عن (خولان) التي تحاشاها بكل ما أوتي من أسباب وذرائع، وهو ذات التكريس الذي افتتح به الكتاب فانطلق من الإهداء يروج لعبارة (جنوب سراة جنْب فيفاء) وكان الأجدر هنا أن يقنع القارئ بوجاهة ومنطقية هذا التحول من (خولان) إلى (مذحج)، علما أنه لم يجد ما يشفع له سوى القول: (منها [يقصد مذحج] قبائل فيفاء التي اختلف في أصولها بعض من الباحثين فمنهم من نسبها إلى قبيلة مذحج ... ومنهم من نسبها إلى خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، وهذا الاختلاف يدل على اختلاط مذحج بخولان قضاعة ولا شك أنه بسبب الاختلاط تتولد الأنساب. فمن قال أنهم من خولان قضاعة فقد اختلط عليه الأمر لمخالطة بعض من قبائل مذحج لقبائل خولان قضاعة). ج١ ص٢٧٣.

قلتُ: هو عاتق بن غيث الذي نسبها لمذحج ونقل عنه نفس النص لكن الباحث زعم التكثير وسيمر بنا تهافت زعمه هذا ولن أتحدث عن نظريته: (الاختلاف

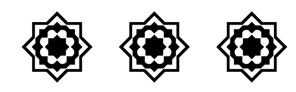
يدل على الاختلاط) أو نظريته: (بالاختلاط تتولد الأنساب) والفكرة ليست له إنما تشوهت معالمها حين تدخل في صياغتها ولأن ما سيقال عن مذحج وفق هاتين النظريتين وجب أن يقال عن خولان، وكان سيشفع للمؤلف لو أنه عقد فصلاً يرصد فيه خلافات الباحثين وذرائعهم التي زعمها ولم يوردها حول نسب خولان، ثم يناقشها باستفاضة، ويقتلها نقداً ومحاكمةً، ثم يبني تقريراته على منطلقات صلبة وحجج قوية، ويجيب على التساؤلات التي قد تطفو على السطح مثل: أسباب ذوبان مذحج في خولان، أو العكس، والغلبة التي فرضها الاختلاط، ثم السبب لبقاء قبائل فيفا على القول بأنهم (لخولان) نسباً؟ ثم غياب مذحج عن نسب هذه الأمة فلا ذكر له على الاطلاق؛ طالما علمنا أنه لا يسقط النسب بالولاء.

ويكون بهذا أبقى بحثه عملاً يمكن أن يعتد به؛ لا أن يأتي على هذه الشاكلة من الوهن والهشاشة والضعف، فيجعل قول عاتق بن غيث البلادي اليتيم راجح على أقوال عدد من الباحثين تناولوا نسب فيفا وهم من أبنائها وفي مقدمتهم الشيخ علي بن قاسم الفيفي وأهل مكة أدرى بشعابها، إنما تكثّر بمن نقلوا نفس القول عن البلادي وهم اثنان ويجعلُ ذلك مسوغاً لرد اتفاق مئة ألف فيفي يشهدون أن جذورهم تعود لـ (خولان بن عامر)؟ أليس في ذلك إشارة واضحة للشطط، والافتئات؟ .

وتتكرر المجازر الوحشية عند ذكره (اليهنوي) فساق غاية الإفلاس، وامتار سقط المتاع، وكشف جهله الذريع بلغة العرب ولسان فيفا وخصائصه اللهجية، وبعد فاصل صاخب من الحوس والدّوس قال: (وهنا أحب أن أشير إلى أن كلمة (يهنوي) لا تعني النسبة إلى (هانئ بن خولان) كما يعتقد البعض ولو كانت نسبة إلى جدٍ لكان نسبة هذا الجد (يهنأ أو يهنو) ولو كانت كلمة (يهنوي) نسبة إلى جد اسمه (هانئ) لقيل: (هانوي ـ هانئي) وبالجمع (هانويون ـ هانئيون). ج١ ص٢٧٥.

<u>قلتُ</u>: على رسلك فإن الأصل (الأهانئة) وهو ما غاب عن المؤلف، فـ (يَهْنَوِي) مفرد، وجمعه (يهانية)، وبحسب لسان فيفا فإن (يهنوي) تقلب ياء النسب في أوله عن الهمزة (أهنوي) ويحل (الواو) محمل النبر الأخير من الاسم، وأصل النسبة (أهنإِي)، كأصلتي نسبة للصلت، ـ بعضهم يرسمها (أهنئي) وهو خطأ ـ ، وهكذا في (يهانية)، (أهانئة) على ميزان جمع التكسير، و(الأهانئة): نسبة لرجل اسمه هانئ، وفي هذه البيئة اللسانية التي تتحاشى النبر وتستبدله (بالياء) و(الواو)، نجدهم يقلبون ألف النسب إلى (ياء) في أول الاسم بدلا عن الهمز، أما في آخره فتكون الواو (للمفرد) يهنوي، والياء (للجمع) يهانية، وذلك لتحاشي الثقل، ولاتِسَاق التركيب الصرفي والبناء الصوتي، وهنا ندرك أن (اليهانية) قوم ينتسبون إلى (هانئ بن خولان) وهو تركيب عربي صحيح ونسب سليم لا غُبار عليه، والقلب شائع في ألسنة العرب، وهنا نكتشف أن ذريعته

لإسقاط (هانئ بن خولان) والنسبة إليه، قد انهدمت كسابقاتها ومن يعالج أمراً لغوياً كهذا، وهو أعزل من لغة العرب، ومن فقه البيئة اللسانية (لخولان بن عامر) فسيكون هذا أقصى ما يمير أهله.



(٣)

كاد الجد هانئ بن خولان الذي تنتمي له قبائل اليهانية ومنهم فيفا أن يعتزل دوره في فروع نسب خولان بن عامر، ويتحول إلى مجرد حلف من اختراعات المؤلف، لمجرد أن النسبة إلى (هانئ) لا بد أن تكون (هانوي ـ هانئي)، وقد أشرنا إلى ذلك في الحلقة السابقة من هذه السلسة وناقشناه هناك، وحين انتهى من هانئ بن خولان عرّج على ذكر (فرود).

فقال: (وكذلك كلمة (فرود) لا تعني أيضاً أن قبائل بلغازي ومن ينضوي معهم من القبائل تحت اسم (فرود) أنه نسبة إلى جد اسمه (فرود بن خولان) فلا يوجد شخص بهذا الاسم في كتب الأنساب حسب اطلاعي). ج١ ص٢٧٦.

قلتُ: كلامه صحيح فلا وجود لـ (فرود بن خولان) في كتب الأنساب، لكن صاحب الاستقصاء فاته أن ما جهله النسّابون، وخفي عنهم، ولم يحيطوا به، أكثر مما أثبتوه، فلا يعني أن عدم ذكره في أنساب خولان أنه لا وجود له، ولا يقول بذلك من لديه أدنى دراية بواقع المعارف الإنسانية التي تركها السابق للاحق، والبلدانيون لم يذكروا (فيفا) من الحسن بن أحمد الهمداني، إلى الأمير نصر بن ماكولا، إلى الشيخ ياقوت الحموي، ولم يولد (جبل فيفا) على الخريطة إلا متأخراً، وعدم ذكرهم له لا يعني عدم وجوده، وأصحاب الشأن ومن ينتمون إلى هذا الجد يقولون: نحن أبناء (فرود بن خولان) من أخوة (هانئ بن خولان)،

حينها نعلم أن كتب الأنساب قد أسقطت فروعاً كثيراً من القبائل العربية، وفي هذا دليل قاطع على القصور الذي اعترى تدوين الأنساب، ولا يستدل به على عدم وجود أمة من خولان تنتمي إلى جد يعرف بـ (فرود) والباحث في أنساب خولان حين يتجاهل الواقع الراهن للتشكيل القبلي، فلن يضيف شيئاً يذكره له علم الأنساب، وأصحاب الحواشي مغرمون بتطبيق الماضي السحيق على الحاضر الراهن، فإن لم يتطابق معه تماماً وضعوا التفاصيل المنظورة في قائمة المعدومات التي لا أصل لها، والباحث المتمكن لا يطَّرِح الواقع بحجة أنه لم يرد في سجلات الماضي، والباحث المتمكن يبتهج حين يعثر على شعب من الشعوب يقول: نحن ننتسب إلى جد قديم اسمه (فرود بن خولان) فيثبته في بحثه، ولا يرد عليهم بالقول: أمهلوني لحظة لأرى هل ورد له ذكر عند النسابين أم لا؟ . . كما فعل صاحب الاستقصاء بشأن (فرود).

والمسألة ببساطة شديدة، يجب عليك أيها الباحث في تاريخ فيفا وأنسابها النظر إلى الحاضر وليس العكس، وهكذا في كل علم تستوعبه منظومة المعرفة، وعليك أيها الباحث في تاريخ فيفا وأنسابها أن لا تنشر أبحاثك في الناس دون إخضاعها للدراسة المتأنية والنقد والتمحيص، لأنها ستأتي شوهاء، عابسة مكفهرة، وحينها لن يرحمك النقد ولن تكبحه عباراتك التي تقول: لا تنتقدوني فإنكم إن فعلتم كانت لغتكم غير علمية، وأهدافكم غير شريفة، ومقاصدكم لا

تمت لأدب الحوار والنقاش العلمي بصلة، وإنما أبنتم عن الحسد والغيرة التي تجيش بها صدوركم الضيقة، ثم تعزز مقولتك بالبيت القائل:

وعين الرضى عن كل عيب كليلة ** ولكن عين السخط تُبدي المساويا

فهذه الموعظة لن يلتفت إليها النقد.

ولمؤلف كتاب (الاستقصاء لتاريخ فيفاء) أسلوبه الغريب ومنهجه المتطرف في الاستنباط، فيما يخص النسب كما رأيناه في مسألة (فرود) وكما سنرى لاحقاً، أما القراءة الجغرافية فآية أخرى وأعجوبة من العجائب، وهو يلوي أعناق النصوص ويسوقُ المهلكات، وتأمله حين يورد كلام الدكتور سليمان بن قاسم الفيفي في قوله: (إن فيفاء تطلق على عدة جبال ..... وليست جبلاً واحداً كما يفهم من الاسم .... ويطلق على مجموع هذه الجبال فيفاء). ج١ ص٤٨.

لا تستعجلون بالله فقط اَمهلوني ثواني! .. المكان المعبأ بالنقاط في النص الذي نقله من الدكتور يعني التصرف في العبارة المنقولة، بالله أمهلوني مزيداً من الوقت لأخبركم السرّ وراء ما يمهد له! ، إنه بهذا التصرف في النص المنقول عن الدكتور إنما أملاه وفرضه حشد الأدلة والقرائن التي تفيد امتداد فيفا وتعدد جبالها بحيث تتصل جغرافيا بتهامة قحطان!، إنه الآن يمهد لشيء ما، ولستم في حاجة لإدراك مقصد الدكتور من قوله (عدة جبال) لكن الذي أقصاه من العبارة صاحب الاستقصاء أن هذه الجبال المتعددة تجمعها (قاعدة واحدة)، لا بأس دعونا نمضي معه لنكتشف سبب تصرفه بالنص وكيف سيقرأه، ويحشد مزيداً

من القرائن ويضيف: (وقال الباحث محمد بن فرحان الفيفي: ويحدها أي فيفاء من الجنوب جبل العرّ وهو جبلٌ شاهقٌ يتاخم جبل فيفاء من الجهة الجنوبية) نفس الصفحة.

قلتُ: ما هذا؟ أنا جادٌ جداً في تساؤلي، متى كان جبل العرّ يحد فيفا من الجنوب؟ ثم لماذا هذا القلق في عبارة محمد بن فرحان؟، قال (يحدها من الجنوب الجبل جبل العرّ) ثم (العرّ جبل متاخم لجبل فيفا) وكل ذلك في سطر، فالذي يحدك في المال هو من تتماس أرضيكما بعضها ببعض، وتتلاصق، وتتلاحم، وتتداخل، بينما الذي يتاخمك هو من يسامتك تراه وتبصره من موضعك على نفس الامتداد الأفقي، وقد لا تشترك معه في الحدود، الذي يتاخمك الذي يوازيك ويقابلك ويناظرك ويقف معك على أفق مشترك، ولستم في حاجة لاستنباط ما يعنيه الباحث محمد بن فرحان الفيفي من عبارته الغريبة السابقة ولكن ربما ستجدون السرّ في مسألة الحدود السياسية بين بلدين.

وإن لم يكن الأخ محمد بن فرحان الفيفي قد اِنضم إلى ركبُ الباحثين فسيأتي ليبين لنا الفرق بين (الحد) و(المتاخمة) في هذا النص الغريب العجيب في كافة ملامحه، إنما أطلب منكم مهلة أخرى لأذكركم أن الباحث أورد النص السابق في خضم حشده للقرائن والأدلة لشيءٍ ما يُمهد للوصول له، **فأضاف:** (ومما يُدَعِّم ما ذكره الباحثان ما أورده الكبسي في اللطائف السنية ما نصه: (فيفاء أرض

نازحة متصلة بأرض قحطان وفي التهايم إلى قرب وادي ضمد، وهي أي فيفاء مسير عشرة أيام جبال ووطى) هكذا! . نفس الصفحة.

فلم تعد فيفا (جرفُ يومٍ ولـ امشروقْيَة)، لقد كان يحشد الأقوال التي يراها تسهم في تمدد الحدود وتكثير الجبال، فمط الخريطة حتى أوشكت على الانقطاع من أجل أن تقفز فيفا إلى تهامة قحطان، لأنها إن فعلت أمكن دمجها ولو تلفيقاً في سراة جنْب، وحينها تعيش مقولة (مذحجيتها) أسبوعاً آخر ليس أكثر وفقاً لتكلفات المؤلف التي لا تدعمها حجة مهما كانت في متانتة خيط العنكبوت، فإذن لا تتعجب لاحتفائه بنص هذا الكبسي، الذي ضرب عنه صفحاً فلم يعقد له موازنة تبقيه في حقل الجغرافيا، بل تركه يواجه مصيره المحتوم من الموت والفناء، لقد قلت لكم سابقاً إنه يعمدُ إلى تهذيب الشواهد التي ساقها قبل كلام الكبسي لتكون مؤيدة له، متجاهلاً الشذوذ الذي اعتراه حين لم تكن فيفا في يوم من الأيام إلا التي نعرفها، لكن مهلاً فالباحث لم يكتف بهذه الفيفاء التي منحه إياها الكبسي في اللطائف بل استدرك عليه بين قوسين **<u>قائلاً:</u>** (**<u>قلتُ</u>** : يقصد صاحب المخطوط قرب قرية ضمد، وأما وادي ضمد فإن أكبر جزء منه هو من قرى فيفاء من الجهة الجنوبية الغربية).الاستقصاء ط١ (١٤٣٢) ج١ ص ٤٩.

وهكذا يخلص الباحث إلى أن فيفا تشمل مساحة أكبر مما هي عليه الآن.

<u>قلتُ</u>: رغم مناقشته لموضوع جغرافية فيفا كما مر بنا إلا أنني ما زلت أحسن به الظن ملتمساً له الأعذار من: جهل، وقلة معرفة بالبحث والتصنيف، ونقد

القرائن، واستصحاب العقل والمنطق، فوقع في مغبة عدم الركون إلى الصواب كونه مشهوراً وسُبِقَ إليه، ولم يتجنب شاذ الأقوال وما لا يصح تحت إغراءات الجدة والحداثة.

ولأنْ يأتي الباحث بالقليل من الصواب في حلة قديمة، خير له وأبقى لجهده من أن يجلبه مزخرفاً بوشي لأباطيل الفريدة المبتكرة.

ولأن الشيء بالشيء يذكر سأختم حلقة اليوم بطرفة تشف عن منهج الباحث في الاستقراء واستنباط الشواهد وذلك في معرض حديثه عن قبيلة آل عبدل التي أنتمي إليها.

فقال: (وقد جمع الشاعر: يحيى بن محمد العبدلي الفيفي أكثر بطون قبيلة آل عبدل في هذه القصيدة:

١ـ معي قبيلة رادية وسيل دحان ** امثابتي وِمحِسيني وهل خطفان

ولا تهون اهل امحقب

جمعت رجال امحانبي من حيث داعيهم

٢ـ وباقي امجذمين من حربٍ وردّان ** وشرة الشر من يقرع كل شيطان

نفرح بطيلاع امسبب

دعوة من الله والنبي ذهب الحيا فيهم)

الترقيم من عندي، إنما يعلق بقوله: (هنا يشير الشاعر عندما قال: (وباقي امجذمين من حرب وردان) أن باقي هذين الجذمين من سلالتي (حرب)

و(ردَّان) وهما بطنان قديمان من بطون قبيلة آل عبدل القديمة اللذان لم يرد لهما ذكر لقدمهما إلا في هذه القصيدة). ج٤ ص٣٤٥.

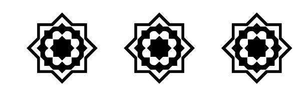
<u>قلتُ:</u> لن أطالبه هنا بذكر الراوي الذي نقل له النص لأن ذلك لن يجدي نفعاً، وإنما لا تروى هذه (الزملة) كما أوردها المؤلف، فالشطر الثاني من (١) يروى: (امثابتي مع امحسيني واهل ختفان) وليس خطفان الذي سنؤجل الحديث عنه إلى حين، أما المصراع الأخير من (١) فيروى: (صلّةْ رجال امحِنبي من حيث داعيهم) وليس (امحانبي) وهذا التعديل والاستدراك لا يؤثر كثيراً، ولكن في (٢) حدث استبدال حرف الجر ((في) بـ (من)، وهذا الشطر الأول من (٢) يروى: (وباقي امجذمين في حرب ردَّان) وصحة الشطر الثاني: (وشرة الشر تا تقرع كل شيطان) والمصراع صحته (تفرح بطيلاع امسبب)، هذا ما يختص بالرواية الصحيحة لما ساقه من شعر يحيى بن محمد أعلاه، والباحث لم يسأل الرواي عن الجذمين ولم يتوقف عند عبارة (وباقي امجذمين) ويتساءل عن المعنى المقصود، هل يقصد البقية الغائبة عن النص التي لم يذكرها الشاعر؟ أم هي بقية من أقوام منقرضة؟!! لا إله إلا الله .. الجذمين اللَّذيْن قصدهما الشاعر هما: (آل مهطل، وآل التليدية) في أصح الأقوال، ومن لديه علم آخر فليبديه .. وكانوا يعرفون بـ (امجذمين)، لكن صاحب الاستقصاء لا يتورع عن الابتكار فيأتي محملاً بكل غريب، ومعنى قول الشاعر (في حربٍ ردّان):

١. الكر والفر.

٢. النكاية بالعدو عبر هجمات متتالية.

٣. رد الصاع صاعين.

و(الردّان): اسم المفعول، من الفعل الماضي رَدّ، أعاد، ومنه: أجاب، ناظر، حاور . . الخ، فلا بطنٌ هناك ولا ظهرٌ أشار إليه الشاعر خلاف من ذَكَرهم، وإنما المنهج الاستقصائي دعا المؤلف أن يضيف بطنين لآل عبدل هما:(حرب) و(ردّان).



(٤)

يتكرر الإقصاء في "الاستقصاء" بما لا يخطئه السمع والبصر وكأن جفوة قائمة بين مؤلفه وبين كل ما هو خولاني، جفوة تحرضه على ابتكارات لا يمكن حملها على حسن النية مهما تكلفنا ذلك في ظل غياب الأدلة التي تشفع للباحث فاستعاض عن ذكر خولان بحمير ولا ضيْر ثم يصبح (اسم اليهانية يمثل اسماً لعدة قبائل كهلانية، وحميرية، وعدنانية، قديمة). ج١ ص٢٧٥.

وهذا فقط لدى مؤلف الاستقصاء (القرن الخامس عشر الهجري) بينما هو غير ذلك لدى الحسن بن أحمد الهمداني مؤلف الإكليل (القرن الرابع الهجري)، فقد ذكر صاحب الإكليل تحت عنوان نسب "هانئ بن خولان" وصنّفها بادية كلها، ما نصه: (وولدَ هانئ بن خولان: هلالاً، وعلياً، وهو العلي، فولد هلال شرحبيل وهلالاً، فولد هلال شرحبيل الأصغر، وجابراً، ابني هلال الأصغر). الإكليل ج١ ص ٢٨٣.

<u>وقال أيضاً:</u> ص٣٠٢ منه: (وأولدَ هانئ بن خولان ـ مهموز ـ خمسة نفر: هلالاً، ويعلى، وعلياً، وسعداً، وجامعاً).

<u>وقال أيضاً:</u> ص ٣٠٥ منه: (وسألت ابن أبي الجعد عن الأزنوم من خولان فقال: بنو زنامة من ولد هانئ بن خولان، قال ويسنم من بني حمرة، والسهميون من البقْراء، وهي غير سهيم واهم، وشداد بطن، من آل أبي حجاش من اليهانية).

وأضاف في نفس الصفحة منه: (وسألت ابن أبي الجعد عن حفظه لنسب ولد هانئ، إذ كانوا ولد أبيه، فقال: أولد هانئ بن خولان: هلالاً، وزنامة، وبرقشياً، وعمراً، وحفاشاً).

قلت: هذا الأخير تصحيف لحجاش الآنف الذكر، المعدود في اليهانية، وقوله: (إذ كانوا ولد أبيه) يقصد أن ابن أبي الجعد من ولد هانئ، ولفظ (اليهانية) أعلاه أورده صاحب الإكليل في النسب لهانئ، ولم يلتفت لمقترحات صاحب "الاستقصاء" التي تكلفها ليجعل (هانئ بن خولان) مجرد حلف قبلي يضم عدة قبائل: كهلانية، وحميرية، وعدنانية قديمة، ولأنه أي مؤلف "الاستقصاء" لديه حساسية مفرطة تجاه خولان فإنه لا يقبل منك انتسابك إليها، فتحلف له بكل مقدس إنك خولاني فلا يقبل منك، وتقسم له إنك تنتمي إلى هانئ بن خولان فلا يستمع لك، وتبذل جَهدَ أيمانِك إنك من بني هلال بن هانئ بن خولان بن عامر فيصم أذنيه، ويصد عنك، ثم يتناول أدلتك ويعبث بها ويحيل حججك إلى رماد تذروه الرياح، ويسوم شواهدك سوء العذاب، على نحو لم يُسبق إليه من مُدَوِّنٍ عبر التاريخ وتأمله في معرض حديثه عن قبيلة آل عبدل التي أنتمي إليها وهو يقول: (والأغلبية من هذه القبيلة يقولون: إنهم يعودون من بني هلال) وهذا ما يرويه كبار السن منهم، ويستشهدون ببعض القصائد الشعبية من شعرائهم القدامى، ومنهم الشاعر: يحيى بن محمد العبدلي الفيفي رحمه الله، حيث قال:

يقول ابو علي زمل وبين سدّرَ *** ما بين قوم العبدلي شيخ وعسكرَ

يذكر لنا موّل بقية من بني هلال

ثم يقول بعد تمام الأبيات: (وأجدني أميل إلى هذه الرواية التي تدعمها بعض من أشعارهم، ومما يترجح عندي أنهم ينحدرون من أبناء هلال بن جشم من قبيلة مذحج والله أعلم). ج٤ ص٢٦١، ٢٦٢.

قلتُ: هلال بن جشم المذحجي؟..، بالتأكيد إن ما يفعله الباحث هنا معاندة للنص بشهادة الإنس والجن، وقد سقتُ لكم أعلاه أربع اقتباسات متتالية من الإكليل لأبناء هانئ بن خولان، فلم يسقط (هلال) من واحدة منها، وبقي أول من يُذكر في أبنائه، والشاعر يحيى بن محمد العبدلي تفضّل على الباحث واختصر له المسافة إلى هانئ بقوله (يَذْكر لنا مَوَّلْ: بقية من بني هلال) فهل سار مع النص أم ضده؟ وبدلاً عن هلال بن جشم المذحجي يكون الصواب: هلال بن هانئ بن خولان بن عامر القضاعي، فالشاعر ينتسب إلى خولان وقال: (بلاد خولان بن عامر ملك بازلي) أي أرض آبائه وأجداده.

لقد استبشرتُ وأنا أقرأ مقدمة العبارة حين يقول: (وأجدني أميل إلى هذه الرواية ... حتى قال (هلال بن جشم من مذحج) فأُسقِطَ في يدي إذ يستحيل مناقشة من كان هذا تعامله مع النص الشعري والسرد الشفهي، وتأمله حيث يقول: (ومن الروايات الشفهية المستفيضة بين قبائل المنطقة التي يتناقلها كبار السن أن قبيلة بني هلال أيضاً استوطنت هذه المواضع ومنها وادي ضمد ووادي ثبا

ونيد المقابير والقدة في زمن قديم ثم رحلوا ضمن من رحل. . إلى أن يقول: (ولعل إن صحت روايتهم يكونون من بني هلال المذحجية لا العامرية لوجود قبائل من فيفاء تنتسب إلى بني هلال إلى هذا التاريخ والله أعلم). ج١ ص٥٠.

قلتُ: فرواياتهم لا تكذب وهي من الصحة بما يكفي لتلقيها بوعي إنما قالوا: هم يرجعون نسباً إلى خولان بن عامر فهل أخذ الباحثُ حسن بن جابر الثويعي برواياتهم المستفيضة في هذا الصدد؟ الجواب: لا! .. ولو فعل لما استقدم الهلال المذحجي بمستندات لا تصح ليقيمه بديلاً عن هلال بن هانئ.

وقد ذكر الهمداني من بني هلال بن هانئ بن خولان أربعة هم: جماعة، وحذيفة، ومعاصماً، وحبيباً ـ بفتح الحاء). وانظر التفصيل في ج١ ص٣٠٥ من الإكليل، فإن لم يجد صاحب "الاستقصاء" في قائمة اسمائهم: عمراً، وعبدالله، والحكم، وثابتاً، وشرحبيل، وزنامة، وحرباً، حينها سيكون بيده ذريعة قوية لطلب (فِيَز) استقدام لعدد من المذاحجة لسد ثغرات النسب في قبائل فيفا اليهنوية الخولانية.

والباحث يخترع حججاً وبراهين على مذحجية فيفا تخالف المنقول والمعقول في سعي يغلب عليه الاستخفاف بالقارئ كما سيتبين لك من عبارته التالية معلقاً على الورم الجغرافي الذي قذف بحدود فيفا إلى سراة عبيدة في قحطان شمالاً وإلى مدينة ضمد غرباً، **فقال:** (وعلى هذا فلا أستبعد أن المشرَّق وجبل خيران،

والعتمة، وروحان، وجبل غينة، والأماكن التي تقع جنوب قعيد، وغيرها من المواضع في تلك الجهة كان جزءً مما يسمى بفيفاء في الماضي.

ومما يغلب على الظن أن قبيلة (رهاء) التي رحلت من فيفاء زمن الفتوحات الإسلامية كانت تقع مواطنها في الجهة الجنوبية الغربية من حدود جبال فيفاء في الوقت الحاضر على امتداد المواضع المذكورة حتى جبل المشرّق). ج١ ص ٤٩.

<u>قلتُ:</u> تاريخياً لم تنزل فيفا وإنما نزلت قرب تثليث وكان طريقها من نجران وعبارتيه (لا أستبعد)، و(مما يغلب على الظن) لا تعني أنه قدم برهاناً، فلأي شيء يُلزِم القارئ ألاّ يستبعد ما لا يستبعده الباحث؟، ولأي شيء يُلزِم القارئ أن يَغْلُب على ظنه ما يُغَلِّبُ فيه الباحث ظنَّه؟ ولم يقدم دليلاً ولا أدنى من دليل، على أن أمة تعرف بـ (رُهاء) استوطنت فيفا ورحلت عنها زمن الفتوحات الإسلامية، فلا كشف أثري يفيد العلم، ولا ذريعة أيًّا كانت مادية أو جدلية، والتاريخ لا يُتَوَهَّم، فلا بد من وقائع وأحداث، ومنهجياً لا يقول الباحث (لا أستبعد) حتى يستنفد كل القرائن والحجج المنطقية التي توصل إليها، ولا يقول (ومما يغلب على الظن) حتى يعرض اكتشافاته أجمع وفتوحاته التي حققها فدفعته إلى تغليب الظن، لكن باحثنا يكتفي بهذه العبارات التي لا تغني من الحق شيئاً، متجاهلاً أن تغيير الخارطة الجغرافية والاجتماعية لفيفا لا تأتي عبر (لا أستبعد) و(مما يغلب على الظن)، ولأجل التسليم بمذحجية فيفا يلزم الباحث

أدنى قدر من البراهين التي يقبلها العقلاء، لا على الظنون التي تنافي العلم اليقين، وهو يكرر عبارة "الذين رحلوا من فيفا زمن الفتوحات الإسلامية" هذه أكاذيب، ثم يعتقد أنه قال حجة وساق بيّنة وهو أبعد الناس ـ في هذه العبارة تحديداً ـ عن الصواب.

وما زلت أحسنُ الظنَّ بباحثنا الكريم حسن بن جابر الثويعي الفيفي رغم تعمده ترميم النصوص المقتبسة بما ليس لأصحابها ومن أعجب ما وقفت عليه نقله عن الهمداني بلاد خولان وأوديتها بعد مقدمة من الثناء على صاحب صفة جزيرة العرب فانطلق **قائلاً**: (قال في الصفة [يقصد الهمداني] .. ومدينة خولان العظمى صعدة). ج١ ص٢٩٢.

ثم سرد بلاد خولان باختصار نقلاً عن الهمداني على امتداد الصفحات ٢٩٢و٢٩٣و٢٩٤و٢٩٥ إلى أن **يقول**: (فهذه بلد خولان قضاعة على حد الاختصار وأغوارها داخلة في تهامة من جنوب وادي ضمد حيث مساقط وادي خلب وتعشر ولية وحاضرتهم بلدة الخوبة من معالي خلب وتمتد ديار خولان في أعلى السراة إلى سراة جنب وفي نجدها يتصل ببلد وادعة). ج١ص٢٩٥.

قلتُ: يفترض أن النص السابق من كلام الحسن بن أحمد الهمداني منقولاً عن الصفة كما ذكر المؤلف إلا أنه ليس كذلك فكلام الهمداني ينتهي عند عبارة (داخلة في تهامة)، ثم رممه بكلام عاتق بن غيث البلادي الذي جاء: (من جنوب وادي ضمد حيث مساقط وادي خلب وتعشر ولية وحاضرتهم بلدة الخوبة من

معالي خلب)، ثم ختمه بكلام الهمداني (وتمتد ديار خولان في أعلى السراة إلى سراة جنب وفي نجدها يتصل ببلد وادعة) والحاشية التي وضعها على كلمة تهامة دون أن يغلق النص لا تشفع له هذا الترميم العجيب، ولا تمنحه البراءة تلك التي وضعها على كلمة خلب وما زال النص مفتوحا حتى انتهى كلام الهمداني بنقطة وحاشية في السطر الخامس من الصفحة المشار إليها، ثم في الهامش الأخير من الصفحة يثبت قائلاً: (الهمداني: صفة جزيرة العرب).

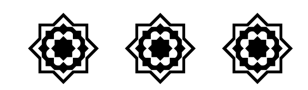
والسؤال: هل كان كلام الهمداني بحاجة للترميم فلا يفتح المؤلف قوساً آخر؟ يقول فيه أما عاتق بين غيث البلادي فقال .. إلخ؟.

والداعي لهذا الترميم مرده التقويْ بالعبارة التي دخلت أثناء النص وهي كلمة (من جنوب وادي ضمد) التي سيحملنا وزرها على امتداد "الاستقصاء".

لقد وجدت النص مختلفاً في آخره مطابقة مع الصفة، في حين تجاهلت الحواشي التي أرهق بها القارئ حيث كانت للتعريف بالأماكن التي سردها الهمداني، لكني التمحت عاتق بن غيث البلادي في الحاشية رقم٩، لأكتشف الترميم الذي جاء متوافقاً مع النص الأصلي المنتزع من الصفة من حيث البداية والنهاية لا من حيث السياق.

لقد قام المؤلف بترميمات كثيرة خلال الاستقصاء ولم أجدني شعرت بالاستغفال في أي واحد منها كما شعرت به هنا، هذا الإصرار العجيب وارتكاب ما يمكن أن يعد في التدليس كان لأجل الإتيان بمذحج ليقوم بدور

الأب بدلا عن خولان، ولنفترض جدلاً أن باحثاً توصل إلى هذه الحقيقة أي أن فيفا والدها مذحج فمن الأنسب أن يسوق الباحث مثل هذه الحقيقة عبر لغة أكثر إنسانية وشفقة ورحمة، فهنا قوم عاشوا منذ الجاهلية الأولى يعتقدون بإيمان قاطع أن جدتهم الأولى ضرية بنت ربيعة بن نزار أم جدهم الأول لم تنم مع مذحجي وأنما رقدت مع عامر القضاعي، أقصد أن تُخفِّف عليهم الصدمة من قبل الباحث فيجعل الأمر يبدو منطقياً، نعم ذكر المؤلف في الإهداء أن أكثر أهل الجنة من مذحج، وفي ذلك شيء من العزاء لكني لا أجده عزاء كافياً طالما كانت الجنة لا تُنال إلا بالعمل لا بالنسب، عزاء ضعيف مقابل المرارة السرمدية التي تنتاب من يكتشف أن أباه ليس الذي يتصدر سلسلة نسبه.



(٥)

هذه الحلقة خصصتها لمناقشة أبرز الأدلة التي اتكأ عليها الباحث للقول بمذحجية فيفا، فقد استعرض أولاً أقوال المبرزين ممن تصدوا لنسب قبائل فيفا وهم:

١. الشيخ على بن قاسم بن سلمان الفيفي، موضوع بحثه (تاريخ وأنساب فيفا).
٢. الدكتور سليمان بن قاسم بن سلمان الفيفي، موضوع بحثه المخطوط (تاريخ فيفا).
٣. محمد بن فرحان بن محمد الفيفي، موضوع بحثه المخطوط (تاريخ فيفا القرن الرابع عشر).
٤. حسن بن جابر بن قاسم الحكمي الفيفي، موضع بحثه موسوعي ويشمل (تاريخ وأنساب فيفا).

هؤلاء كانت بحوثهم متخصصة في (فيفا)، جغرافية، وتاريخاً، ونسباً، ورغم التصاقهم بها ومعرفتهم بأنسابها إلا أن صاحب (الاستقصاء لتاريخ فيفاء) رد أقوالهم جميعاً، بشأن انتسابها إلى خولان قضاعة، ولا بأس أن يفعل ذلك فالأمر يحسمه الدليل والبرهان ومن حقه أن يفعل حين يضع يده على الأدلة التي تنسف أقوال من سبقوه حتى عصر التدوين، فذلك متاح لكل صاحب جهد

وبذل وإخلاص، وبالتأكيد هناك أسماء مغيبة ممن تناولوا نسب قبائل فيفا لم يرد لهم ذكر في "الاستقصاء"، وبعد نقاش مستفيض مع الشيخ على بن قاسم الفيفي حول جغرافية بلاد خولان، ونسب عبس، اضطر المؤلف لاستخدام أدوات ممنوعة وارتكاب مخالفات استوجب معها اشهار الكارت الأحمر أثناء مناوراته من أجل الكسب لصالح مذحج، ـ أشرنا لذلك في الحلقة الرابعة ـ حين أضاف نصاً دخيلاً على أقوال الهمداني، واخترع كلاماً على لسان الدكتور جواد علي لم أتطرق إليه بعد ثم راح يناقش ما تقوَّله، كل ذلك من أجل أن تكون الخريطة الجغرافية متفقة مع ما ذهب إليه . . والحجج والبراهين يجب أن تنهض بنفسها لا أن تكون في حاجة إلى مساعدة للوقوف، قوية بذاتها، حية نضرة، مضيئة، كما لا تحتاج إلى تدخلات وترميم وتقويل الناس ما لم يقولوا.
وحين أتم ذلك النقاش العجيب مع الشيخ علي استكمل استعراض بقية الأقوال في النسب وختمهم بـ:

١. عاتق بن غيث البلادي، وموضوعه جغرافي (بين مكة واليمن).
٢. عمر بن غرامة العمري، وموضوعه (قبائل عسير).
٣. علي بن جابر شامي، وموضوعه (صبيا في التاريخ).

وكما نلاحظ من عناوين أوراقهم فهي لا تمس فيفا ولا تكاد، وكلهم في الحديث عن جغرافيتها وأنسابها حاطبوا ليل ولا يبلغ منتهى علمهم في ذلك معشار مما لواحد من أصحاب القائمة السابقة فضلاً عن الشيخ علي بن قاسم

الفيفي وإحاطته وهو ابن بجدتها، مهما تعصبنا لهم، فقال المؤلف: (أما المؤرخ عاتق بن غيث البلادي فذهب إلى أن قبائل فيفاء تعود في أصولها إلى قبيلة (جنْب). ج١ ص٣٠٠.

قلت: رحم الله عاتقاً فهذه بعض تخليطاته عفا الله عنه.

ثم **يضيف**: (أما الباحث والمؤرخ أبو سعيد عمر بن غرامة العمري، وكأنه ينسب هذه القبائل أو بعضها إلى (رُهاء) ويعد جبال فيفاء من مواطن مذحج عندما قال: إن قبيلة رهاء وهم بنو رهاء بن منبه ..... قد رحلوا من اليمن قبل الإسلام واستقروا في سراة جنبْ، وتعرف في زماننا هذا بسراة فيفاء) نفس المصدر.

قلتُ: كذب العمري وإنما تعرف سراة جنب في عصرنا الحاضر بـ (سراة عبيدة).

ثم يضيف قائلاً: (وقال الباحث علي بن جابر شامي عندما تحدث عن قبائل المنطقة وأصولها قال: سعد العشيرة من مذحج، وتمتد بطونها في المنازل التالية ــ في جبل فيفاء: قبيلة فيفاء من جنْب من مذحج وأحدهم فيفي ـ في سفوح جبل فيفاء الغربية في امتداد إلى السهل الساحلي ـ في الجبال المعترضة لأودية بيش وصبيا وضمد). ج١ ص٣٠١.

قلتُ: وهذا أكذب من سابقه وفيه مزيد من الغباء وجهل كثيف، فإذن هذه كل مستندات الباحث التي وضعها بين أيدينا وكانت نافذته على مذحجية فيفا نسباً،

ولن أعرج على المستند الأخير وفقه صاحبه في الجغرافيا والأنساب (الله يسامح ويغفر).

وأعود للقول: بعد استعراضه للأدلة الخاطئة عند المجموعة الأولى، والأدلة الصائبة عند المجموعة الثانية؛ فتح العنوان التالي: (قبائل فيفاء وترجيح صحة نسبها إلى قبيلة مذحج)، وتحت هذا العنوان كتب يقول: (ولذلك فإني أجدني أميل إلى ما قاله المؤرخون الأخيرون عاتق بن غيث البلادي، وأبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، والباحث محمد بن جابر شامي، من أن قبائل فيفاء تعود من قبيلة مذحج المعروف (بمالك بن أدد)، وأرجح ما ذهبوا إليه من نسب هذه القبائل إلى مذحج، وقد أراني أجزم به لعدة أسباب). ج١ ص٣٠٢.

قلتُ: لم يقدم الثلاثة أي قرينة يُعْتَدُّ بها أو يُرْكَنُ إليها، بما فيها صاحب (قبيلة فيفا)! لكن الباحث سيتولى مهمة التنقيب عن الأدلة التي يراها كافية لإثبات صحة أقوالهم، ولو رصدنا عباراته في المُقتَبَسِ أعلاه لوجدناها تبدأ بقوله: أجدني (أميل)، ثم: (أرجح) ما ذهبوا إليه، ثم: قد (أجزم) به. هكذا (مال)، و(رجّح)، وكاد (يجزم) في سطر!!، والباحث هنا يكشف للجميع كم هو سلس القياد، مستسلماً، مذعناً، فلا يناقش أو يجادل، أو يتأمل، أو يقارن، كي يقنع المتابع بسلطته، وسيطرته، وحاكميته، ونفوذه، تجاه قبول الحجة والبرهان، وسبر أغوار النص، واختبار الفكرة المنتقاة وتمحيصها، وغربلة وصهر ما يسوقه إلى قرائه، وبذلك يتجنب أن يجلب لهم الحشف وسوء الكيل، والباحث الذي

ينوي شطب أبيه والانتساب لعمه ـ كما قال أبو سعد ـ لا يكون بهذا الضعف والاستسلام الذي مر بنا وهو يميل، ويرجح، ويهدد بالجزم، في ثوان لا غير، ثم بدأ الباحث يسرد (الأسباب) التي تؤكد صدق ما ذهب إليه الثلاثة من مذحجية قبائل فيفا، وكانت الباعث الذي ألح عليه بالميل ثم الترجيح فالجزم، ومن تلك الأسباب **يقول**: (أولاً: من المعروف في كتب التاريخ أن منطقة فيفاء هي من سراة جنْب، وما دام كذلك فلا شك أن سكانها من فروع أبناء مذحج). ج١ص٣٠٢.

قلتُ: ليس من المعروف، وهذه الجملة تُعَدُّ في التغرير والاستغفال، مع التسليم بأن "من عَلِمَ حجة على من لم يعلم"، والمؤلف يقول: كتب التاريخ (بصيغة الجمع) بحيث أصبح ذلك أمراً مشهوراً معروفاً، وبالعودة إلى المحتوى الذي شمل خمسة أجزاء لم أعثر على أي نص تاريخي يشير إلى (أن فيفا من سراة (جنْب)، ولمن لا يعرف (سراة جنْب) فهي التي يطلق عليها اليوم (سراة عبيدة) فمتى كانت فيفا من سراة عبيدة؟ وتمنيت أن يكون المؤلف تلطف وأوردَ لنا هذه المعلومة الجغرافية العزيزة، ولو من كتاب تاريخي واحد على الأقل.

إما إن كان قد ذكرها ولم أهتد إليها فإني أناشدكم الله أن تدلوني عليها ـ لمن يقع الكتاب بحوزته ـ لأهميتها القصوى بحيث جعلها الباحث تتصدّر قائمة أدلته.

ولا أحد يحيلني للنصوص الثلاثة أعلاه فليست من مصادر التاريخ ولا الأنساب ولا الجغرافيا، في شيء ولا يرجع لها في أي شأن كمصدر يختص بفيفا، وهي لا تعرف موقعه من خريطة الأرض مهما تكلفنا الاجتهاد، ومن يأتي على ذكر فيفا عرضاً في ربع سطر عبر مجلدين فلا يعد مصدراً لأخبارها، وأنسابها، وجغرافيتها، لأنه في الحقيقة لا يعلم عنها شيئاً، وليست موضوعه، وحتى يدلني القراء على ما نقله الباحث ـ عن كتب التاريخ على أن منطقة فيفا تقع في (سراة جنْب) ـ تبقى هذه الفقرة من قبيل التهويش والمزاعم الواهية التي لا تستند إلى برهان.

ثم يسوق الدليل التالي فقال: (ثانياً: عندما رحلت قبيلة (رهاء) المذحجية في العصر الجاهلي من جنوب اليمن تخطت قبائل خولان قضاعة حتى نزلت جنوب سراة جنب المعروفة في زمننا هذا بسراة فيفاء واستقرت هناك مع شقيقاتها من قبائل فيفاء المذحجية ووفد منهم وفد على النبي ﷺ ، مما يدل أن هذه المنطقة من ديار (مذحج) قبل أن تشرق شمس الإسلام بمئات السنين). ج٢ ص٣٠٣.

<u>**قلتُ:**</u> (تنَهَّز) فخطوط سير الهجرات من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها لـ (رهاء) المذحجية ـ التي يترنم بها الباحث حتى بُح صوته ـ أو سواها إنما هي افتراض، واحتمال وتصور، يجيء في سياق الحديث عن موجات الهجرة العربية من الجنوب للشمال، وحركتها، وتعاقبها، وليست حقيقة تاريخية يلزم

التسليم بها، وتعقب مسالك الهجرة العربية من الجنوب إلى الشمال في العصور المبكرة ورصدها في الحل والترحال منذ لحظة انطلاقها حتى استقرارها في موطنها البديل بهذا التوصيف والدقة الخارقة أمراً مستحيلاً، ولا تتأتى إلا لشاهد عيان يسرد لنا قصة (رُهاء) وكأننا نتابع فيلماً سينمائياً من إخراج جيمس كاميرون.

ومن قرأ التاريخ عرف بالبداهة أن الاستدلال بمثل هذه الفرضيات التي لا يدعمها دليل إنما هو غاية الإفلاس، ومنتهى المحل والجدب، لا سيما من قبل باحث يتناول الأنساب بما تشكله من حساسية مفرطة في المجتمعات العربية.

وتحديد نقطة جغرافية بعينها أمر محير فعلاً فيكون النزول في (سراة جنْب) ولا يكون ذلك كافياً، بل يضيف (المعروفة في زماننا هذا بسراة فيفاء)، لاحظوا أن الباحث هنا يتحدث عن تاريخ العرب قبل الإسلام وهو لا يجهل المستندات التي يجب عليه أن يحضرها في معيته وهو يناقش هذه الحقبة الغابرة، لكنه لا يمتلكها إنها الأدلة الأثرية التي تفيد بمرور أمة تعرف بـ (رهاء) من هنا تحديداً، وحين يعجز عن توفيرها يلجأ إلى صناعة الأمكنة وابتكار الأسماء الجغرافية فجعل فيفا من جنوب سراة جنْب وهي ليست منه، نعم عند المشاحة تقع (جنب) إلى الشمال الغربي منه بفاصل يزيد عن ٧٠ ميلاً في خط أفقي وتلك ديار جنب التي تسكنها قديماً (الحباب) و(الجحادر) و(سنحان) ثم قبائل (شريف) و(عبيدة) و(بشر) وتعرف حاليا بـ (سراة عبيدة)، أما (سراة فيفا) فهو

اسم مستحدث طارئ لا يعرفه التاريخ ولا تقرّ به الجغرافيا، ومناقشة باحث له هذه الأساليب والابتكارات التي لا تخطر على بال أعتى المدلسين فأمر في غاية الصعوبة.

ثم طرح دليلا آخر فقال: (ثالثاً: من مواطن قبائل مذحج وادي (ضمد) والمناطق المطلة عليه من جهتي الجنوب والشمال التي هي لا تزال وإلى وقتنا الحاضر من مواطن قبائل فيفاء وبني مالك فيفاء وقبائل حريص، وما وداي ضمد إلا نسبة إلى أحد أجداد هذه القبائل وهو ضمد بن يزيد بن الحارث بن عُلّة). ج١ ص٣٠٤.

قلتُ: لا وجود لهذا الضمد إلا عند الأكوع محقق الإكليل، ولم أعثر عليه في الأنساب ولا التاريخ ولا الجغرافيا، وقد وضع المؤلف حاشية ذات الرقم (٢) نهاية العبارة أعلاه، وفي الهامش أحالنا إلى صفحة ٧٦ من صفة جزيرة العرب للهمداني وما عليكم أن تبحثوا عن هذه المعلومة هناك فإن لم تجدوها في متن الصفة فلا تندهشوا، وإنما تيقنوا أن الفأر قد سبقكم إليها فأكل ضمد بن يزيد بن الحارث، و هذه ليست المرة الأولى التي يحيل فيها القارئ إلى متن كتاب يخلو من الإحالة تماماً ولا يفرق بين الإحالة للمتن وهوامش المحققين، فيقع في المحذور غالباً، وسنرى لاحقاً أمثلة كثيرة على ذلك، وعلى افتراض أننا عثرنا على ضمد بن يزيد ـ الذي لا وجود له ـ يظل ما ساقه هنا لا يصح الاستدلال به على أن فيفا تنتسب لمذحج حتى يلج الجمل في سم الخياط، ولأنه لا يستدل

على الأنساب من أسماء الأمكنة والأعلام المشهورة، أو يستنبط من ضفاف الأودية، ومَنَاحِت السيول؛ لمن لم يعرف نسبه فكيف بمن ينتسب إلى خولان قضاعة منذ نشأته؟. وقد ساق الهمداني سلسلة أنساب سعد بن سعد بن خولان إلى أن قال: (ووَلَدَ داهكة بن الربيعة: عبدا والحويرث بطنان، ودارهم من أسافل ضمد إلى الخفوقة من أعلى بيش). الإكليل ج١ ص٢٦٥.

وهذا الامتداد الجغرافي يناقض أقوال باحثنا الذي منح ضمداً لمذحج باردة مبرّدة، أما إضافته بني مالك إلى فيفا عند ذكرها فيأتي استغلالاً للعبارة التي تضاف للتفريق بين موالكة الطائف عن موالكة جازان، فأضافهم هنا من باب التَّكَثّر جغرافيا ولم يتورع أن يُفَصِّل لهم نسباً ولن يستطيع القارئ التكهن بهذا النسب الجديد الذي خلعه على بني مالك!! (؟؟؟) .... صح! (مذحج) كيف علمتم ذلك؟ .. نعم لقد نسبها إلى مذحج باعتبار أنهم يقعون في أحد رفيدة وفق الخريطة الجديدة لبلاد خولان، وكما فعل ببني مالك فعله ببلغازي فنسبها إلى (؟؟؟)... لا طبعاً لن أقول لكم هذه المرة!! .. فأنا أريدك أن (تحْتكون) أنتم!! لكنه لم يضفها إلى فيفا .. وفي الجملة لم يَعُد تحت أديم السماء إلا مذحجي.

وأختم هذه الحلقة بما كنت أشرت إليه في ردي على أحد الأخوة ضمن هامش الحلقة الثانية قال المؤلف: (وما هذان الحلفان القديمان المعروفان باليهنوي والفرودي إلا كغيرهما من الأحلاف القبلية التي عرفت بها القبائل التي انفصلت

عن أماتها ودخلت بالحلف مع قبيلة أخرى، وتسمت باسمها وانضوت تحت إمرتها وتحارب معها)..... إلى أن يقول: (وهكذا حدث في قبائل فيفاء التي انضوت تحت حلف (اليهنوي)، فإنه مع مرور الزمن على هذا الحلف القديم نسيت هذه القبائل نسبها إلى أجدادها الأعلون من مذحج وأصبحوا ينتسبون إلى خولان قضاعة). ج١ ص ٣٢٢.

قلتُ: إنا لله وإنا إليه راجعون! مع طول المدة نسيت نسبها الأصلي وانتسبت خطأً إلى خولان قضاعة!! وهنا اعتراف صريح من مؤلف الاستقصاء بخولانية قبائل فيفا نسباً لا حلفاً قال (أصبحوا ينتسبون إلى خولان قضاعة).. ولكن يا للأسف فقد كان عن طريق الخطأ بحسب الإلهام الذي تنزّل عليه، أو لنقل إنها بعض الكرامات طالما كان عريًّا عن أي دليل، وهو حين يدندن على مسألة الذهول والنسيان الذي اعتراهم فتاهوا عن جدهم الأصلي، فإنه يتناقض كثيراً مع ما قرره من قبل أثناء حشده الأدلة على مذحجية قبائل فيفا وسنعود لاستكمال نقاشها، إنما سبق أن قال (خامساً: وجود قبائل بفيفاء من الفروع الحديثة تنتسب إلى أجدادها الأعلون من قبيلة مذحج إلى هذا التاريخ). ج١ ص٣٠٥.

قلتُ: لم ينتسبوا إليهم بشهادة الباحث أعلاه وإنما هو من نسبهم إلى غير آبائهم، أما هم فينتسبون إلى خولان من قضاعة، والمؤلف يعلل ذلك بالنسيان لتقادم العهد، أسألكم بالله هل لمحتم شيئاً مماثلاً كهذا من قبل؟!!.

(٦)

نكمل سوياً بحث الشواهد والأدلة والمرتكزات التي حملت الباحث إلى إقصاء نسب خولان عن قبائل فيفا، فساق الدليل التالي قائلاً: (رابعاً: من القبائل المذحجية التي عاشت في هذه المواطن من أعالي وادي ضمد قبيلتا ضمد، وصداء بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد). ج١ ص٣٠٥.

<u>**قلتُ**</u>: ما بال وادي ضمد هذا؟ مرة لقبيلة صداء، وأخرى لقبائل جنْب، وثالثة لقبيلة ضمد بن يزيد؟ ولم يستقر الباحث على قول ومتى عثر على مذحجي ألقى به في وادي ضمد دون تريث، ولو سأله سائل عن الأدلة التي اتكأ عليها لأعياه الجواب، وصداء التي جعلها الباحث من وادي ضمد هم حلفاء بني الحارث بن كعب، من قبائل نجران، وكيف يمكن الجمع بين هذا التضاد والتنافر؟ والرجل حاطب ليل في جمع الأدلة، وهو هنا ينقل ما ظفر به من كتاب أُلّف عن قبائل عسير في الجاهلية والإسلام لعمر بن غرامة العمري ساق فيه الطوام وجعل نصف أعلام العرب بين محدثين، وحفاظ، ومصنفين، من رجالات عسير وأعلامها وقد توبع على ذلك من قبل النقاد وتم بيان أباطيله، والمدلس ينقل من مدلس آخر لا يعتد به ولا يلتفت إليه، ومذحج عند المؤرخين لا علاقة لها بضمد وجبل فيفا بل تفصلها عنها مسافات جغرافية شاسعة، وليس هناك مصدر تاريخي يجعل لمذحجي موطئ قدم في وادي ضمد.

ثم يستأنف الأدلة فقال: (خامساً: وجود قبائل بفيفاء من الفروع الحديثة تنتسب إلى أجدادها الأعلون من قبيلة مذحج إلى هذا التاريخ منهم الآتي:

١)ـ آل سلمان: بنو سلمان بن علي بن مراد). ج١ ص٣٠٥.

قلتُ: ليس صحيحاً ما ذكره المؤلف هنا في مسألة الانتساب لمذحج، وإنما الباحث آية في جهل المختلف والمؤتلف ولديه جرأة على الكذب غير مسبوقة فقال ينتسبون إلى يومنا هذا إلى جد مذحجي هو (ساب عليٍ) سلمان بن علي، ولم يقل المشهور هو: سلمان بن .. (فرحان) بن .. مغامر بن ... عبيد بن (أحمد) .. بن هانئ بن خولان بن عامر بن الحافي ... بن قضاعة ..بن حِمْيَرْ .. ، وبعد إيراده النسب بكل أمانة وحيادية يأتي إلى ذكر ما ترجح لديه، وإن خفي عليه فليسأل القوم عن نسبهم وسيخبرونه بما علموا، وذلك أقل ضرراً من نسبهم إلى جدٍ لا وجود له في خولان أو (مذحج). ومضى المؤلف **قائلاً** :

٢)ـ (قبيلة آل بالحكم (حكامية السراة) وهم بنو الحكم بن سعد العشيرة). نفس المصدر.

قلتُ: هذا كلام لا أصل له، وتدليس عريض فقوله: (حكامية السراة) نعت اخترعه من عنده حتى يقابله بـ (حكامية تهامة) وهذا يسمى الكذب والوضع، والخرفعة، و(حكامية السراة) فرية تسير على قدمين، وهو لا يعلم بالمؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب فيأتي بـ أبي بكر بن الخطاب!، إلى جانب عمر بن أبي قحافة!، ولا يلتفت أبداً، والمعروف أن هذا (الحكم) من

خولان، وهو غير (حكم) سعد العشيرة المذحجي، والتشابه في الأسماء لا يحملنا على خلط الأوراق وابتكار الأنساب تماماً كما أن (عبدلي) فيفا غير (عبدلي) الحجاز، وكان يتوجب على الباحث أن يسوق نسبهم بحسب ما وصل إليه وهو: حكم بن.... حِجْرٍ بن.... عطاء بن أحمد بن... (هلال) بن هانئ بن خولان بن عامر بن الحافي بن... قضاعة بن... حِمْيَر.

ثم يقول بعد ذلك: هذا هو نسب قبيلة بني حكم في فيفا الذي يعرفونه، ويعرفه غيرهم من أبناء عمومتهم من ولد عطاء، ولهذا عندما هاجرت إحدى العشائر الحكمية من فيفا لم تلتحق بمذحج وإنما التحقت بخولان ويعرفون بأهل (امدوشة) في جبال منبه وقد أصبحوا اليوم قبيلة كبيرة، ثم يتوجب على الباحث أن يورد ما ترجح لديه بالأدلة والقرائن بعد فحصها ونقدها وتشريحها وينسبهم إلى من شاء سواءً إلى الحكم بن بَهْراء، أو الحكم بن سعد العشيرة أو الحكم بن حِجْر الخولاني، أو الحكم بن عتيبة، أو الحكم بن نمير، وهكذا تكون الأمانة العلمية ودقة الباحث الذي يدرك أبعاد عمله، ويتورع عن التدليس وهو ما لم يفعله صاحب الاستقصاء بل انطلق يعبث ويخلط الأنساب والجغرافيا والتاريخ ليخرج للناس تغريبة أخرى لبني هلال كلها أساطير لا تتكئ على منهجية علمية.

ثم استأنف الأدلة فقال:

٣)ـ (آل امحرب: نسبة إلى حرب بن منبه ... وكذلك قبيلة الأيتام وقبيلة أهل مدر (هكذا) ... يقال أنّ أصلهم آل الصلت من نجران نسبة إلى الصلت

بن معاوية بن عمرو بن معاوية الجنبي المذحجي). ج١ ص ٣٠٦ و٣٠٧.

<u>**قلتُ**</u>: عبارة يقال أنّهم من نجران للإيهام فقط، وهم أدرى، ولم يقولوا، وإنما غيرهم من قال، واسم حرب في القبائل العربية كثير وفي خولان حرب حين يقولون بخولانيتهم، أما حرب والأيتام والمدري وهم الصلت فيعودون لحجر بن عطا بن أحمد (حمد) بن ...(هلال) بن ... هانئ بن خولان بن عامر قال الشاعر يحيى بن محمد (حوالي ١٢٦٥هـ - ١٣٤٧هـ تقريباً):

ربوع امكدرة تطلع بالاركان

وها لاربع قبايل

وعد آل (امصلت) يا زرب الاطراف

وداعيها العطاوي

واقتحام الأنساب بهذه الصلافة لمجرد تشابه الأسماء لا يبرره البحث العلمي حين يلقي بالمنهجية وراء ظهره .. وإنما هي العبثية والغوغائية فلا علم هنا ولا بحث حتى يقول بأنهم ينتسبون إلى جد مذحجي .. سأسأله هذا السؤال فإن أجاب عليه فالرجل صاحب مقاصد حسنة، وباحث عن الحق ولن يجيب.

والسؤال: من هو الذي أخبرك من قبيلة (آل امحرب) بفيفا أنهم ينتسبون إلى (حرب بن منبه المذحجي)؟.

سنفترض أن الباحث أجابنا على هذا السؤال فقال:

في الحقيقة لم أسأل أحداً منهم، ولم يذكر لي أحدٌ من قبيلة آل امحرب بفيفا شيئاً عن نسبهم المذحجي، وإنما قلت ذلك اجتهاداً مني لموافقة الاسم في جدهم لاسم (حرب بن منبه).

عندها سنسأله السؤال: فلماذا جزمت أنهم ينتسبون إلى هذا الجد المذحجي؟

فإن قال: لا أقصد من عبارة (ينتسبون) إلا ما كان من تشابه في اسم الجد . .

حينها نقول: لم تكن دقيقاً ولا أميناً في نقل الواقع، وارتكبت مخالفة تعد في قائمة الكذب والتدليس، وهي من أقوى الأوصاف القادحة عند أهلم العلم.

لكن ماذا لو جاء الرجل وأخبرنا باسم أحد المعمرين من هذه القبيلة وقال: الذي نقل لي أنهم ينتسبون إلى (حرب بن منبه المذحجي) هو فلان بن فلان الحربي الفيفي، عندها سيكون سقط عنه حكم الكذب والتدليس، ويبقى عليه حكم الإهمال وعدم الدقة في ذكر مصادره من النسابين الذين اعتمد على رواياتهم في هذه القبيلة وغيرها حينما انتسبوا لجدود مذحجية.

ثم يمضي الباحث في سرد الأدلة قائلاً:

٤)ـ (ومن قبائل فيفاء التي لا تزال تنتسب إلى جدها الأعلى إلى وقتنا الحاضر قبيلة آل شراحيل ... من أبناء شراحيل مذحج). ج١ ص٣٠٨.

قلتُ: هكذا لا يتورع عن الوقوع في الكذب الصريح فقوله: لا تزال تنتسب إلى جدها المذحجي كذبٌ ومَيْنٌ وافتراءٌ كسابقاتها من القبائل التي زعم انتسابها لمذحج فيما مر بنا، ولو قال: تنتسب لجد اسمه شراحيل لم يجزم أحدٌ من نسابهم بخولانيته أو مذحجيته مثلاً، والصواب أنه المذحجي فلان بن فلان .. ثم يسوق النسب الذي ثبت صوابه لقبيلة آل شراحيل، وهم مخيرون بين القبول والرفض وفقاً للأدلة والقرائن التي يسوقها، أما قوله تنتسب لمذحج إلى يومنا هذا فليس صحيحاً، ودليله على نسبة آل شراحيل لمذحج أوهى من خيط العنكبوت فالتشابه في الأسماء ليس دليلاً على أن هذه الأمة تنتمي لتلك، والعرب تسمي بالاسم الواحد عشرات الآلاف من الأشخاص فلا يكون عمرو في آل عبدل هو نفسه عمرو الذي في آل شراحيل، ولا حسن بن جابر الذي عند (آل الثويع) هو حسن بن جابر ذاته الذي عند (آل بني الحكم) وإنما تشابه أسماء ليس إلا.

ويستأنفُ الباحث في استعراض البراهين قائلاً:

٥)ـ (البيتين: من أبناء عمر بن عوثبان بن زاهر بن مراد بن مذحج وهم العُمريين، وكان يطلق عليهم عمر الجبل، والدفريين ويعرفون بعمر السهل، وآل ظلمة. [هكذا]!، وربما أنهم خليط من قبيلة (رُهاء) التي رحلتْ من فيفاء زمن الفتوحات). نفس المصدر ص ١٠٨، ص ١٠٩.

__قلتُ:__ لا (رُهاء) ولا رحيل زمن الفتوحات، ولا ما يحزنون، وإنما يروج هنا لفرضيات كاسدة لا تستندُ إلى أدلّة على الإطلاق، وكنت أتمنى حضوره ليكون الحوار متكافئاً لكن حجته أوهى من بيت العنكبوت، ففضل الغياب على اعتبار (وجهٍ مغيِّب ما تَلحقو ملامهْ) وعوثبان المذكور ليس له من الأبناء عند النسابين إلا عامرا وعَمْراً، و(العُمَري) نسبة إلى جد اسمه (عُمَرُ) لا (عَمْراً) وقد توهم الباحث أنه ظفر ببغيته لدى عوثبان المذحجي، ولن يكون النسب إلى (عمرو) إلا (العَمْري) أما النسبة إلى هذه القبيلة في فيفا فهي (العُمَري)، وهو لا يعلم مقصد شاعرهم محمد بن جبران الظلمي حينما قال:

(خولان) وا (قحطان) لاعةْ ❋ ❋ مقد توافقنا فطاعةْ

ولا مسدّة في طريق

انظر باقة من تراث فيفا ص٩٨ لمؤلفه الشيخ على بن قاسم الفيفي.

ولا أدري ماذا سيكون ردة فعله لو كان حياً ونمي إلى علمه أن أحداً ينسبه لقحطان لاعة؟!! .. وما هذا التكلف والفذلكة والوضع والاختراع في أنساب قبائل فيفا إلا لأجل أن ينسبها الباحث إلى مذحج. راجع ـ للتحقق من أبناء عوثبان ـ نسب مذحج كتاب (نسب معد واليمن الكبير) لمحمد بن السائب الكلبي.

ويستأنف الباحث في حشد شواهده على مذحجية قبائل فيفا فيقول:

٦)ـ (وجود أماكن من مواطن هذه القبائل فيفاء [الصواب بفيفا] تنسب أسماءها إلى فروع من قبيلة مذحج إلى هذا التاريخ ومنه على سبيل المثال لا الحصر الآتي:

أ ـ وادي ضَمد: نسبة إلى ضمد بن يزيد بن حرب بن علة بن جلد بن مذحج.

ب ـ العَبسية: نسبة إلى عبس بن مراد.

ج ـ جبل مُراد: نسبة إلى مراد بن مزحج.

د ـ وادي مُراد: نسبة إلى مراد بن مذحج.

هـ ـ وادي شَكَر: نسبة إلى شكر بن ناجية بن مراد.

و ـ وادي جذيمة: نسبة إلى أحد أبناء علة بن جلد بن مذحج، ولعله جذيمة بن سليم بن رهاء بن منبه بن حرب بن علة ابن جلد، وربما نسبة إلى جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع بن عمرو بن علة بن جلد، والله أعلم.

ز ـ وادي عوف: نسبة إلى عوف بن حريم بن جعفي بن سعد العشيرة من مذحج، وربما نسبة إلى عوف بن المعتص بن حبيب، وهو عند الأشعري: عوف بن حبيب بن غُن، الذي من سلالته (حِجِر) الذي تنتسب إليه عدة قبائل من فيفاء، والتي من ديارها جبل حِجِر، والله أعلم). ج١ ص٣٠٩.

قلتُ: ضمد بن يزيد من أوهام الأكوع محقق الإكليل، ولا أصل له وقد ولد هذا الضمد على يدي أحد المصحفين المتأخرين فلم يكن موجوداً على خريطة

المعرفة الإنسانية حتى سنة ١٢٠٥ للهجرة، وليس هناك جد جاهلي أطلق اسمه على أي من الأودية المشهورة سوى حرض بن خولان.

ولو افترضنا جدلاً أن أحد الباحثين جاء ليرد على المؤلف ونسب مواضع في فيفا إلى أبناء قضاعة في معرض الاستدلال على قضاعيتها فقال:

أـ العبسية [قمة جبل فيفا] نسبة إلى عبس بن خولان بن عمر بن الحاف بن قضاعة.

ب ـ وجنيب امْسَوَدْ، وحبيل آل مسود [غرب وادي الحلط، وشمال غرب الحكميين] نسبة إلى: سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة.

ج ـ واللَّوذ [غرب جبل آل عبدل] نسبة إلى: لوذ بن الحاف بن قضاعة.

د ـ وحيدان [في بقعة العذر] نسبة إلى: حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

هـ ـ ومقرع [في جبل المشنوي] نسبة إلى: الأقرع بن مجيد بن عمرو بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

و ـ والمشعبة [في ذبوب شرق فيفا] نسبة إلى: شعب بن حي بن خولان بن عمرو بن قضاعة.

ز ـ والرثيد [في بقعة آل امخسافية] نسبة: إلى مرثد بن حي بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ح ـ ووادي الحجوري [من أودية فيفا الشرقية] نسبة الى حجر بن الربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو بن قضاعة أو ربما إلى حجور بن خولان . . والله أعلم.

ط ـ والهميس [من قرى شرق فيفا] نسبة إلى هماس بن حجر بن مالك بن الربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو بن قضاعة.

ي ـ والموبرة [عدة بيوت وحصون] نسبة إلى وبر بن زيد بن أرطأة بن شرحبيل بن حجر بن الربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ك ـ والعرام [موضع وبيت غرب العمريين وشرقها بفيفا] نسبة: إلى عرام بن الأصحر بن أسامة بن زيد بن أرطأة بن شرحبيل بن حجر بن الربيعة بن سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ل ـ ووادي الكرمة [من أودية فيفا الشمالية] نسبة إلى: كرمة بنت جرير بن حجر بن سعد بن عمرو من بني سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

م ـ وعِلْيُ المسلم [من قصبات فيفا الشرقية في جبل العمريين] نسبة إلى المسلم بن عباد بن محمد بن كثير بن جرير بن حجر بن عمرو من بني سعد بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ن ـ ووادي آل غالب [وادٍ خصيب به مناهل وعيون غرب فيفا] نسبة إلى: غالب بن مكروه بن الأصبغ بن شهر بن الأصبغ الأكبر بن حجر من بني سعد بن خولان بن عمرو بن قضاعة.

س ـ والفاحش [من قرى شرق نيد الضالع] نسبة إلى: الفاحش بن حرب بن سعد بن سعد بن خولان بن عمرو بن قضاعة.

ع ـ وحاذر [من قرى فيفا الشهيرة في شمالها] نسبة إلى: حاذر بن صحار بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة .. وبالمناسبة فمن أبناء صحار عامراً الذي مواطن أبنائه ما بين دفا إلى نجد قيوان إلى سراة جنب إلى بيش.

ف ـ وحبيل العباد [يقع أسفل الجبل غرباً] نسبة إلى: عباد بن باقر بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

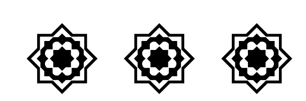
ص ـ ووادي امعرف [من أودية غرب فيفاء الشهيرة] نسبة الى معرف بن عبدالله بن ناشر بن جماعة بن هلال بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ق ـ ولحج المعاستم [من لحوج المشنضبة الواسعة] نسبة إلى معاصم بن حبيب بن هلال بن هانئ بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

ر ـ ومعْشَم [غرب جبل فيفا] نسبة إلى: أعشم بن الحاف بن قضاعة.

ش ـ ووادي شكر [من أودية فيفا] نسبة إلى: شكر بن الأخضوض بن الأزمع بن خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة.

قلتُ: وهذا فقط عن الأمكنة فماذا عن أسماء القبائل والبطون والعشائر؟، ولنفترض جدلاً أن باحثاً جاء فسرد هذه القائمة للتأكيد على خولانية فيفا، فما الذي يجب فعله؟ .. إن رأيتم باحثاً يفعل ذلك لزمكم أن (تُوَسّرُونو بعتبة سِفْلِنْ، وتبَهّمُونو) لأنه سيؤذي نفسه ومن حوله طالما كان هذا فعله بعد إن أصبح معدوداً فيمن رفع عنهم القلم.



(٧)

نماذج لمنهجية الباحث في التَّذحيج:

أولاً: النقل عن نص ظاهره الفساد.

قلت: لكم في الحلقة الخامسة إن الأدلة التي اتكأ عليها المؤلف لتذحيج قبائل فيفا فاسدة وأشرت للنصوص الثلاثة التي استلها الباحث من مؤلفات سائمة وزعم أنها تنتمي للتاريخ والأنساب.

وقلتُ: فليست من مصادر التاريخ ولا الأنساب ولا الجغرافيا في شيء، ولا يرجع لها في أي شأن كمصدر يختص بفيفا، وهي لا تعرف موقعه من خريطة الأرض مهما تكلفنا الاجتهاد، ومن يأتي على ذكر فيفا عرضاً في ربع سطر عبر مجلدين فلا يعد مصدراً لأخبارها، وأنسابها، وجغرافيتها، لأنه في الحقيقة لا يعلم عنها شيئاً، وليست موضوعه. انظر الحلقة الخامسة من هذه السلسلة.

وقد سمعنا الباحث وهو يقول:

(ولذلك فإني أجدني أميل إلى ما قاله المؤرخون الأخيرون عاتق بن غيث البلادي، وأبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، والباحث محمد بن جابر شامي، من أن قبائل فيفاء تعود من قبيلة مذحج المعروف (بمالك بن أدد)، وأرجح ما ذهبوا إليه من نسب هذه القبائل إلى مذحج، وقد أراني أجزم به لعدة أسباب). ج١ص٣٠٢.

قلتُ: البلادي يُعد في البلدانيين المعاصرين رحمه الله، إلا أن الباحث ينعت الثلاثة بالمؤرخين إمعاناً في تسمية الأشياء بغير أسمائها.

إنما كان العمروي ناقلاً عن البلادي، وجابر شامي ناقل عن البلادي والباحث ينقل عنهما النص بتصرف ليبدو الأمر وكأنها عبارة مختلفة، ثم متى انضما إلى قائمة المؤرخين .. لا إله إلا الله .. فإذن ليس هناك إلا نصاً واحداً يقول بمذحجية قبائل فيفا تم نقله عن البلادي من كتابه (بين مكة واليمن)، واليوم سنعرض له سوياً بالقراءة والمناقشة، وقد مرّ بكم كيف مال، ورجّح، وجزم، في ثلاث ثوان لا غير، **فقال**: (ولذلك فإني أجدني أميل إلى ما قاله المؤرخون الأخيرون عاتق بن غيث البلادي، وأبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، والباحث محمد بن جابر شامي، من أن قبائل فيفاء تعود من قبيلة مذحج المعروف (بمالك بن أدد)، وأرجح ما ذهبوا إليه من نسب هذه القبائل إلى مذحج، وقد أراني أجزم به لعدة أسباب). ج١ص٣٠٢.

وهذا مستند الباحث، قال عاتق بن غيث البلادي عفا الله عنه: (فيفا: اسم قبيلة كبيرة من جنب، سكنوا جبلاً شاهقاً خصباً كثير القرى والمزارع والمياه ويقع شرق صبيا وهو أدنى السراة إلى الساحل، فسمي جبل فيفا، كما قيل: وادي حرض، وحرّة كنانه، وجبل عسير، إلخ).

وأضاف **قائلاً**: (ولهم سحنة خاصة يعرفون بها، ولهم لهجة تختلف عمن حولهم ولكنها لا تختلف كثيراً عن لهجات قبائل جنب الأخرى.. ومن فروعهم:

١ـ امعمامي (العمامي) واحدهم عَمّي.

٢ـ امجشم (الجشم) واحدهم جشمي.

٣ـ امداثر (داثر) داثري.

٤ـ امجافي (الجافي).

٥ـ آل المدري.

٦ـ بلحكم (بنو الحكم).

٧ـ آل متعب.

٨ـ بنو شراحيل: هم وشراحيل الحرث من بعض كذا قالوا. قلتُ: [وقد سبق أن نسبهم إلى خولان].

٩ـ آل الظلمي.

١٠ـ آل سلمان.

١١ـ آل أمتويع (آل التوي).

١٢ـ آل عمر.

١٣ـ امتيب (التيب).

١٤ـ الأبيات.

١٥ـ الأشراف.

١٦ـ الحرابية.

والفيافية يقولون أنّ بلغازي فرع من فيفا). بين مكة واليمن ص٢٩٤ و ٢٩٥.

قلتُ: فهذا هو النص الذي اقتطفه الباحث من أوله دون أن يشير لتاليه طالما كانت بغيته تتوقف عند التذحيج بقبائل فيفا الخولانية؛ فعززه، ونصره، ووقّره، ودافع عنه ما وسعه الدفاع، ولم ينقده، أو ينبه على أغلاط صاحبه وأوهامه، بل رجحه، ومال إليه، وكاد أن يجزم به، وكان أحرى بصاحب الاستقصاء أن يحسن اختيار مصادره التي يمكن النقل عنها والتعويل عليها، والاستئناس بمحتواها، كالرسائل العلمية، والبحوث المُحَكّمَة، والمصادر التي خضعت للتحقيق من أرباب التخصص، فما كل مصنَّف يصلح كمرجع أو مصدر وجلها بين النطيحة، والمتردية، والموقوذة، وما أكل السبع، ولننظر هنا ما الذي سيسلم له من هذا النص؟.

قول عاتق بن غيث البلادي يرحمه الله: إن (فيفا اسم قبيلة كبيرة)، وهمٌ، وزلة، فليس صحيحاً أن فيفا اسم يطلق على قبيلة، وإنما يطلق على جبل شاهق يقع إلى الشرق من مدينة صبيا في نهاية خط مستقيم طوله (٣٠) ميلاً تقريباً .. وتسكنه عدة قبائل تنحدر من هانئ بن خولان بن عامر، وقوله: فسُمِّي جبل فيفا كما نقول: وادي حرض، وحرّة كنانة، وجبل عسير.

فأقول: هذا لا يصح وهو قياس فاسد فتلك قبائل، وهذا اسم جبل، أما عسير فالمشهور أنها سلسلة جبلية شديدة الانحدار عسيرة المرتقى، فأُسقط الموصوف ونُسِبَتْ قبائله إلى النعت .. فقيل العسيري .. تماماً كما نفول القَهَري، فالقهر صفة للجبل وهي الصخور العملاقة واحدها قهرة، في لسان عرب الجنوب، وهي (الصفاة) فيُسقط الموصوف وينعت إلى الصفة ويقال ناجي القهري [من شعراء خولان الشعبيين المعاصرين]، لكن نسبته إلى (امقهرة) وهو حيد صخري يقع جنوب بني خولي، وقبائل فيفا تنتمي (للمكان)، كما يقال قبائل بيشة، أو قبائل الطائف، ويضافون إليه فيقال قبائل فيفا واحدهم الفيفي؛ كالصنعاني، والمكي، والدمشقي، والصعدي ... إلخ .. وبديهي أنها إضافة للمكان لا للجد فليس في مذحج جدة اسمها فيفا ولا جد بها الاسم، وإنما هي أوهام البلادي ليس إلا.

وقوله: (لهم سنحات خاصة يعرفون بها) في منتهى الغرابة، ووصف من لم يرهم، وكيف يمكن تطبيق ما قاله على أرض الواقع؟ ذلك محال، وبالتأكيد أبناء فيفا كغيرهم من سكان الجبال في عموم جزيرة العرب لا يختلفون عنهم وإنما البلادي نُقِلَ له؛ ولم يشاهد ولم يتحقق من صحة وسلامة عبارته.

أما الفروع فقد ساقها بشكل عجيب ينم عن جهل شديد تجاوز الجغرافيا إلى النسب، فزاد فيها ونقص، وأورد من لا يُعرف ومن لم يُسمع عنه أمثال النسبة

إلى العِمِّي، أو من الفروع كجشم، والجافي، والتيب، والحرابية، كل هذا التخليط يؤكد جهله بفيفا جغرافياً ونسباً وكأنك تقرأ عن فيفا غير التي نعرفها.

وختم بالقول: إن فيفا (تدعي أنّ بلغازي منها)، وهذا ليس صواباً، بل الصحيح أن فيفا وبلغازي تعودان نسباً إلى خولان بن عامر ولكن جهل المؤلف أوقعه في هذه التناقضات التي لا تستقيم مع الواقع المسلّم به.

هذا النص اليتيم الذي نقلناه هنا بتمامه ودون تجزئة هو كل ما زعم بأنه قد نقله عن المؤرخين وكان غاية بذله وجهده الجهيد! .

وخلاصة القول فلا يصح أنْ يكون ما سبق مصدراً أو مرجعاً تاريخياً وجغرافياً لفيفا وأنسابها.

فعيوبه ظاهرة لكل ذي عينين، لكنه المنهج المختل الذي اعتمده الباحث لتذحيج قبائل فيفا اليهنوية الخولانية، فتعلق بأهداب نص سقيم، متضارب، واهٍ، متهالك، لا يصح الأخذ به والتعويل عليه، فينسب قبائل فيفا الخولانية إلى جرفٍ، أو أكمة، أو جدّةٍ اندثر خبرها وتلاشى ذكرها وتبددت أقوامها، وانتبذوا النسبة إليها، ليختصم فيهم التاريخ والجغرافيا والأنساب.

ثانياً: عدم إحاطته بالمختلف والمؤتلف ذهب الباحث ـ كما مر بنا ـ ينبش أسماء مذحج وكلما عثر فيهم على علم يتفق اسمه مع جد قبيلة خولانية نسبها إليه فوراً، بل تعدّى ذلك إلى الأمكنة فاجتهد في نسبتها إلى أعلام مذحجية، فجاء في ذلك بما لم يسبق إليه وكأن الأسماء العربية حكراً على قبيلة دون سواها فلا

هلال إلا في مذحج، ولا شراحيل، ولا حرب، ولا الصلت، والحكم، وحين توهم الباحث أنه يعود لمذحج، ولم تسفعه معارفه الصرفية في اسم (ثويع)، وهل النسبة إليه (الثويعي) أم (الثوعي)؟ .. رجح عنده ـ وهو صاحب ترجيحات فاسدة بل أشد فساداً ـ إن (ثويع) ما هو إلا ذلك الذي عند مذحج ومن هنا سارع إلى تذحيج قبيلته الخولانية القضاعية الحِمْيَرِيَّة أصحاب تاج العرب لآلاف السنين، ورحمة بالقارئ الكريم آثرت عدم نقل ما ذكره عن نسب قبيلتة آل الثويع، الذي تراوح بين عدنان وقحطان، وفي الحلقة الماضية عرضنا لبعض أدلته في تذحيج قبائل فيفا الخولانية.

ثالثاً: تهافت فرضياته وشذوذ استنتاجاته تحت عنوان (الفرع الأول من فروع القسم الأول آل عبيد).

قال المؤلف: (وهذا الفرع خليط من عدة فروع من أبناء جلد بن مذحج، ومراد بن مذحج وخولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج، ومن القبائل العدنانية ومنهم الأشراف بفيفا. ولا تخلو بعض من قبائل فيفاء بصفة عامة من نقائل من أبناء خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة الذين ذابوا بينهم ومع مرور الزمن انتسبوا إليهم). ج٢ ص٩.

قلتُ: (خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج) سيلزمكم أمة تنقضي قبل العثور على هذا الخولان، وإنما ورد نص في الإكليل هذا هو (وتقول خولان إن عمرو بن سعد أخا حجر هاجر الى النبي ﷺ، وهو عم يزيد بن حجر بن ...)

وكان سبباً في وهم من نقله من النسخة المخطوطة فانظر العبارة : (خولان إن عمرو بن سعد أخا حج..ر) فقرأها المصحفون (خولان (إ) = ب ن عمرو بن سعد أخا (مذ) حج ...ر) فلم يتنبه طالما كان منهجه في التَّذحيج يدعوه دائماً إلى قبول الأخبار دون فرز أو تمحيص فقرر إن قبائل فيفا مذحجية إنما توجد بين بعضها نقائل من خولان قضاعة، هكذا [في البعض وليس في الكل]!!، هذه النقائل الخولانية كانت سبباً في إذابة القبائل المذحجية الرئيسية، للتلاشى وتضمحل ثم تنسى أصلها وجذورها وتنتسب أخيراً إلى خولان بن عامر!!. والنقيلة كما نعرف هي أسرة تلجأ إلى قبيلة كبيرة لأسباب عدة، وإنما هي المجازفة التي تتحطم على تخومها السنن الكونية ويتبدد المنطق والعقل ويصبح هباء تذروه الرياح، لقد عجز تماماً أن يقدح في انتساب قبائل فيفا إلى خولان بن عامر، فلجأ إلى هجاء مذحج على هذا النحو الذي تنهمر له عبرات أعدائهم .. ووصفهم بالذهول عن أصلهم ومحتدهم وجذورهم واضمحلوا في نقائل خولانية [بحسب وصفه].

قلتُ: فالعرب تُعنى بأنساب حيواناتها فكيف بأنسابها؟ .. وتلك الأقوام السائمة التي هجاها الباحث بشكل مقذع، لا يمكن أن يكونوا أبناء عمومتنا قحطان الغلباء، وحاشاهم عن هذا الهجاء، ولا نرتضي لأحد أن يصورهم على هذا النحو الكاريكاتوري من الكَلَحَان والخجامة الظاهرة والفلتَان مهما كانت ذرائعه.

٢ـ تحت عنوان (قبيلة آل مشني التي تعرف الآن بآل مّشنية) **قال المؤلف:**
(قبيلة آل مّشنية هي إحدى قبائل آل حجر بالحلف ويترجح عندي والله أعلم إنها تعود في الأصل من إلى مشني من أبناء الصلت بن الحارث بن معاوية الخير الجنبي بن عمرو...) إلى أن يقول (ولكنها انفصلت عنهم في زمن غير معروف وتحالفت مع آل حجر من آل عطاء كما تفعل كثير من قبائل العرب.
ومع مرور الزمن تطورت كلمة اللقب من آل مشني إلى آل مشنية مثل آل ثوعة الذين يعرفون الآن بآل الثويع، وآل الإمامي الذين يعرفون الآن بآل العمامي والله أعلم). ج٤ ص١٦٩.
قلتُ: استنتاج غريب فعلاً، ولا يعد تطوراً بل تقهقراً! ولو اطلع قارئ من خارج فيفا على ما قاله الباحث هنا لربما خفي عليه أن الباحث كان يريد الوصول إلى جد مذحجي، بغض النظر عن منطقية ما يسوقه، طالما كان منهجه تذحيج كل شيء يمر به في طريقه فلم يستثنِ حجراً أو بشراً، أو شاخصاً جغرافياً، أو وادياً، أو لحجاً، أو ساقية، إلا وخلع عليهم جبة التذحيج.
ولو اكتفى بالمشهور والمعروف لكان أولى، فيقول إنهم ينتسبون إلى أمهم (امشْنِيَة)، وهذا ما درجت عليه كثير من القبائل العربية العريقة في انتسابها إلى أمهاتها على مر العصور.
والأصل أنها إحدى قبائل الحجري ومنهم عاس ولد عطا في إحدى وثائق تأسيس سوق فيفا بداية القرن الثاني عشر.

(٨)

نماذج لمنهج الباحث في التَّذحيج.

رابعاً: مصادمة الحقائق التاريخية والجغرافية.

مثال:

١. (نَسَبَ قبائل فيفا الخولانية إلى مذحج)، وذلك يصادم ما تواتر من نسبها واشتهر، وضج به الشعر والأدب والأخبار، وشاع وعُرف وسار به القوم، وبموجبه أبرمت أسلافهم وأعرافهم منذ أن استوطنت فيفا هذه القبائل وانضوت تحت داعية خولان، وحافظت على مركزها المتقدم وتأثيره في الكتلة اليهنوية، حتى تلاشت أسباب احتفاظها بزعامتها بعد اجتياز الباب من جبل القهر في ١٩٥٣م، فانتبذ الباحث هذه الحقائق ولم يذكرها أو يلق لها بالاً سيما وهو يؤرخ لفيفا ويبحث أنسابها؛ فإن لم يكن يدرك أهميتها كمادة تاريخية واجتماعية ذات أهمية قصوى للولوج إلى ماضيها بما يحتويه من حوادث وأنساب فما الذي حمله على التصدي لأمر لا يحسنه؟ وإن كان تجاهل ذلك عمداً فقد حكم على ما أنتجه بالفناء لفقره إلى ما قد يعد في النزاهة والدقة والأمانة، وفي غيابها جاء النسب لمذحج دون أدلة أو براهين يمكن الوقوف عليها وتأملها.

٢. (قوله: فيفا من سراة جنب)، فهذا القول مصادم للحقائق الجغرافية، وجبل فيفا يفصله عن سلسلة سراة جنب ما يقارب ستين ميلاً في خط مستقيم، ومن يعرف سراة عبيدة وموقعها على الخريطة سيتفاجأ بما ذكره الباحث، ومن جانبي أعتبر ذلك مجازفة منه لم يحسن تصور عواقبها، وجنايتها على بحثه وتأثيرها السلبي على القارئ البسيط فضلاً عن غيره من المتخصصين والعارفين.

٣. نعته جبل فيفا بـ (سراة فيفا)، فالسراة في العرف الجغرافي هي السلاسل الجبلية المتصلة، وليست القمم التي تجمعها قاعدة واحدة، كحال جبل فيفا فلا يعد سراة، وليس هو في جبال السروات وإنما جبل منفصل ومستقل عنها، فلو كانت سراة أو تنتمي إلى السراة لما تأخرت هذه التسمية الجغرافية إلى عام ٢٠١٢م، ولم تظهر قبل هذا التاريخ منذ أن عرفها الإنسان.

٤. قوله (١ / ٣٥) إن جبل فيفا يعرف بـ "فيفاء الريح" وهذا مخالف للواقع الذي تعرفه (امبقر) فمن أين له هذه الريح؟ ومن اطلع على كتب البلدانيين العرب يعرف أين تقع هذه الـ (فيف الريح) التي أصبحت فيفاء الريح موديل(٢٠١٢م) وتذكروا أن الباحث مغرم بكل قول شاذ ومخالف لا برهان له، وإنما سنعذره طالما عنَّ لمذحج ذكر!، وتقع: (بين ديار عامر

بن صعصعة وديار مذحج وخثعم).. البكري، و(وفيف الريح: معروف بأعالي نجد، عن أبي هفّان).. الحموي.

خامساً: يخلط بين التدوين التاريخي والكتابة الروائية.

١. في قوله (١/ ٣٦) إن (الملك شمر يهرعش غزا فيفا قبل البعثة النبوية)، ولم يذكر أي شيء عن "شمر يهرعش" هذا؛ أهو الملك الحميري؟ أم السبئي؟، ولم يزد عن القول: (وُجِدَ هذا في نقوش أثرية) ولم يورد النقش الذي سيكون أقدم وثيقة تاريخية لفيفا إذا ما علمنا أن شمر يهرعش الأول حكم حوالي سنة ١٥٠م، ولمن يتساءل عن السبب الجوهري لعدم إيراده النقش الذي زعم فيه [غزوةً لفيفا من قبل الملك شمر يهرعش]، فهو أن لا شيء في التاريخ من ذلك حدث!! وإنما نسي أنه يؤرخ فمضى يكتب قصة فيلم يستوعب الخيال الأدبي كل تفاصيله، ولن يُسألُ ما الذي يُهَبِّبُهُ؟ ذلك لأنه يكتب أحداثاً سردية في رواية تاريخية، وهذا اسمه الكذب الصريح وسنضطر أن نورد هذا الشاهد مرة أخرى للتفريق بين الخطأ والكذب.

سادساً: فوضويته في تناول الأنساب.

فجاء على نسب فيفا ونسفه دون أن يقدم خردلة في ربطها بالأنساب التي غرفها بالصاع، فلا تدري ما علاقة أبناء عطاء ببعضهم ضمن هذا الخليط من

المذاحجة؟ ولا تدري أين عبيد من لبيد؟ بل جعل أبناء العمومة من خولان قبائل مذحجية متحالفة والأصول حولهم الى أحلاف وانطلق ينسب:

١. إلى خولان بن قحطان.

٢. وخولان بن عمرو بن سعد بن مذحج.

٣. وفروع من أبناء جلد بن مذحج.

٤. وفروع من مراد بن مذحج.

٥. وفروع من كعب بن منبه بن يزيد بن حرب بن عله.

٦. وبطون من رهاء.

٧. وبطون من أبناء عمرو بن عوثبان.

٨. وبطون من عبس بن حكم بن سعد بن مذحج.

٩. وبطون من عبس مراد بن . . مذحج.

١٠. وبنو سلمان بن علي بن مراد بن مذحج.

١١. وبنو الحكم بن سعد بن مذحج.

١٢. وحرب بن منبه بن أود بن صعب بن سعد بن مذحج.

١٣. والصلت بن معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي المذحجي.

١٤. وشراحيل بن مذحج.

١٥. وشكر بن ناجية بن مراد .... بن مذحج.

١٦. وجذيمة بن سليم بن رهاء بن منبه بن مذحج.

١٧. وجذيمة بن سعد مالك بن النخع ... بن مذحج.

١٨. وعوف بن حريم بن جعفي بن سعد بن مذحج.

١٩. وهلال بن جشم بن ... مذحج.

٢٠. وثوعة بن عوف بن راسب بن ... مذحج.

سابعاً: الاحتجاج بما ليس فيه حجة.

مثال:

١. (ارتحال قبيلة (رُهاء) المذحجية عن فيفا قبل الإسلام) فهذا القول لا حجة فيه لأنه [أي الباحث] إنما جعل فيفا في سراة جنب، ثم بنى على فرضية تاريخية واحتمال ليس إلا؛ في أن (رهاء) قد تكون نزلت ببني عمومتها جنب مدة ثم واصلت الرحيل شمالاً قبل بزوغ فجر الإسلام، وكان سيكون احتجاجه وجيها لو أثبت أن فيفا من سراة عبيدة، وهو ما لم يستطعه ولن، بل لا يصح تاريخياً، وجغرافياً.

٢. (إيراده أسماء الأمكنة للاحتجاج بها على مذحجية قبائل فيفا) ذلك لأن أسماء المعالم الجغرافية لا يستدل بها على الأنساب، ولغة العرب مشاعة بينهم فيسمون الشواخص والمعالم الجغرافية وفق قوانين لغوية مشتركة بين الجميع، ومن خلالها منحت الأعلام أسماءها وتواضعوا عليها للاستدلال والاهتداء، وهو منهج لم يدخل في علم الأنساب ولم يسبق الاحتجاج به.

٣. (احتجاجه بمفردات لغوية مشتركة بين أمة العرب) حيث ساق العديد من الألفاظ التي تجري على ألسنة قبائل فيفا وقارنها بألفاظ وردت في أشعار مذحج في الجاهلية والإسلام، وليس في ذلك أدنى احتجاج على أن قبائل فيفا مذحجية؛ ولو استعرض ديوان العرب لوجدها ألفاظ شائعة ليس عند خولان بن عامر ومذحج بل في أشعار قريش وبني عامر وهذيل وتميم وغيرهم، ذلك لأن العرب جميعا يصدرون عن لغة واحدة .. ولو كان عرض للخصائص اللسانية التي انفردت بها مذحج عن سواها من قبائل العرب ثم عقد المقارنة بينها وبين الخصائص اللسانية لفيفا لكان في ذلك شيء من الاحتجاج المقبول لدى جمهور المطلعين لكنه لم يفعل.

٤. (احتجاجه بأعلام وردت في أنساب مذحج) على غرار ضمد، والحكم، وهلال، وحرب، وشراحيل، والصلت، وغيرهم، فعثوره عليها هناك لا يفيد حجة هنا على مذحجية قبائل فيفا الخولانية، وإنما حجة على وجود المختلف في الأسماء والكنى والألقاب، ولو كان برهاناً يجوز التعويل عليه من قبل الباحثين لا اختلطت بموجبه أنساب العرب وأعلامها وكناها وألقابها، ولما كان اجتهد الأولون في إخراج مصنفات طويلة تعرف بالمختلف والمؤتلف.

ثامناً: تفعيل المنهج عند التذحيج وانتباذه فيما عداه.

مثال:

١. ما ساقه أثناء الحديث عن نسب قبيلة آل بلحكم فقال: (ويظهر حسب ما أشارت إليه بعض من المخطوطات، والروايات الشفهية من كبار السن أنه قد نزح إلى قبيلة آل بلحكم بفيفا جزء من حكامية تهامة منذ عهد قديم ومع مرور الزمن ذابوا بينهم، وأرجح أن أول هذه الأسر التي نزحت إلى فيفا واندمجت مع هذه القبيلة هي البقية الباقية من أسرة حكام المخلاف السليماني، من أبناء سليمان بن طرف الحكمي، عندما سقطت إمارتهم عام ٤٤٧هـ عندما سقطت إمارتهم على يد الصلحيين في موقعة الزرايب، وقيل في عام ٤٦٠هـ والله أعلم). ج٤ ص١٢.

قلتُ: في الاقتباس السابق عدة مآخذ:

الأول: ترجيحه أن يكون أول من لجأ إليهم هم أبناء حاكم المخلاف سليمان بن طرف الحكمي، فهذا ما لم يقدم عليه قرينة تذكر حتى يرجّح بموجبها ما ذهب إليه.

الثاني: لم يشر إلى الهجرة المعاكسة أو ما يمكن أن نسميه تبادل الهجرات بين أبناء [الحكم] بن سعد العشيرة [بحسب مزاعمه] ولماذا ضلت المجموعة المهاجرة من أبناء (آل بلحكم) طريقها عن مذحج ونزلت في (امدوشة) من خولان، ولم تنزل في سعد العشيرة؟. هو لم يقترب من هذه القصة ولم يشر إليها هنا مطلقاً.

وكما آخذناه نثني عليه في تفعيله دور الرواية الشفهية التي لا تزال مصدراً ثرياً لتاريخ وأنساب فيفا، إلا أنه وبكل أسف لم يلق لها بالاً ولم تجد الاهتمام الكافي من قبل الباحثين في الحوادث والأنساب، رغم ضرورة الاتكاء عليها في هذا الجانب، والباحث أهملها تماماً فيما أورده عن أنساب قبائل فيفا.

أما قوله: (من كبار السن) فلا صلة لهم بحوادث منتصف القرن الخامس الهجري؛ إنما مَن عناهم الباحث هم الذين يولون اهتماماً بالقصة المتناقلة عن طريق المشافهة، وقد سمعتُ من والدي أطال الله عمره، ومن جدي رحمه الله، وغيرهم العديد من القصص والأخبار ذات الصلة بالأنساب والمآثر والفروسية، تجمع بين الحكاية والأسطورة، قرائنها تشير إلى أنها حدثت ما بين أوائل القرن السابع الهجري، ومنتصف الثامن، ولستُ وحدي من سمع فغيري كذلك سمع، ومن قَبِل من الباحث حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي رواية شفهية دون إسناد عمرها ألف سنة؛ سيكون مضطراً أن يقبل رواية متعددة الطرق بيّنة الأسانيد، عمرها من ستمائة إلى ثمان مائة سنة!؛ لأنه من البديهي كما أمكن وصول أخبار سنة ٤٤٧هـ مشافهة، فإنه من الممكن جدا أن تصلنا بذات الطريقة أبرز حوادث القرنين السابع، والثامن، وما بعدهما بصورة يغلب عليها الدقة والصلابة!.

تاسعاً: الإسناد إلى راو مجهول.

١. ما ساقه المؤلف في الحديث عن أنساب قبيلة آل عبدل فقال (هي إحدى قبائل آل حِجْر المتحالفة، ويقول بعضهم: إنهم يعودون من الأشراف (العبادلة) نسبة إلى الجد عبدالله بن الحسن بن أبي نمى الثاني محمد بن بركات ...) فيجر نسبهم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم يقول: (ولكن لم نجد في المصادر القديمة، والمراجع الحديثة التي طالتها أيدينا أي ذكر يشير إلى شيء من هذه الرواية الشفهية). ج٤ ص٢٦٠.

<u>قلتُ</u>: فتأمل عبارة (ويقول بعضهم إنهم يعودون ...) فإنه أهمل الإسناد حتى لا تنكشف أوراقه في الوضع، والادعاء، والإيهام، والحقيقة أنهم ينتسبون إلى خولان بن عامر وليسوا إلى آل البيت، لكنها حمى التذحيج التي عصفت بصدق وأمانة الباحث.

٢. وحين أتى الباحث على ذكر قبيلته آل الثويع وتفصيل نسبها قال: (قبيلة آل الثويع إحدى قبائل آل حجر المتحالفة، وقد اختلف في نسب هذه القبيلة فقيل إنهم يعودون من الأشراف وقد نص على ذلك صاحب مخطوط (الجواهر اللطاف المتوجة بهامات الأشراف) ص١٥، ولكن هذه الرواية لا تستند على دليل، وقيل أنهم يعودون من قبيلة مذحج والثويعي إلى جبل ثوعة) إلى أن يقول (وأما الروايات المتواترة من كبار السن فيقال: إن هذه القبيلة تعود من ثوعة من عسير، من الأزد، وهذه

الرواية فيما يظهر أنها الأقرب إلى الحقيقة حيث وجدت أثناء البحث ما يدعمها، فقد ورد في بعض المراجع المحلية (أنه في عام ٧٠٠هـ كان لحاكم عسير والياً ـ على مخلاف فيفاء قاعدة المنطقة ـ يُدعى سعد بن إبراهيم بن عيسى الثوعي) وقد تعاقبت ذريته [التي استوطنت هناك] على ولاية مخلاف فيفا إلى زمن الإمام شرف الدين الرسي)، وإذا صحت هذه الرواية وما يتناقله كبار السن فربما أن من ذريته هذه القبيلة التي تعرف حالياً بآل الثويع نسبة إلى قبيلة ثوعه بن عوف بن راسب..... والله أعلم). ج٤ ص ٣٤٧، ٣٤٨.

<u>**قلتُ**</u>: سأكون ممتناً لمن يعرف السرّ وراء قول الباحث: (ولكن هذه الرواية لا تستند على دليل)!!. والمخطوط ليس بحوزتي ولكني سأتوقع السبب وهو أن المخطوط لا يتحدث عن الثويعي وإنما عن الثوعي فأسقطها دون أن يناقش الرواية، أو يوردها للأمانة التاريخية ثم ينقدها ويحكم عليها، ولهذا يجب أن (تزقف سبعة) طالما لم تمذحج القوم، وهو يقبل في التذحيج ما يرويه حوذي عن اسكافي عن شيخ من دارم أنه سمع رجلاً يقول: الناس مذحج.

أما التواتر الذي زعمه الباحث فدعوة باطلة، وكأنه لا يعلم أن الشيخ علي بن قاسم الفيفي نسابة فيفا ومؤرخها صهر هذه القبيلة وأول من دون أنسابها معتمداً على ما ذكره العارفون ومنهم الشيخ الراحل لقبيلة آل الثويع يحيى بن أسعد رحمه الله، وهذا النسب تم نشره قبل حوالي نصف قرن، ولم يعارضه أحد من

قبيلة آل الثويع منذ ٥٠ سنة مضت، والرجل مؤتمن فيما دونه ولم يذكر تواتراً بمذحجيتهم فنسبها إلى أصلها خولان بن عامر.

أما قوله: (وإذا صحت هذه الرواية وما يتناقله كبار السن فربما أن من ذريته هذه القبيلة التي تعرف حاليا بآل الثويع). مرة أخرى تأمل:

١. وإذا صحت هذه الرواية.

٢. وما يتناقله كبار السن.

تكون النتيجة [فربما] .... و(الفاء) واقعة في جواب الشرط (إذا) ... إنه يشترط!! وبالتأكيد لا الرواية تصح، ولا ما ادعاه الباحث من روايات.

٣. وعند كلامه على آل الصلت قال الباحث: (ينضوي تحت هذا الفرع عدة قبائل متحالفة هي الآتي:

١. قبيلة أهل مدر.

٢. قبيلة آل امحرب.

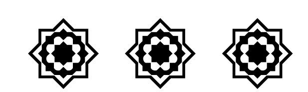
٣. قبيلة الأيتام.

٤. قبيلة آل محمد.

ويطلق عليهم جميعاً آل الصلت، والظاهر أنه نسبة إلى الصلت بن معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي المذحجي ... وإذا كان كذلك فقد يكون الصلت جداً لبعض من هذه القبائل، فانتمت إليهم القبائل الأخرى بـ (الحلف) لأن القبائل تداخلت في الأنساب، وقد بين الدكتور جواد علي الأسباب التي

أدت إلى ذلك، ومنها الأحلاف التي تطورت فيما بعد إلى الدخول في النسب، والتنقلات القبلية، والجوار بينهم لسنين طويلة). ج٥ ص ٥.

قلتُ: وانظر لقوله هنا: (والظاهر أنه نسبة للصلت بن معاوية..) فما هو معوله لهذا الظهور؟ أليس التشابه في الاسم؟ ويشترط أيضاً كما مر بنا فيقول ([وإذا] كان كذلك) ثم يضع الفاء جواباً للشرط ويقول ([فقد] يكون الصلت جداً لبعض من هذه القبيلة)، وهذا منطق عبثي لا يقبل به عاقل، وليس بهذا المنهج تعطل الأنساب، [فإذا كان] .. [فقد يكون]، فهل رأيتم كهذا التاريخ الذي يكتبه؟.



(٩)

ما هو الكذب؟

عندما احتج عدد من الأخوة القراء على وصفي لبعض أقول الباحث بأنها تندرج في قائمة الأكاذيب؛ مطالبين أن أتحاشى هذا الوصف، ولم ألمهم على ذلك فقد تخفى على الندرة من القراء تلك الحدود الفاصلة بين الخطأ والصواب، والصدق والكذب، واليوم سنعرض لهذه الفروق بشكل مفصل ليتبين لنا مدى مطابقة الوصف لواقع تلك العبارات التي وصفتها بالكذب حين استللتها من أقوال الباحث ولا يمكن نعتها بغير ذلك، لننظر تعريف الكذب والصدق حتى نفصل بينهما، فلا نسمي الأشياء بغير أسمائها فننعت الكاذب صادقاً والصادق كاذباً وفي ذلك فساد وشر وظلم بيّن، قال الزركشي: (الكذبُ: الإِخبار عن الشيء بخلاف ما هو به، مع السهو والعمد، وشرطت المعتزلة العمد، وفي الصحيح : «منْ كذبَ عليَّ متعمدًا... »). البحر المحيط (٦ / ٧٧).

قلتُ: الكذب عند الزركشي ومن تابعه هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه سواءً كان سهواً أو عمداً فلا تعريف له إلا الكذب، أما المعتزلة فاشترطوا تعمد الوضع في الخبر بما يجعله مخالفاً لما هو فيه .. وحجتهم أقوى فالمتعمد أمكن وصفه بالكذاب، ونعت خبره بالمكذوب، بينما الفريق الأول يذهب

تعريفهم للخبر عند الاطلاق ولا يمتد إلى المُخْبِر الذي قد يكون في حكم الساهي.

(الصدق: في اللغة: مطابقة الحكم للواقع، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك، وقيل: أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب. قال الكشيري: الصدق: ألَّا يكون في أحوالك شوب، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب، وقيل: الصدق: هو ضد الكذب، وهو الإبانة عما يخبر به على ما كان). التعريفات للجرجاني ص١٣٢.

وقد ذكر قبل ذلك ما يحسن أن نورده هنا وهو قوله: (وأما الصدق فقد شاع في الأقوال خاصة، ويقابله الكذب، وقد يفرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع، وفي الصدق من جانب الحكم، فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إياه). الجرجاني التعريفات ص٨٩.

قال المؤلف: (قد يكون فيفا اسم حلف كما قيل (عسير) هو اسم لحلف تمّ بين قبائل شنوئه [هكذا] وقبائل مذحج في عهد الملك "شمر يهرعش" الذي غزا فيفاء قبل البعثة النبوية، وقد وجد هذا في نقوش أثرية). ج١ ص ٣٦.

قلتُ: فعبارة: (قد يكون فيفا اسم حلف) قولٌ مردود من وجوه:

الوجه الأول: لاستهلاله قائلاً: [قد يكون]، فكلما جاء بعد هذه الجملة ضرب من التخمين، والرجم بالغيب، لا يفيد العلم، ولا يصنف في التاريخ ولا الأنساب ولا الجغرافيا ولا النقوش، ولا الآثار عموماً.

الوجه الثاني: إنَّ "فيفا" صيغة تأنيث وعلم على جبل الذي يقع شرق مدينة صبيا تسكنه مجموعة من قبائل اليهانية الخولانية، وإذا تحدثنا عن (جبل فيفا) اعتبرنا [فيفا] نعتاً لمذكر فنقول: [وجبل فيفا يرتفع عن سطح..] أما إذا تحدثنا عن فيفا بمفردها اعتبرناها نعتاً لمؤنث محذوف فنقول: [وتقع فيفا في ..] فحذفنا المنعوت وهو [ديار] تلك الديار التي تشمل السفوح الجنوبية الممتدة على ضفاف جورا، والسفوح الممتدة غرب وشمال ضمد فكلها ديار تابعة لفيفا.

الوجه الثالث: إنّ الحلف في صيغة المفرد لا يمكننا نعته بضمير المؤنث، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: (لقد حضرت في دار ابن جُدعان حلفاً لو دعيتُ إليه الآن لأجبت). وهو حلف الفضول. فلم يقل لو دعيت إليها.

الوجه الرابع: إنّهم يقولون (فيفا مِها جرف يومٍ ولـ امشروقية) بإمالة [مِها] للتأنيث، ولو كان حلفاً لقالوا [مَهَا] دون إمالة للمذكر.

أما قوله إن الملك "شمر يهرعش" غزا فيفا قبل البعثة النبوية؛ فأكذوبة متعمدة لا دليل عليها مطلقاً، ولا سبيل هنا للوهم، ولا مكان للالتباس في هذا الخبر مع غيره فموقعها الجغرافي معروف وحدودها معروفة بينة وليس هناك نقش يذكر فيفا أو غزوة لملك سبئي أو حميري، وأما ما ساقه المؤلف على صفحتي (٢٩٦و٢٩٧) من نفس الجزء الأول فقال: (وفي تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي، إن الملك (شمر يهرعش) جمع قوة في مدينة (صعدة) في خولان العالية، أي الشمالية (خولان جدداً) ثم تقدمت منها نحو الشمال الغربي

إلى حدود (خولان) القديمة في وادي (دفا) حيث حاربت القبائل المجاورة الساكنة في الغرب).... ثم يعلق الباحث بالقول: (قلتُ: إن من القبائل التي تقع في الغرب وفي الشمال الغربي من صعدة خولان القديمة (خولان بن قحطان) ومنها قبائل فيفاء وبني مالك فيفاء، وهذا يدل على أن ديار هذه القبائل ليست من ديار خولان قضاعة، ولا ينتمون إلى سكانها الخولانيين، فقد حدد النص الذي أورده الدكتور جواد حدود ديار خولان قضاعة بوادي دفا ومن وادي (دفا) تبدأ حدود القبائل التي تقع في الشمال الغربي (خولان القديمة) خولان بن قحطان). ج١ ص٢٩٦و٢٩٧.

<u>قلتُ</u>: سنضطر هنا إلى إعطاء المتابع جرعة أكبر من التفصيل حتى يستوعب هذه الخلطة العجيبة التي قادنا إليها الباحث مع سبق الإصرار.

وهنا سنورد العبارة التي نقل عنها من المفصل بتمامها ثم نجري مقارنة بين عبارات الباحث؛ ومع ما أورده الدكتور جواد علي الذي قال: (وبعد أن عاد الملك "شمر يهرعش" من حملته على وادي حضرموت، عاد فقاد حملة أخرى على "أرض خولان الددن"، "أرض خولن الددن" "خولان الدودان".

وقد كلف الملك أحد قواده بأن يعسكر في مدينة "صعدة" "بهجرن صعدتم"، ويضع بها حامية، ثم يقوم بقطع الطريق على بعض فلول "خولان الدودان"، وقد نفذ القائد ما طلب منه، فتعقب تلك الفلول.

ولما أنهى الملك الحرب التي قام بها في أرض "خولان الدودان" حارب جيشه فلول "سنحن" "سنحان" في وادي "دفا" وقد مَنَّ الإله "المقه" عليه، فأعطاه غنائم وأسرى وسبايا وأموالاً طائلة، أرضته وشرحت صدره.

وعاد الملك "شمر يهرعش" فأصدر أمره بوجوب الزحف على "سهرتن" "سهرتان" و"حرتن" "حرتان"، أي: أرض قبيلة "حرت" "حرة" وهي أرض ورد اسمها قبلاً، حيث سبق للملك أن زحف عليها، وذلك قبل استيلائه على حضرموت.

ولما انتهت القوات من مقاتلة "سهرتن" و"حرتن"، اتجهت نحو الشمال لمحاربة فلول "نشدال" "نشد إيل" في وادي "عتود" الذي يصب في البحر الأحمر، والذي يقع على مسافة "٨٥" كيلومترًا إلى الشمال الغربي من "جيزان"). مفصل ج ٤ ص٢٠٧ الطبعة الرابعة ٢٠٠١م [على المكتبة الشاملة].

قلتُ: والنص بتمامه موجود في عدد من مراجع، وانظر: محمد بن علي الحجري [لغة الضاد ونقوشها المسندية]. ج٢ ص١٠١٦، والآن نتناول الفروق بين النصين:

النص الأول: نقله الباحث عن صاحب المفصل كما أشار وفيه:

١. الملك (شمر يهرعش) يجمع قوة في مدينة (صعدة).

٢. في خولان العالية.

٣. أي الشمالية (خولان جدداً).

٤. ثم تقدمت منها نحو الشمال الغربي.

٥. إلى حدود (خولان) القديمة في وادي (دفا).

٦. حيث حاربت القبائل المجاورة الساكنة في الغرب).

النص الثاني: لجواد عليّ الذي نقل عنه الباحث وفيه:

١. الملك "شمر يهرعش" قاد حملة على "أرض خولان الددن" "أرض خولن الددن". **قلتُ**: [ترجمتها الجدد].

٢. كلف الملك أحد قواده بالبقاء في مدينة "صعدة" "بهجرن صعدتم"، ويضع بها حامية.

٣. ليقوم بقطع الطريق على بعض فلول "خولان الدودان". [الجداد].

٤. وقد نفذ القائد ما طلب منه، فتعقب تلك الفلول.

٥. لما أنهى الملك الحرب التي قام بها في أرض "خولان الدودان" حارب جيشه فلول "سنحن" "سنحان" في وادي "دفا".

٦. مَنَّ الإله "المقه" عليه، فأعطاه غنائم وأسرى وسبايا وأموالًا طائلة، أرضته وشرحت صدره.

٧. عاد الملك "شمر يهرعش" فأصدر أمره بوجوب الزحف على "سهرتن" "سهرتان" و"حرتن" "حرتان"، أي: أرض قبيلة "حرت" "حرة".

٨. أرض ورد اسمها قبلًا، حيث سبق للملك أن زحف عليها.

٩. قبل استيلائه على حضرموت.

١٠. ولما انتهت القوات من مقاتلة "سهرتن" و"حرتن" اتجهت نحو الشمال لمحاربة فلول "نشدال" "نشد إيل" في وادي "عتود".

وفيما يلي قراءة حرفية لمدلول النقش الذي تحدث عنه صاحب المفصل كما أوردها الحجري:

(أبو شمر أولط وأخوه رفأ الشوس من بني حفين وذو زنيم أقيال قبائل أيفع أقنيا المقه الصلم المذهب والذي راق له، وذلك تعبيراً عن الحمد له بأن عادوا بالسلامة والنصر من تلك الغزوات والحملات التي قاما بها مع الملك شمر إلى بلاد خولان صعدة، كما ولاهما الملك شؤون تموين وتدعيم الحراسة لمدينة صعدة ولإقرار الأمن فيها ونواحيها بعد أن حاربهم الملك، وبعد أن قاموا بحملة على قبائل سنحان صعدة القائمين بسروات وادي (دفا)، وقد تغلبوا عليهم وأخضعوهم وغنموا منهم، وقد غزوا هذه المنطقة مع أقوال وكبار وقادة الملك شمر كما قاموا بحملة على السهرات والأطراف منها كما حاربوا قبائل نشود الله بمرتفعات (وادي عتود) وقد حمدوا هيبة ومقام المقه لما حصلوا عليه من كل تلك الحملات من أسلاب وغنائم كثيرة وإرجاع المتمردين إلى الطاعة فليساندهم المقه بسلامة أسماعهم وطيب الإقامة والحظوة ورضا الملك شمر ووفرة الثمار والأمطار التي ترضيهم بالمقه). ج٢ ص٧٧٣ و٧٧٤

[لغة الضاد ونقوشها] وراجع نص النقش المصاحبة للمقال . . والآن نستعرض الفوارق:

أولاً: عند صاحب الأمانة التاريخية الشيخ الفاضل حسن بن جابر شريف الثويعي:

١. الملك شمر يجمع قوة في مدينة صعدة. (صاحب الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء).

٢. الملك شمر يقوم بحملة على خولان صعدة واسمهم خولان الأجدود، [الجداد]. (صاحب المفصل في تاريخ العرب).

٣. الملك شمر يغزو بلاد خولان صعدة (النص الأصلي للنقش ـ عن الحجري).

النتيجة: تطابقت أقوال المفصل والنقش، وشذ قول صاحبنا مؤلف الاستقصاء.

ثانياً: عند صاحب الأمانة التاريخية:

١. خولان العالية ...(الاستقصاء).

٢. ....(لا وجود لها في المفصل).

٣. ....(لا وجود لها في النقش).

ثالثاً: عند صاحب الأمانة التاريخية:

١. أي الشمالية (خولان جداً). (صاحب الاستقصاء لتاريخ جبال فيفا).

٢. ....(لا وجود لخولان الشمالية عند صاحب المفصل).

٣. ....(لم يرد ذكر لخولان الشمالية في النقش).

رابعاً: عند صاحب الأمانة التاريخية:

١. ثم تقدمت منها نحو الشمال الغربي. (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء).

٢. لما أنهى الملك الحرب التي قام بها في أرض "خولان" حارب جيشه فلول "سنحن" "سنحان" في وادي "دفا". (عند صاحب المفصل).

٣. وبعد أن قاموا بحملة على قبائل سنحان صعدة القائمين بسروات وادي (دفا) وقد تغلبوا عليهم وأخضعوهم (نص النقش).

النتيجة: إن صاحب الاستقصاء انفرد عن المفصل والنقش بقوله تقدموا نحو الشمال الغربي.

خامساً: عند صاحب الأمانة التاريخية والدقة واحترام العلم والبحث والتحرير:

١. إلى حدود (خولان) القديمة في وادي (دفا). (صاحب الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء).

٢. حارب جيشه فلول "سنحن" "سنحان" في وادي "دفا" (قال سنحان ولم يرد ذكر لحدود ولا لخولان القديمة .. المفصل).

٣. قاموا بحملة على قبائل سنحان صعدة القائمين بسروات وادي دفا (قال سنحان بسر وادي دفا ولم يرد ذكر حدود ولا خولان قديمة النقش).

النتيجة: انفراد صاحب (الاستقصاء) بذكر أمة يطلق عليها (خولان القديمة) لا وجود لها في المفصل ولا في النقش.

سادساً: عند صاحب أمانة النقل، والتأليف، والبحث العلمي، والباحث المدقق الدقيق، وبقية الصادقين باعث الأمانة من مرقدها:

١. حيث حاربت القبائل المجاورة الساكنة في الغرب (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء).

٢. ولما انتهت القوات من مقاتلة "سهرتن" و"حرتن" اتجهت نحو الشمال لمحاربة فلول "نشد ال" "نشد إيل" في وادي "عتود" (المفصل قال نحو الشمال الذي أصبح غرباً عند صاحب الاستقصاء).

٣. كما قاموا بحملة على السهرات والأطراف منها كما حاربوا قبائل نشود الله بمرتفعات (وادي عتود). (من السهرات انطلقوا لقبائل نشد إيل التي ترجم اسمها من النقش نشود الله).

النتيجة: انفراد الباحث النحرير بقية البررة الصالحين الشيخ حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي بقوله: (غرباً) فلله هو من باحث.

وهكذا يمكننا التماح الفوارق بين النص الذي زعم الباحث أنه نقله من المفصل وبين نصي المفصل والنقش الأصلي الذي كان المؤرخ الدكتور جواد علي يتحدث عنه . . لكن مهلاً! ماذا لو كان الباحث لا يقصد النقل الحرفي عن المفصل وإنما بالمعنى؟ سنرى لا تستعجلون! ولمن لديه فكرة ولو بسيطة جداً عن الصدق فلينظر هنا إلى استنتاجات الباحث التي استقاها من النص وهو يتعامل معه على أساس أنه اقتباس حرفي وليس فيه أيّ تصرف . . فتأملوه معلقاً:

(**قلتُ**: إن من القبائل التي تقع في الغرب وفي الشمال الغربي من صعدة خولان القديمة (خولان بن قحطان) ومنها قبائل فيفاء وبني مالك فيفاء، وهذا يدل على أن ديار هذه القبائل ليست من ديار خولان قضاعة، ولا ينتمون إلى سكانها الخولانيين، فقد حدد النص الذي أورده الدكتور جواد حدود ديار خولان قضاعة بوادي دفا ومن وادي (دفا) تبدأ حدود القبائل التي تقع في الشمال الغربي (خولان القديمة) خولان بن قحطان والله أعلم). ج١ ص٢٩٧.

وأقول: ما ذكره من قبائل تقع في الغرب وفي الشمال الغربي من صعدة ينعتها بـ (خولان القديمة) ثم يزعم أنها (خولان قحطان)، فمجازفة أخرى تسمى في نقد الرواية [الكذب] وقد أسميتها مجازفة، فإذن هي مجازفة واستنتاج لا يعضده دليل حتى تقوم الساعة، وإنما تلاعبَ بالنص فجعل الملك يجمع قواته في صعدة ولم يذكر أنه شنّ عليها حملة تأديب، والنص يذكر أن الحملة كانت لتأديب خولان الأجدود (الجديدة) في صعدة، ولم يرد ذكر لـ [خولان القديمة] سواء في المفصل أو في نقش دفا، ولم يذكر [خولان قحطان] في أيهما، لقد جاء بـ (خولان القديمة) لأنه اعتقد خطأً أن القارئ سيقع في فخ [خولان الأجدود] الجديدة، الذي نصبه ليدشن في مقابله [خولان القديمة] موديل ٢٠١٢م ولم يعد له حجة بعد تلاعبه في النقل، ولا يُقبل ما بناه عليه لأن حكمه البطلان بالجملة.

وأما قوله: (ومنها قبائل فيفاء وبني مالك فيفاء) فقول لا يلتفت له في شيء، كونه قد بناه على قول باطل قبلاً، لكني أود التنويه أنني هنا لا أعلم علما اسمه (بني مالك فيفاء) وإنما (بني مالك)، ولا أطلق عليهم هذه التسمية ولا يعرفون بها في قبائل فيفا [بحسب علمي] إلا ما قد يكون في الشتات للتفريق بينهم وأخوتنا (بني مالك الحجاز)، وهذا الاستغلال لهذا النعت من قبل الباحث لا يبرره شيء ولا يمكن أن يجعل من هذه التسمية حقيقة تاريخية تحيل إلى تابعية، بل إن منهم شيخ شمل اليهانية وهو من قبيلة آل سعيد الذين ذكرهم التاريخ منذ زمن الهمداني وما قبله وبما أن فيفا من اليهانية فإن القَيْل الذي ترجع له هو العثواني من آل سعيد من بني مالك ومع هذا لم ينسبنا أي باحث إلى بني مالك مع أن ذلك ممكن تاريخياً وقبلياً والحالة كما سبق.

إذن فـ (بني مالك) جيراننا لم ينعتهم التاريخ ببني مالك فيفا أبداً وليس هناك مصدر أو مرجع تاريخي ينعتهم بـ (بني مالك فيفا) وهذا مخالف للواقع والعرف والتاريخ، نعم هم لن يعارضوا الانتماء الروحي لفيفا كما أننا لا نعارض الانتماء الروحي لبني مالك أو سواهم من أبناء هذا الوطن فنحن أشقاء، لكنه ليس هناك فيفا مالك، ولا مالك فيفا، والباحث ليس لديه ذريعة تحمله على هذه التسمية المستحدثة حين يؤرخ لفيفا ولن يذهب خيالنا عند ذكر (بني مالك) فنتساءل من هو المقصود عند المؤلف؟

أهي قبيلة بني مالك التي في الحجاز؟ أم هي التي في العراق؟ أم هي جارتنا؟ بل سينصرف الذهن مباشرة إلى بني مالك الجنوب جارتنا وشقيقتنا طالما كنا نقرأ عن فيفا.

أما قول الباحث: (وهذا يدل على أن ديار هذه القبائل ليست من ديار خولان قضاعة، ولا ينتمون إلى سكانها الخولانيين).

قلتُ: لقد صنع الدليل بنفسه وها هو يستدل به، ولم أورد كلامه هذا لأدفعه طالما كان باطلاً وإنما أوردته ليعرف القارئ دقة الباحث وأمانته . . ومن يجد في نفسه الرغبة في الدفاع عن الاستقصاء والتمذحج فليأتي هنا ليدافع لا أن يتفرج كيف استدل الباحث على أن فيفا وبني مالك لا ترجع في بلد خولان الأجدود وإنما في بلاد خولان القديمة التي هي خولان قحطان، طالما ساق الباحث أدلة كما ترون!! وسيعجزُ الإنس والجن على أن يجدوا له منفذاً ولو كان بحجم ثقب الإبرة، اللهم لا شماتة.

وقول الباحث: (فقد حدد النص الذي أورده الدكتور جواد حدود ديار خولان قضاعة بوادي دفا).

فأقول: هل رأيتم كيف يجازف [يكذب] على الدكتور جواد علي؟ إنه باحثكم الذي دافعتم عنه هيا اخرجوه من هذا المأزق إن كنتم فاعلين . . لا طبعاً هذا يسمى الباطل، فلا نص هناك يحدد ديار خولان قضاعة، ولم يكن النص ولا النقش هو الذي حدده بل يد الباحث وقلمه، وكذبه على التاريخ والجغرافيا

والأنساب، ها هو يصنع حججه أمام أعيننا ثم يحتج بها علينا في تذحيج قبائل فيفا اليهنوية الخولانية!. لا طبعاً ليس بهذه الطريقة يكون البحث العلمي والاستدلال، ولا هكذا تساق القرائن، إنه باحث يتعمد المجازفة [الكذب] على قرائه ويستغفلهم وينسب لأهل العلم ما لم يقولوا حتى يغير في أنساب فيفا . . فيا للعجب!!.

والباحث لم يكن يعلم أن دليله هذا سيكون الأقوى على تهافت ما لفقه ثم ذهب إلى صحيفة إلكترونية يحكمها الرعاع فيروج لكتابه السقيم مدعياً أنه عثر على أول من أسلم من فيفا . . ولو اكتفي بذلك وغاب عن حملته الدعائية لكان أكثر توفيقاً ولكن الله أراد أن يكشف ستره فحضر نهاية المهرجان والمهزلة الدعائية وألقى خطاباً بليغاً حملَه إلى القراء بواسطة ولده حتى يتأكد القارئ ويطمئن إلى أن الحملة الدعائية قد تمت بمعرفة الباحث فلا يستغل أو يستغفل من جهة أخرى لا صلة لها بالكاتب، فكانت الحملة بتدشينه وإقراره ومتابعته، ورضاه، ولم ينكر بنداً من البنود التي تضمنتها الحملة الدعائية التي افتتحت بالقول: صدر مؤلف جديد عبارة عن موسوعة بعنوان (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء) في خمسة أجزاء لمؤلفه الشيخ حسن بن جابر بن شريف الفيفي، ومن خلال القراءة لبعض ما ورد فيه يُلاحظ القارئ المتأني أن الباحث - وفقه الله - اكتشف حقائق تاريخية أو جزئيات منها ثم قام بسبكها في نسيج محكم مدعم بالبراهين الواضحة وعلى الوجه الذي يجعلها مقبولة لدى كل منصف.

ومما استعرضه المؤلف في هذا البحث على سبيل المثال الآتي:

- قبائل فيفاء وأصولها القديمة وأنسابها وبطونها وفروعها الحديثة.
- أخبارها في العصر الجاهلي وبعد ظهور الإسلام.
- دخول الإسلام فيفاء وما جاورها من القبائل.
- أول من أسلم من فيفاء.
- دورها في الفتوحات الإسلامية.
- الولاة التابعة لهم فيفاء في عصر النبوة.

<u>قلتُ:</u> هل رأيتم كلمة (محكم)؟ إنها للتغرير والابتزاز فلم يكن البحث محكماً أو مسبوكاً، ولم يفي بشيء مما وعدَ به القارئ أما بند (أول من أسلم من فيفا) فحكاية مرمعة!! . . ثم ختم هذا الفصل الهزلي من الدعاية بخطاب موجه جاء فيه:

(لم نتجاهل أي شخص كبيراً كان أو صغيراً كما تشاهدون في الكتاب، والمُنصف لا يُنكر ذلك، فقد أوردنا أسماء أشخاص لا تتجاوز أعمارهم السنة وربما أقل من ذلك، وذلك حسب تعاون الشخص معانا أثناء البحث، وإذا كان من عتب فهو على من يُزودنا بالأسماء حيث أننا أكثر ما نعتمد على جمع هذه الأسماء من أفواه كثير من المتعاونين معنا من أفراد كل قبيلة فنحن لا نُحيط بأسماء أفراد قبائل فيفاء بيتاً بيتاً، وهؤلاء الأشخاص قد يصيبون وقد يخطئون، وربما قد ينسون بعض الشخصيات من القبيلة من حيث لا نعلم.

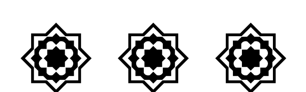
ذكرت أنك أعطيتني بطاقة الأحوال الخاصة بك لآخذ منها الاسم والجد، وفي الحقيقة لا أذكر ذلك، وقد يكون ما ذكرتَ صحيحاً، ولكن الذي أذكره أنك كنت عندنا في تبوك، ومن خيرة الجماعة ومن الشخصيات الفاضلة وفقكم الله، ولا أُخفيك سراً أنني عانيت كثيراً في سبيل توثيق بعض الأسماء، فبعض الناس لا يعرف من أجداده إلا من كان مثبتاً بالهوية فقط مما يضطرنا للبحث عن حقيقة نسبه من بعض قرابته أو جيرانه، وقد يخطئون أو يصيبون فيما يقولون). ثم ذيل الخطاب بالتوقيع: محبكم: حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي.

قلت: أعد قراءة السطرين الأخيرين في ضوء نقله واقتباسه عن الدكتور جواد علي من المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام.

ويأيها الأخوة القراء كنت أرغب مواصلة الرحلة خدمة للبحث العلمي والتاريخ والأنساب، ولأن ما سقته حتى الآن لا يشكل ثلث ما في (الاستقصاء) من الطوام المهلكات التي تدفع القارئ الأمين إلى التنويه عنها، لكنه الملل الذي يعصف بك وأن تقلب الأكاذيب مجتهداً أن تقدم لها موازنة . . وحين تكتشف الباطل عياناً بياناً جهاراً نهاراً فإنك تشعر بالملل لا محالة . . وهذا تبديد للجهد والوقت، ووصيتي للقارئ الكريم أن لا يحسن الظن في مصنف اسمه "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" فقد احتشد بالباطل وتعمد صاحبه الكذب والدس والطعن دون أدلة مهما لفقها وتلاعب فيها إلا أنها تبدو في غاية الضعف والتضارب والتناقض حينما صاغها في مهزلة لا تخطر على بال باحث مهما

تجاهل قيم العلم والمعرفة وانتهب المؤلفات السابقة للشيخ علي بن قاسم الفيفي ولم يشر إليها إلا في حالات خاصة ونادرة إلى ما اجتمع له من مؤلفات وبحوث آل طارش وغيرهم وليته تركها على ما هي عليه لكنه تصرف في نصوصها أحيان كثيرة حتى يسلم من مغبة النقل دون العزو وسماها (الاستقصاء لتاريخ جبال فيفا) فراح يكتب عن مذحج وتاريخ مذحج وأخبار مذحج فأبعد النجع . . اعتقاداً بأن ذلك سيبعد عنه التهمة، وحين استعرضنا استقصاءه لم يسلم له دليل، ولم تتماسك له حجة، وفي خضم الفساد العصري العميم، كان لا بد من مواجهته دفاعاً عن شرف العلم وصيانة له أن تدنسه الأنامل الآثمة التي لا تؤمن بقيم الصدق والأمانة والدقة والنزاهة، فيضاف إلى التراث البشري ما لا يصح أن ينتمي إليه وإلى الفكر . . وللعلم شرف رفيع لا يناله الأدعياء.

أيها الأخوة كان هذا حكمي على الاستقصاء ومنهجية صاحبه قصدت بها وجه الله ثم خدمة للعلم، وقد غضب من غضب ورضي من رضي اللهم إن كان جهدي قصدت به رفعة العلم ونزاهته فاكتب لي ثواب عملي واغفر لي وتجاوز عني أنت حسبي ونعم الوكيل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين. انتهى.



سراة جنب التي هي اليوم (سراة عبيدة) سلسلة جبلية بطول ٧٠ كيلو متراً أفقي أما فيفا فجبل مستقل يبلغ طوله الأفقي حوالي ١٤ كيلومتراً في عرض يترواح من ٧ كيلو مترات إلى ٩ لكن المؤلف أسماه سراة . . وأضاف لها فيفا لتكون (سراة فيفا) وما حد أحسن من حد !! .

قلتُ: من قرأ كتاب (الاستقصاء لتاريخ فيفاء) سيعثر على جملة من المآخذ المتعددة ولا يسلم منها المؤلف مهما تكلفنا له الأعذار، ومنها:

الاجتهاد فيما لا محل فيه للاجتهاد، كموضوع انتساب قبائل فيفا إلى هانئ بن خولان بن عامر.

فالمؤلف مستيقن تماماً من مسألة تواتر هذا النسب، ويعلم تمام العلم أن ذلك ترويه أجيالٌ عن أجيال تماماً كما تروي قبيلة الأشراف نسبها، واحتشدت أشعارهم بهذه (اليهنوية) ثم (الخولانية)، وفي القاعدة الفقهية (لا اجتهاد مع النص)، ولم يختلف العارفون في نسب قبائل فيفا، مطلقاً لم يحدث اختلاف، وكلهم على يهنويتها الخولانية ومع ذلك قال: (إلا أني أختلف معهم [يقصد من سبقه في ذكر نسب قبائل فيفا] في بعض وجهات النظر حول نقاط معينة، أهمها النسب لأهميته، وهي اجتهاد شخصي مني كمعالجة لجزئية مهمة من

تاريخنا وتاريخ المنطقة مبني على أساس ثابت من أدب المناقشة والدلائل والقرائن الثابتة). ج١ص١٣.

وتأمل مرة أخرى هذه العبارة: (وهي اجتهاد شخصي مني كمعالجة لجزئية مهمة من تاريخنا وتاريخ المنطقة مبني على أساس ثابت من أدب المناقشة والدلائل والقرائن الثابتة).

قلتُ: الضمير (هي) عائد للنقاط المعينة، أما كلمة (مبني) فتعود على (اجتهاد)، بحيث جاء الاجتهاد (على أساس ثابت)، ولننظر مدى مطابقة هذه العبارة للحق والواقع، فالأساس الثابت الذي يوجب الاجتهاد نلخصه في التالي:

أولاً: (خفاء الحكم)، ومسألة النسب إلى هانئ بن خولان غير خافية في قبائل فيفا، وقد ذكر اشتهار ذلك صراحة لكنه أرجعه إلى الذهول والنسيان [ستجد ذلك مفصلاً في الحلقة الخامسة من هذه السلسة وناقشناه باستفاضة].

ثانياً: (تضارب الأقوال داخل فيفا حول النسب)، وهذا ما لم يحدث منذ استقرت أصول تلك القبائل في جبل فيفا ونمت وازدهرت من عصور ما قبل الإسلام إلى يومنا هذا والأول يروي للاحق انتماءهم لخولان بن عامر عن طريق الفرع هانئ بن خولان.

ثالثاً: (تضارب الأقوال حول النسب من خارج فيفا)، وهذا لم يحدث مطلقاً بين قبائل خولان بداعيتيها (الفرودي) و(اليهنوي) أو بين (شعشع) و(العَلْيَيْن) أو

(صحار) سحار (وجماعة)، فكل هذه الشعوب تعلم انتساب فيفا إلى هانئ بن خولان.

رابعاً: (التضارب في نصوص الوثائق والأعراف حول انتمائها) وهذا لم يرد بتاتاً في أي وثيقة كانت، فهي أي قبائل فيفا تبرم معاهداتها وأعرافها وأسلافها النصية مع القبائل الأخرى على أساس الانتماء والنسب الذي تعرف به ونصت عليه الوثائق لقبائل هانئ بن خولان بن عامر على الدوام، أو قبائل خولان عموماً.

فإذن: لا أساس ثابت يزعمه المؤلف أو يدعيه ليكون دافعاً لإقصاء قبائل فيفا عن (هانئ) ثم عن (خولان بن عامر)، بل جاء بالغول والعنقاء دون مبررات منهجية علمية، أو منطقية عقلية جدلية. ثم لننظر العبارة التي تلتها وهي قوله: (أدب المناقشة).

قلتُ: يقصد بهذه العبارة: حق الباحث في تناول ما يرى أهمية بحثه ونقاشه، ولا بأس فذلك حق مكفول للعلم والبحث، شريطة أن يوجد المشكلة أولاً، وهو ما لم يقم به إما لجهل منه وهو المرجح، أو لتجاهل أملته اغراءات حظوظ النفس المختلفة، وهو أمر متوقع، ولأن المشكلة غائبة تماماً ولا يمكن التكهن بها أهي فقهية تعود للإرث؟ أم منهجية شرعية تعود للأعراف والأسلاف القبلية المتفق عليها؟ أم تقسيم قبلي جديد لا ينظر للأصول والأنساب، اخترعه المؤلف على أسس سياسية بحتة؟ إذا ما أخذنا في الاعتبار أن قبائل سراة جنب المذحجية شمال قحطان تقع في الأراضي السعودية ومشيختها سعودية، بينما غالب

خولان بزعامتها القبلية وشمل مشيختها في أبناء (مقيت) شمال شرق صعدة باليمن. فالمؤلف لم يوجد المشكلة التي دعته إلى خلط الأوراق، والعلم لا بد أن يناقش ما يتعرض له ولا يغيب جذر المشكلة أو يركَبُها هكذا دون سرجٍ أو زمام، والعلم سيتصدى له ويسأله: (أنّى لك هذا)؟

وتحت عنوان منهج الكتاب قال المؤلف: (بذلتُ جهوداً مرهقة من البحث في المصادر، والمراجع، والتقصي، والمتابعة، لاستنباط الحقائق من بين أطناب الشوائب والاجتهادات، وإعادتها إلى مسارها الصحيح حتى نقدم لأجيالنا مرجعا من جذورنا التي تضرب في عمق التاريخ). ج١ ص١٧.

<u>**قلتُ**</u>: هو يسمي ما فعل استنباطاً للحقائق من شوائب الاجتهادات، وأنا أسميه كذباً صريحاً وتلفيقاً و(خرفعة محموم)، والخوف من الولاءات القبلية لا محل له في العقيدة الوطنية لأبناء فيفا حيث تتلاشى كل الولاءات في حضرة الوطن، وليس هناك ما يدعو إلى صناعة رابطة قبلية على أرض الوطن وهدم الروابط القبلية والأنساب خوفاً من انتمائها إلى خارج الوطن، وقد ظل هذا القسم اليهنوي الخولاني على الوفاء بالعهد لأرضه ووطنه وولاة أمره منذ تأسيس المملكة العربية السعودية وإلى اليوم وستظل، وليس هناك من داع إلى فصلهم عن جذور نسبهم بالكذب والهلس ولا يشكل ذلك هاجساً لدى الدولة، ونصف قبائل جنوب الجزيرة العربية فروع من قبائل يمنية كبرى ولا ينتظر المسؤولون في دولتنا الرشيدة من أحد أبناء تلك القبائل التبرأ من نسبه وإنكار جذوره لينال

زلفى، فمن لا خير فيه لماضيه كان من باب أولى أن لا يكون فيه خير لحاضره ومستقبله سواء أكان من يام الحاشدية أو هانئ الخولانية أو فرود الخولانية أو ودعان أو آل جابر أو غيرها.

ثم كيف نقرأ التراث وفق عاطفة مذحجية؟ وقد تركنا مؤلف الاستقصاء هكذا بين عاطفتين ولم يقدم خطة أو مقترحاً لمواجهة اليهنوية الخولانية التي يضج بها مورثنا الأدبي، من أخبار قبائل، ومواثيق، وأسلاف، حين قال بأن قبائل فيفا مذحجية انتسبت خطأً لخولان بعد أن نسيت جدها الحقيقي الذي هو مذحج!!، وبهذا يكون تراثنا من الشعر والقصة والخبر بحاجة لقراءة أخرى تتفق مع المحمولات الجديدة وتواكبها، من أجل الإبقاء على هذا التراث وعدم التخلص منه بحجة صدوره عن عاطفة ضالة، تحزن لفقيد لا صلة لها به، وتمجد أمة أخرى وتعتقد أنها تمجد نفسها . . وتغضب على أبناء عمومتها وهي لا تعلم أنها إنما تغضب على ذاتها، وتهجو ابن عمها ولا تعلم إنما تهجو نفسها، وتعادي جيرانها وتتحالف ضدهم وهي لا تدرك غنماً كانت تتحالف مع الغرباء ضد نفسها، أمة ترثي فقيد مذحج على أنه من خولان، وهذه العاطفة الضالة كان سببها نسيان أبيها وجدها، والذهول عنهما كما أفادنا مؤلف كتاب "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" وهنا مرثية لأحد الشعراء المعاصرين لنقرأ بعض ما جاء فيها على سبيل التمثيل، قال الشاعر:

سبحان رب العرش ذا يحكم بما يريد * * خولان بِنْ عامر فظلمة تبكي امردود

يا مَكْثَرَ الأسف

سالم على ميداننا قـ ِ دِّلِيَ اللحود * * * وابن علم يحيى فـ ِ فيفا باب من حديد

وقوله:

الله انا سالك تيجب النصر للحفيد * * * عثوان قلب اليهنوي ومروح الوريد

تم نفلها بتصرف اقتضاه المقام من موقع بني مالك على الشبكة الإلكترونية، وهي طويلة ولم يُذكر قائلها إلا أن مناسبتها تؤكد حداثتها وهي رثاء الشيخ سالم العثواني وشيخ فيفا حسن بن علي اخترت منها للنشر ما تعوزه قراءة أخرى تسير في الركب الجديد، فهذه العاطفة الجياشة ستكون لمذحج وفقاً للاستقصاء تم صرفها خطأً لخولان، وهذا الحزن والأسف والثكل إنما هو في مذحج وفقاً للاستقصاء لا في خولان، وسنواجه هذا التضارب في العاطفة بمنهجية الباحث حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي، وهي [الشطب]، ولا شيء آخر فنشطب الجد (خولان بن عامر) من الشطر الثاني لكي تستقيم العاطفة في النص وتتوجه وجهتها الصحيحة فيصبح بعد الشطب: [رجال بِنْ مذحج فـ ِ ظلمة تبكي امردود]، إنما قد نقع في إشكالية بسيطة وهي كون الشيخ سالم امعثواني رحمه الله ليس من ردود مذحج وإنما من ردود خولان وفي هذه الحالة يتوجب علينا

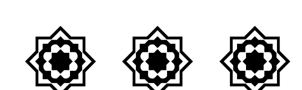
السير مع "الاستقصاء" لنعيد العاطفة مجراها الصحيح فنذهب لـ [شطب] خولان واستئصاله من الأنساب كما استأصلناه من النصوص ونحرق الجزء الأول من الإكليل الذي خصصه الهمداني لأنساب خولان.

ثم نجعل بدلاً عنه مذحج فيصبح امعثواني من ردود مذحج حين لا وجود لشيء اسمه خولان.

لكن ذلك أيضاً سيفتح ثغرة بسيطة إنما يمكن تلافيها بسهولة ويسر، وتتمثل في بقاء قضاعة على خارطة الأنساب بما ينتمي إليه من أعلام في جاهلية وإسلام، ذروتهم أنصار خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، مع إصرار التراث الإسلامي على ذكرهم وإيراد نسبهم، وما علينا في هذه الحالة إلا أن نجمع كتب الأنساب التي أتت على ذكر قضاعة أو ترجمت لأبنائه من تاريخ خليفة بن خياط، إلى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر، وما تلاه من كتب الرجال، مروراً بسير أعلام النبلاء للذهبي، وميزان الاعتدال له، ثم لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، وجميع موسوعات التراجم على رأسها كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، فنحشدها أجمع ونحرقها من أجل بقاء مذحج، وحين يأتي من يحتج علينا أن حِمْيَر كان له ولد اسمه قضاعة وقد اختفي من خارصة أنساب العرب سنة ٢٠١٢م متزامنا مع ظهور مصنفٍ اسمه "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" عندها لزمنا أن نجمع كل المصادر التي تذكر قوما اسمهم (حِمْيَرْ) ونحرقها ونتخلص منها، فلو نجم شخص يدعي أنه افتقد أبناء سبأ بن يشجب، عمدنا فوراً إلى

المصادر التي تذكره فنؤججها ونتأكد أنها [خَفِتَت] تماماً . . فإن تجرأ أحدُ وتساءل ما بال قحطان بن عابر ضاع واحدٌ من فروعه؟ . . عمدنا إلى جميع المصادر التي تأتي على ذكره فأحرقناها في كومة واحدة . . وحين أخذت ألسنة اللهب تتصاعد تذكرنا أننا بهذا قد محونا مذحج من الوجود بينما كان هدفنا الأساس هو محو خولان بن عمرو بن قضاعة لا سواه، فإن استنقذنا بعض المصادر حفاظاً على مذحج فقد أحيينا ذكر خولان ولابد. وإن تركنا النار تواصل مهمتها فقد أزلنا مذحج لا محالة.

وكأنه يلزمنا لتغيير حقيقة تاريخية ثابتة أن نضرم النار في التراث العربي والإسلامي على مر العصور، ونهدم سلسلة الأنساب أجمع ونشطبها حتى لو كان ذلك التغيير في بيت من الشعر الشعبي الملحون . . أما الثمن فهو تذحيج قبائل فيفا وشطب نسبها إلى خولان. هل رأيتم استحالة العبث بالأنساب؟ وهذا ما لم يكن يدركه مؤلف كتاب الاستقصاء.



(١١)

ما بعد الرحلة!

دائماً قيل: "كفى المرء نبلا أن تعد معايبه"، وقد التزمت دوماً تجاوز المحاسن التي هي أصل في العلم إلى الخلل الذي لا يمكن التغاضي عنه وهو الطارئ على العلم، والأجدر بالناقد أن يشير لمواطن الضعف أولاً، ثم يتجاوزها إلى مواطن القوة والجمال، وهذا المنهج لستُ فيه بدء وقد درج عليه الكثيرون من أرباب النقد . . وإذا كان من السهل حصر العيوب في بحث "الاستقصاء" فإنه من العسير استعراض محاسنه في مساحات لن تكون ضيقة مع ضعف الهمة وتضعضع العزيمة وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن باب الأمانة والإخلاص أدعو المؤلف إلى إعادة تنقيح بحثه وفق منهجية واستراتيجية علمية أكثر رصانة، وليس بالضرورة أبداً أن يكون وفقاً لما قلت فلا أدعو لنفسي وأفكاري أبداً وإنما وفق المنهجية الخاصة بدراسة التاريخ والأنساب، وتلك أمنية كل محبٍ حتى يخرج البحث بشكل أروع وأعمق بما يخلص إليه من نتائج، وسيسعد المنصفون بكل تعديل منهجي علمي، حتى ولو كان مخالفاً لرؤيتي مائة وثمانون درجة ذلك لا يهم، بل المنهجية وحدها هي الفيصل .. ومن أساسياتها تخلص الباحث من الأهواء والنزعات والميول العاطفية كي لا تؤثر سلباً على نتائج بحثه فيخرج للناس ذرائع تذهب لدعم رغباته وميوله،

ومعه تنكب سبل البحث من المناهج العلمية والحرص الشديد، والحياد التام، فلا يوجد عمل بشري كامل، ذلك محال، ولا ندعي أن كتاباً بشرياً أو بحثاً يخلو من عيب أو نقص، حتى عمل الناقد ومنها هذه الحلقات التي قرأت فيها "الاستقصاء" فلا أعدها في القول الفصل، ولا تخلو من العيوب والنقص ويبقى الكمال لله، وكل ما نقوله ونكتبه عرضة للنقد والتعديل والتصحيح إلى ما شاء الله.

وكنت فيما مضى من حلقات أعرض ما رأيته جانب الصواب، ولم أداهن أو أمالئ الصديق الكريم والأخ الفاضل على حساب العلم والمعرفة والمنهجية والضبط والتحقيق، فسميت الأشياء بأسمائها، سالكاً في ذلك منهج نقد الرواية والرواة عند أهل الجرح والتعديل وجعلتها أداة لا أتجاوزها أو أعدوها إلى غيرها ما استطعت وذلك هو البغي والظلم والحيف، فتجردت للنهوض بهذه المهمة ما وسعني التجرد والحياد، حفاظاً على العدالة وصوناً لها من أن يقتحمها من لا يحسن مقاربتها، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) آية (٥٨) النساء.

ومحاولة مني لتدارك الضعف فقد اجتهدت في المذاكرة، وراجعت منطلقات أحكامي، وعدلتُ مقالاتي مرات عدة بعد تسليمها للصحيفة الناشرة وأزعجت رؤساء التحرير في كل من الشقيقتين فيفاء أون لاين وفيفاء نيوز، حتى فاض بهم

الكيل واكتفت فيفاء أون لاين بنشر النسخة ما قبل التعديل الأخير من الحلقة السادسة ونشرت فيفاء نيوز النسخة الأصلية ولهذا جاءت مختلفة، كل ذلك من أجل أن تكون الأقرب للصواب.

وكانت هذه الرحلة التي استغرقت تسع حلقات طوفنا فيها عوالم كتاب "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" لمؤلفه الشيخ الفاضل أبو عبدالله حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي أمد الله في عمره وخلع عليه أثواب الصحة والعافية ونفع بعلمه، وجعل جهده وبذله في موازين حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون، وهو رجل جاد ومثابر عرفته مهتماً بكل ما يتعلق بفيفا وتاريخها، ووجدته باحثاً شغوفاً بالمطالعة والتحصيل في شتى المعارف، يتمتع بدماثة الخلق وطيب المعشر، رجلٌ أعدُّه من أبناء فيفا المخلصين، وكتابة التاريخ أكثر حساسية من غيرها، وقد ولَّى عهد الانحطاط الفكري إلى غير رجعة بمشيئة الله، وأصبح النقد والمتابعة شريكاً فاعلاً في الحركة الفكرية التي يشهدها عالمنا العربي.

بقي النقد محايداً منذ انطلاقة النهضة الأدبية والفكرية التي امتدت إلى المملكة في ستينات القرن الميلادي المنصرم رغم النشاط في حركة التأليف والنشر المتصاعد بشكل واضح إلا أنه ظل متقوقعاً على نفسه، وبقيت المؤلفات في التاريخ والجغرافيا والأنساب في منأى عن التناول النقدي إلا بعد وفاة أصحابها، وذلك من شأنه تكريس ما حررته ولهجت به في أذهان الجيل، وتحاشي المعاصرين لتقويم النتاج الفكري لمعاصريهم يزيد من تفاقم ضعفه،

فبقيت ثقافة النقد مغيبة غير مدركة، وكيف يمكن استيعابها والحال هكذا؟، والله لو كان والدي أو ولدي أو شقيقي من أَلَّف وخلط الأوراق في مصنف علمي متداول لتصديت له وتابعته وبينت ما أعلمه من خطل منهجه، وقد سكت القوم عن زيف بعضهم حتى إذا أصبح المؤلف من أصحاب القبور نهض النقد من مرقده بالنقد لتناول نتاجه ولكن بعد فوات الأوان، حيث تكون المعلومة قد ترسخت في الأذهان وأصبحت من المسلمات لدى الجيل، والسكوت عن الزلل سبب في استمرائه، ولو سألني سائل عن الدوافع الحقيقية لما أقوم به من نقد للمعاصرين؟ وهذا يخالف ما اعتاده الناس منذ زمن الانحطاط الفكري؟ لقلتُ: لا سبب سوى عشقي للمعرفة، وللمعلومة الصادقة، التي يسوؤني رؤيتها مشوهة شمطاء مكفهرة . . لا أحد ينصرها أو يدافع عنها في زمن الفساد، ولن يسألك الله عما جهلته من العلم مثلما سيسألك عما علمتَه وكتَمتَه ولم تبينه للناس، وذلك هو دافعي الذي يشعرني بالرضى سواء كنت فيه مخطئاً أم مصيباً؛ لا يهم، والأعمال بمقاصدها، ليس لي في ذلك أي مردود مادي أو معنوي، وليس هناك من يدعمني أو يحرضني أو يناصرني إلاّ الله ثم ضمير المعرفة، ولا أنتظر ثواباً غير ثواب الله ورضاه.

ومن هذا المنطلق كنتُ أرحل مع كتاب "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" غير متجاهل الروابط التي تجمعني مع مؤلفه الفاضل الصديق الوفي الشيخ حسن بن جابر شريف الذي كانت له معي وقفة مشرفة لا يمكن نسيانها مطلقاً حينما

زارني في منزلي بجازان قبل عدة سنوات وما زال جميله يطوق عنقي ما حييت فأثابه الله وأجزل عطاءه لقاء برِّه بي ومساندتي، وليست لي أية بحوث في الأنساب أو التاريخ، لفيفا أو غيرها، وقد كنت ألفت قديماً [لمحة تاريخية أدبية عن فيفا] وتم فسحه، لكني وزعت نسخته مصورة وأخي حسن لديه نسخة منه عديمة الفائدة كما أشار وقد والله صدق، لقد كان طموح الشباب ورغبتي حينها أن أكون في قائمة المؤلفين، لكني عدلت عن هذه الفكرة نهائياً، وما زلت أحتفظ بها إلى الآن ولعله جاء من أبنائي من يكملها ويطبعها ذات يوم متى تيسر ذلك، أما أنا فقط فلا، وهذه رسالة للدهماء خصوصاً: [بأنه لا دوافع من حسد أو غيرة أو سواها هي التي أملت رحلتي مع الاستقصاء البتة].

قلتُ: ومناهج البحث العلمي متاحة لمن شاء أن يتصدى للبحث والتأليف، وعليه أولاً أن يحصر المشكلة، ثم يدرسها جيداً ويضع الفرضيات لحلها وهو ما لم يتحقق في الاستقصاء الذي أوجد مشكلة حقيقية قائمة، حين تصدى لموضوع لا يعد في الإشكالات وإنما في المسلمات وأمر النسب حكمه التواتر، لقد خلق مبحثه مشكلة لا يمكن السكوت عنها أو تجاوزها في ظل منهج متضعضع واهن لم يخضع لنقد الباحث أولاً، فارتضى له أن يخرج على هذا النحو من التضارب فجاء يلعن بعضه بعضاً.

نعم أحفظ لأخي الشيخ حسن بن جابر كافة حقوقه كاملة لا أبخسه شيئاً بمشيئة الله، كما أحفظ للعلم حقوقه فلا أبخسه شيئاً، ولن يلزمني أحدٌ بالتغاضي

والسكوت عن حق العلم، وخصوصاً حين تردني الأسئلة والاستفسارات ما رأيك بما قاله فلان في تاريخ فيفا؟ ولو لم أكن ممن يسألون في هذا الصدد لما بينت حكمي، والغريب أن يأتي من يطالبني بالسكوت.

وهنا آثرت أن أنوه ببعض منهجيات الباحث:

أولاً: تبني الشك بغض النظر عن تفريطه فيه وتوظيفه الخاطئ إلا أنه لافت للنظر كفعل يحمد لأجله الكاتب، ولن يعد تناوله نقداً ما لم يشك في المعطيات الماثلة كحافز ومحرض على الانطلاق والتنقيب عن الحقائق المستيقنة، وهكذا نجد المباحث الناجحة التي يكتب لها الخلود دائماً تمنح الشك براحاً أكثر اتساعاً ضمن معادلاتها الساعية إلى اليقين، وهو المنهج الذي يمنح الباحث قدراً كبيراً من الشجاعة والحرية والاستقلالية بغض النظر عن النتائج التي يتحكم فيها المنهج، فخرج كتاب "الاستقصاء لتاريخ جبال فيفاء" بأحكام وفرضيات جديدة مثيرة للجدل لم تكن لترى النور لولا ذلك المبدأ الذي أتقنه المؤلف وهو يتعامل مع موضوع مكرور لا جديد فيه، وقد يكون الشطط مدعاة لطلب القسط.

ثانياً: منهج الاستقصاء في حفظ الأنساب.

إنها الخطوة الثانية بعد شيخنا ومؤرخنا الأسنى القاضي المبجل علي بن قاسم بن سلمان الفيفي، خطوة ستحسب لصاحب "الاستقصاء" وبها سيذكره التاريخ ما دام هذا الجزء النبيل من ساق الغراب: جبل فيفا وقمته المنيفة العبسية، وبلاد

بلغازي وقمتها الشامخة صماد، وجبال بني مالك بقمتها السامقة طلان. خطوته إلى التوسع في ذكر الأسماء المعاصرة، ولن يعيبه كونه اعتمد على ما سبق تدوينه من قبل الشيخ على بن قاسم ومتابعته في نقل الأخطاء كما وردت في المنهل قبل أربعة عقود لن يعيبه ذلك حين اتخذه أساساً في التوسع لسلاسل الأنساب على هذا النحو الذي قد يراه البعض إسهاباً لا نفع فيه، ولا شك أنني وددت أن تكون الأنساب في عشرة أجزاء فتلك هي القيمة العالية التي ستبقي "الاستقصاء" حياً آلاف السنين . . هذا الحشد والشمول من المؤلف سيكون نواة لحفظ أنساب فيفا حتى انتهاء الزمان، وسجلاً ومرجعاً ثم مصدراً حين تتعاقب الأمم وتتوالى الأعصر.

فأخذ الكاتب على عاتقه إشباع هذا العنوان واستقصى كما لم يُسبَق إلى ذلك في تاريخ فيفا، ووعد أن يحقق ذلك يقيناً ففعل ووفى بما وعد، وسيستدرك ما فاته من النسب ويعدل قوائم الأسماء والسلاسل الخاطئة ويرجع إلى تنويهات القراء فالمشروع مشروعه وإن كان جليلاً وشاقاً إلا أنه له أهل وكفؤ نسأل الله له التوفيق والسداد لاستدراك ما يستوجب الاستدراك، وبخروج الطبعة الثانية منه سيتعزز خلوده وسيبقى فذا كقمة العبسية لا ينال من تطاولها تعاقب الأيام تماماً كما سيبقى ذكر مؤلفه في أذهان الأجيال المتعاقبة من أبناء فيفا وهو معاصرنا الشيخ حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي أطال الله في عمره علماً من أعلام فيفا ورمزاً من مفاخرها العظام.

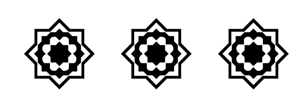
ثالثاً: المنهج الجغرافي الذي التزمه الباحث عندما نَصِفُ كتاباً بالنفاسة فإننا نقصد استيعابه عزيز المعارف، ونادر المعلومات، ونعده مصدراً لها، ومن يمعن النظر في كتاب "الاستقصاء" يجد ذلك جلياً حيث احتشد بالمعلومات الجغرافية العزيزة عن فيفا بصورة شاملة ودقيقة مستفيداً ممن سبقه فجمع وأوعى وأخرج مرجعاً بحق في هذا الجانب لا يضاهيه مرجع سابق عن فيفا، فلم تخلو صفحة من صفحاته من معلومة تتعلق بنسب أو قصة أو حادثة أو إحالة طريفة تتعلق بفيفا.

والمؤلف سيستغني بالتأكيد عن الكثير من الحواشي الموسوعية الخارجة عن موضوع الكتاب في الطبعات القادمة ليكون بعدها أنفس ما أُلِّفَ عن هذا الجزء من ساق الغراب، ولعله قد يستغني عن اللون الأحمر فيما يخص أبيات الشعر، ويتخلص من تاريخ مذحج وأنسابها لعدم العلاقة بقبائل فيفا اليهنوية الخولانية. كما أنه سيهتم بالعزو والاقتباس بشكل يرتقي به إلى مصاف البحوث المحكمة والرسائل العلمية.

والمؤلف وفقه الله حينما تأخر في إصدار الكتاب كل هذه السنين التي كما أشار في المقدمة فإنما كان يحشد ويستوعب ويضيف بغض النظر عن الخطأ والصواب والصدق والكذب الذي سيعسى إلى تخليص الكتاب من أوزارها في طبعاته القادمة ليزداد نفاسةً وقوةً وخلوداً.

المتابعين الكرام باسمكم جميعاً أتوجه بخالص الشكر والتقدير لابن فيفا البار الشيخ حسن بن جابر شريف الثويعي الفيفي، لقاء ما بذله من الجهد والوقت ليخرج عملاً لا ينكر أهميته إلا جاهل جحود، والكمال لله وحده، ونصيحة أبوية لكل الباحثين الشباب من أبناء فيفا هواة التاريخ والأنساب الاهتمام بالأبحاث التي من شأنها أن تسد ثغرة تاريخية مجهولة متكئين على معطيات التكنولوجيا الحديثة، وبهذه المناسبة أهديكم هذا العنوان الذي ذكّرني به أخي عبدالله وهو: (جبل فيفا في العصر الحجري) خذوهُ واشتغلوا به حتى يخلص تماماً وستنهال عليكم العناوين تباعاً.

وامتناني أخيراً لمؤلف الاستقصاء الذي أتاح لنا فرصة الحوار والمذاكرة فيما يخص فيفا.





للأديب الشاعر محمد بن مسعود العبدلي الفيفي

١٥ / ١٢ / ٢٠١٤م



مدونة (معجم اللهجات المحكية في المملكة العربية السعودية) بحث.رصد.توثيق تحقيق. الفاظ ومفردات لهجات المناطق والقبائل في المملكة العربية السعودية. الكلمات والمصطلحات الحديثة تحقيقها وتوثيقها. الموروث الشعبي بجميع اشكاله وجوانبه. بحوث ودراسات علم اللهجات والمعاجم واللسانيات.

الصفحة الرئيسية | للحصول على المعجم | الباحث العربي. معجم الكتروني | معاجم الكترونية | معجم المعاني | سجل الزوار

((اقسام المدونة))

- . بحوث ودراسات (479)
- .المترادف (73)
- .النقوش. (29)
- اساليب وعبارات، (34)
- افلام وصور وثائقية (28)
- التراث الشعبي (41)
- الدخيل والمعرب (55)
- القلب والابدال، (11)
- اللسانيات (30)
- اللغة العربية ـ فديو (17)
- المقالات (1476)
- خرائط اللهجات (25)
- سيرة ذاتية (20)

2014/12/15

لهجة قبائل فيفاء.

لهجة قبائل فيفــاء

وقبائل فيفا يرجع نسبها الى قبيلة خولان، منازلهم في أعلى قمم جبال السروات شرق جازان وجنوب بلاد قحطان ويحدهم من الجنوب اليمن الشقيق.
وتضم جبال فيفا الكثير من القبائل التي يرجع نسبها الى خولان.وقد ذكر الهمداني المتوفى في سنة 334 هـ، فيفا في صفة جزيرة العرب في أكثر من موضع.قال عنها المستشرق البريطاني فليبي بأنها تصلح ميدانا لهواة التسلق. ويحتوى ثراثها على آلالاف من الأمثال الشعبية والأساطير والحكم والشعر والأحاجي التى أثرت ثقافة أبنائها،

قبائل فيفا يرجع نسبها إلى قبيلة خولان، منازلهم في أعلى قمم جبال السروات شرق جازان وجنوب بلاد قحطان ويحدهم من الجنوب اليمن الشقيق.

وتضُم جبال فيفا الكثير من القبائل التي يرجع نسبها إلى خولان.

وقد ذكر الهمداني المتوفى في سنة ٣٣٤ هـ، فيفا في صفة جزيرة العرب في أكثر من موضع.

قال عنها المستشرق البريطاني فليبي: بأنها تصلح ميداناً لهواة التسلق.

ويحتوي تراثها على آلاف من الأمثال الشعبية والأساطير والحكم والشعر والأحاجي التي أثرت ثقافة أبنائها، وتناول هذا الجانب كتاب باقة من تراث فيفا للشيخ العلامة عليّ ابن قاسم الفيفي، ويقال إن مجموع الحكم والأمثال في فيفا يبلغ ٣٥٠٠ مثل وحكمة و٣٠٠ أسطورة وقصة تراثية مميزة.

وفي لهجتهم القليل من الحميرية القديمة والتي بدأت تنقرض، ولهجتهم أقرب إلى لهجات تهامة إن لم نقل تهامية.

فالتعليم الحديث واستعمال أبناء فيفا اللغة الفصحى، ستندثر إحدى لغات الجزيرة العربية التي عاشت آلاف السنين بين تلك الجبال الشاهقة، ستندثر لغة قوم كانوا مملكة كبيرة واسعة حيث كان لها حدود داخل أفريقيا دلالة على عظمة هذه اللغة وأهلها.

يكثر القلب والإبدال في ألفاظ لهجة فيفا، ويكثر إبدال الحرف بحرفين، وأشهر ما يميزها الكشكشة والتنوين الذي يظهر في الكثير من ألفاظهم، وقد تختلف طريقة النطق بين جبل وآخر وبين من هو ساكن في أعلى الجبل وأسفله.

- **(بعض السمات والظواهر في لهجة فيفا)**

وهنا نبذة مختصرة وغير موسعة حول تلك اللهجة أن لم نقل لهجات:

(١)ـ قلب (ال) التعريف (ام): وهي التي أسماها اللغويون (الطمطمائية)، وهي من بقايا اللغة الحميرية.

فيقولون: امثور، وامسما، وامدخن . . وذلك إذا كان المسمى معروفاً لدى السامع، ولا يقولون (اميحي) و(امسعيد) و(امعلي). انظر لهجة تهامة (ال) التعريف.

ويقول الأستاذ محمد بن مسعود الفيفي المؤرخ والباحث في لهجة فيفا:

لا يعرّف بـ (ام) ما سبق باسم إشارة.

لا تدخل أداة التعريف (ام) على أسماء الله وصفاته أو ما أسند إليها مطلقاً، لأنها تختص بالدخول على الأسماء التي تقبل التنكير فتعرف بها. ([١])

---

[١] ـ حالات التعريف في لغة العرب لسان قبائل فيفاء أنموذجاً، للأستاذ الباحث محمد مسعود الفيفي (آلي).

وفي دراسة (حاييم رابين) يقول: إن أداة التعريف القديمة (أن) بالنون وأنها تغيرت إلى (ام) التي تغيرت فيما بعد إلى (ال). ([١])

و(إن هذه اللغة مختصة بالأسماء التي لا تدغم لام التعريف في أولها نحو غلام وكتاب بخلاف رجل وناس ولباس، وحكى لنا بعض طلبة اليمن أنه سمع في بلادهم من يقول خذ الرمح واركب امفرس ولعله لغة لبعضهم لا جميعهم). ([٢])

وفي بحث للأستاذ محمد بن مسعود الفيفي:

(أن اللهجة المحلية لفيفاء تجمع في التعريف بين (أل) و(إم) فقام بجمع ما أمكنه جمعه من أسماء الأمكنة التي تبدأ التعريف بـ(أل) كـ (الوَرَّاد) بفتح الواو وتشديد الراء، و(اللّهَيْب) بفتح الهاء . . (الرُّمَيْح)، و(الشله)، و(الغابر)، و(النَّواعم)، و(البرده)، و(الخاشه)، و(القثيث).

وقال: تلك مواضع جلنا يعرفها، لم نسمع من يعرِّفها بـ(إم) فعرفتها به، فكانت النتيجة تغير معناها وتبدلت دلالاتها، وعندما نقول (إمغابر) لانصرف الذهنُ إلى الغبار دون أن ينصرف إلى علم على مكان، وكذلك (إمبرده) لتحول إلى ظرف زمان لأول النهار، أو آخره حيث تكون أشعة الشمس مائلة ويعرف بـ(إمبراد). ([٣])

---

[١] - اللهجات العربية في غرب الجزيرة العربية (حاييم رابين).

[٢] - مغني اللبيب لابن هشام، ج١ (ص١٧).

[٣] - جريدة الوطن. الباحث محمد بن مسعود الفيفي.

ويقول أيضاً: (أن أداة التعريف (إم) لا تدخل على أسماء الله وصفاته أو ما أسند إليها مطلقاً كما لا تدخل هذه الأداة على ما كانت له صفة التنزيه والتعظيم، كما لا تدخل على اسم الجنس مثل: الناس، الملائكة، الجن، الشياطين. ([١])

(أما إبدال الميم من لام (أل) في لغة اليمن فلهجة معروفة ومشهورة وتسمى الطمطمائية.

والميم في غالب الرأي عوض عن اللام فقط وليس عن(أل)، لأن الألف في (أل)، ألف وصل تكتب ولا تظهر في اللفظ . . ومنه الحديث الشريف (ليس من امبر امصيام في امسفر). ([٢])

(٢)ـ إبدال الصاد المهملة إلى (س ت) معا (ست) مثال: (صلاة، صوم، صبر) (ستلاه، ستوم، ستبر)، ويناوبون بين الصاد المهملة والشين المعجمة أحياناً، يقولون: (صدى، شدى) (بوصان، بوشان).

(٣)ـ كاف المخاطبة للمؤنث: تقلب كاف المخاطب المؤنث (شين)، مثال: (أبوك: ابوش)، (أمك: امش)، كيف حالك: كيف حالش؟.

(٤)ـ ينطقون بعض الضادات المعجمة فاء: فيقولون: ضمد: فمد، ضفدعة: ففدعة، وبعض القبائل تنطقها (ثاء) مفخمة فيقولون: ثمد وثفدعة.

---

[١] ـ جريدة الوطن. الباحث محمد بن مسعود الفيفي.

[٢] ـ دراسة اللهجات العربية القديمة. (ص ٤٨).

(٥)ـ ينطقون بعض الظاءات المعجمة ثاء مفخمة: أحياناً في مثل ظلام وظلمة فيقولون: ثلام وثلمة والبعض يلفظونها تاءًا وثاء مثال: ظلام: تثلام، ظهر، تثهر ومرققة في مثل قرظ وغلظ فيقولون: قرث وغلث . . وهي عند البعض منهم.

(٦)ـ يجعلون كلمة (أها) بدل هو وهي: مع تفخيم الألف في المذكر وترقيقها وإمالتها في المؤنث و(أهم، هم) (اهن، هن)، (انحن، نحن)، (نا، أنا) . . وهي عند البعض منهم.

(٧)ـ الأسماء الموصولة (ذا، الذي) (تا، التي) (أوذا، الذين) مثال: (ذا معك) (تا معش).

(٨)ـ أسماء الإشارة: ذا ([١])؛ تا؛ ذيّ؛ تيّ؛ ذِ؛ تِ؛ ذِلّي؛ تِلي؛ (ذاك؛ تاك) وهي للبعيد. ([٢]).

(٩)ـ يحذفون بعض الحروف: وينطقون الكلمة والكلمتين أو الثلاث بعد الحذف كلمة واحدة فيقولون في نحو (ما أنت فاعل، منت فاعل) (ماذا أنت فاعل، مذنت فاعل).

(١٠) ـ يحذفون الحرف الساكن: من الحروف إذا تقدم على الفعل أو الاسم وينطقون الباقي مع الفعل أو الاسم التالي، فيقولون في نحو: (قد خرج، قخرج) (قد استقام، قستقام)، (في أمبيت، فمبيت) (في أمسوق، فمسوق) ويحذفون الهمزة من أول الاسم فيقولون في (وأنا أخوك، ناخوك) (وأنا أبوك، نابوك).

---

[١] ـ (ذا) (اسم إشارة) اللغة النبطية، د. يحيى، عبابنة (ص ٩٦).

[٢] ـ حالات التعريف في لغة العرب لسان قبائل فيفاء أنموذجاً، للأستاذ الباحث محمد مسعود الفيفي (آلي).

(١١) ـ يقولون: أيل أو أيلى: بدلا من (إذا) مثال: ايل كليت فغسل يدك، أيلى شبعت فحمد الله.

(١٢) ـ القطع في الأسماء (احم محمدن): أحمد محمد، (حسا علين) حسن علي.

(١٣) ـ المنادى: وفي المنادى إبدال (يا) المنادى إلى (وا)، يقولون: (واحما: يا أحمد) (واحسا: يا حسن).

(١٤) ـ نطق الكاف: وهي عند البعض، يبدلون الكاف الى تاء وسين، مثال: في التحية والسلام: (تسيف الله بتسم) أي (كيف الله بكم).

يقول أ.د. عبدالله بن أحمد الفيفي: (ام رجل ذي تسانا معاتسا) ومعناها: (من هو الرجل الذي كان معاك) [١] ويبدلون الكاف في بعض الكلمات إلى حرف "الجيم" يقولون: لجمْ: لكم، جان: كان، نجون، نكون .. وهي عند البعض.

(١٥) ـ التنوين: وهو نطق تاء التأنيث نوناً ساكنة، فيقولون: (زانت: زانن)، (بدت: بدن)، (قالت: قالن)، (أكلت: اكلن) . . وهي عند الكثير.

(١٦) ـ المعاقبة: تكثر لديهم المعاقبة بين بعض الحروف كالباء والواو، مثال: (مواثر: مياثر)، والضاد والفاء مثال: (ضيف، فيف)، (حياض، حياف)، (حوض، حوف)، وبين الظاء والثاء مثال: (ظهر، ثهر)، (قرظ، قرث)، والظاء

[١] ـ محاضرة "لهجات فَيفاء: جذور العربية، المقامة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بمدينة الرياض، مساء الثلاثاء ٢٥ محرم ١٤٣٣هـ ـ ٢٠ ديسمبر ٢٠١١م، للأستاذ الدكتور عبدالله بن أحمد الفيفي.

والزاي مثال: (ظرف، زرف)، وبين الذال والدال مثال: (أستاذ، استاد) والصاد والسين مثال: (صدى، شدى) . . وهي عند البعض.

(١٧) ـ الكاف التهامية: حيث تنطق الكاف من وسط الحنك الأعلى، ولكن بتخفيف، ما يجعلها بين النطق المعروف الكاف وبين الخاء.

(١٨) ـ قلب الكاف إلى شين: في بعض الكلمات مثال: (كلب، شلب) . . وهي عند البعض.

(١٩) ـ ما سبق بأسماء الإشارة: فإنهم لا يعرفونه بـ (ام) مطلقا.

وهي: ذي، تي، ذ، ت، ذي لي، تي لي، وإلحاق الكاف للبعيد، وسبق بـ (ها) التنبيه: هذيلي الرجل، هاتيلي المره، وبما أن اسم الإشارة أحد المعارف فإن (إم) لا يمكن دخولها في تعريف المشار إليه.

(٢٠) ـ هاء الغائب: إبدال هاء الغائب واو . . مثال: بو، عندو، معو (به، عنده، معه).

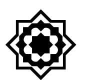
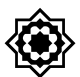
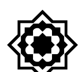
(٢١) ـ يُخرجون جميع الحروف من مخارجها كما هي في الفصحى تقريباً عَدا حرف: (الكاف) و(الجيم) و(الصاد) و(الضاد) و(الظاء) . . وذلك عند البعض.

(٢٢) ـ (وهناك الكثير من اللهجات بلغة حمير إذ بلغ عددها الإجمالي حسب الإحصائية السابقة اثنين وعشرين موضعاً، وحسبي أن أشير إلى أرقام صفحاتها بالهامش ليرجع اليها من يريد عند اللزوم.

انظر هامش تفسير الجلالين للوقوف على اللهجات التي وردت بلغة حمير:

ج١/ ص ٥٧، ٦٧، ١٥١، ١٩٣، ٢١٩، ٢٣٧، ٢٥٧، ٢٦٠.

ج٢/ ص ١٥، ٧٣، ٨٦، ١١٤، ١٢٢، ١٦٣، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٨، ٢٢٣. ([١])

[١] ـ المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية. (ص١٣٧).

لهجة فيفاء
جذور العربية

الدكتور عبدالله بن أحمد الفيفي

لهجات فَيْفاء

(جذور العربية)

عبدالله بن أحمد الفَيفي

(عضو مجلس الشورى- الأستاذ بجامعة الملك سعود)

(أصله محاضرة ألقيت بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

مساء الثلاثاء ٢٥/ ١/ ١٤٣٣هـ الموافق ٢٠/ ١٢/ ٢٠١١م)

مدخل

يقع الخلط كثيراً في الجدل الثقافي بين مشروعيّة دراسة اللهجات العربيّة عِلْميّاً وبين الترويج للعاميّات ثقافيّاً وإعلاميّاً. فدراسة اللهجات ضرورةٌ علميّة، وهي تصبّ في مصلحة العربيّة الفصحى نفسِها. أمّا الترويج للعاميّة، فله مآرب أخرى، بعضها بريء، وبعضها مريب. وهو مريبٌ، لا بما يفتحه من فُرقةٍ لغويّة، وانقطاعٍ ثقافيّ فحسب، ولكن بما وراء ذلك من إحياء قِيَم فكريّة، وترسيخ أنساقٍ اجتماعيّةٍ، ليس أوّلَ مؤرّقاتها ما يمسّ الدِّين، ولا آخرَها ما يهدّد الوحدة الحضاريّة، بنَزْعِ ورقةِ التوتِ الأخيرة عنها: اللغة.

أمّا لماذا أرى دراسة اللهجات أكاديميّاً ضرورةً علميّة؟ فلأن اللغة العربيّة قد أُهمل منها أكثرَ ممّا سُجّل، وفُسّرت ظواهرها تفسيراتٍ تُضحك الثكلى أحياناً. فإذا كان (أبو عمروٍ ابنُ العلاء) قد قال: "ما انتهَى إليكم ممّا قالت العربُ إلاّ أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم عِلْمٌ وشِعرٌ كثير"[1]، فإن اللغويين قد أهملوا كثيراً من ذلك القليل الذي جاءهم، استناداً إلى مقولة أخرى لأبي عمرو نفسه، هي: "ما لسان حِمْيَر وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيّتُهم بعربيّتنا"[2]. بل لعلّهم قد أهملوا من العربيّة أكثر مما سجّلوا؛ لأنهم قد أخذوا بمعيار عِلْميّ، لم يكن متاحاً في زمنهم خيرٌ منه. فاقتصروا على وسط الجزيرة، أو بالأحرى وسط نجد، إنْ في جمعهم اللغةَ والأدبَ أو في تقعيدهم، وأهملوا أنحاء الجزيرة الأخرى، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، بما في ذلك الحجاز، مهبطِ القرآن؛ بحُجّة أن لغة هؤلاء قد مسّها التغييرُ بعد الإسلام بدخول غير العربية من اللغات عليها[3]. بل إن تلك الأنحاء

(١) الجُمَحي (-٢٣١هـ)، طبقات الشعراء، تح. جوزف هل (بيروت: دار الكُتُب العلميّة)، ١٩٨٢م، ٣٤.

(٢) م.ن، ٢٩.

(٣) حتى إنهم لم يأخذوا "من أهل اليمن أصلاً؛ لمخالطتهم الهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم"، حسب تعليلاتهم! انظر حول ذلك، وأسباب تجنّبهم الأخذ عن أطراف الجزيرة، مثلاً: (السيوطي (-٩١١هـ)،=

من الجزيرة، المتّهمةَ لغتُها من قِبَل اللغويين، كانت منفتحةً على الأمم الأخرى ولغاتها منذ ما قبل الإسلام. فضُرب صفحاً عن تلك الجهات، إلاّ فيما ندر، وتُرك بها تراثٌ كثير، كأنه ليس بعربيّ، ومن ثَمَّ ضاع قطاعٌ واسع من العربيّة وأدبها. كأن أولئك اللغويين ظنّوا أن مَعاقل الجبال أهونُ مسلكاً وغزواً على غير العرب من فيافي القفار في الجزيرة، مع أن العكس هو الصحيح؛ فلقد تغلغلتْ الفارسيّة مثلاً في وسط الجزيرة، كما فعلتْ في شرقها وجنوبها الأقصى، حاملةً لغتَها وثقافتَها، منذ وقتٍ مبكّر من تاريخ العرب المعروف. على حين بقي لعزلة الجبال امتناعُها اللغويّ غالباً، حتى لقد ذكر عمارةُ بنُ علي بنِ زيدان الحكمي، المشهور بعمارة اليمني، في القرن السادس الهجري (-٥٦٩هـ= ١١٧٤م)- الذي وُلد في بقعة الزرايب في جبل مصيدة من جبال بني الغازي، المجاورة لفَيْفاء[١]- في حديثه عن (الزرايب) وأنها من أعمال ابن طرف، وأنها الوطن الذي وُلد فيه، وكان بها أهله إلى ذلك التاريخ الذي ألّف فيه كتابه "تاريخ اليمن"، أن جدّه أحمد بن محمّد

= الاقتراح في علم أصول النحو، عناية: محمود سليمان ياقوت (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية)، ٢٠٠٦م، (١٠٠- ١٠٤). ولئن صحّ ما زعموه في الأطراف القصوى، فإن سُكّان القطاعات الأخرى، كجبال السروات واليمن، لم يعرفوا الأحباش ولا الهنود، ولم يخالطوا غيرهم، حتى من العرب، ناهيك عن العجم. ثم مَن قال إن مخالطة الأعاجم، ولا سيما على نحوٍ محدودٍ، يُفسد نواميس اللغة العربية ومقاييسها الأصليّة بالضرورة؟ ولنا في العصر الحديث برهان، فلقد هيمن الأتراك على العالم العربي والإسلامي مئات السنين، كما استُعمرت بلدان عربية كثيرة من أُممٍ أخرى، كالإنجليز والفرنسيين والطليان، ومع ذلك- وعلى ضعف السليقة العربية، وانهيار موانع التأثّر والتاثير- لم تفسد في ألسنة الناس بنياتُ اللغة العربية الأصلية، ولا أنظمتها الأصيلة وآليّاتها الخاصّة، وكلّ ما حدث- آخر المطاف- لم يَعْدُ دخولَ بعض مفرداتٍ غير عربيّة إلى معجم الاستعمال. وهذا أمرٌ طبعيّ، بل قد يكون حيويّاً ومثرياً لأيّ لغة. ولم تظهر تلك الآثار العميقة، التي تهدّد سُنن العربية على نحوٍ ظاهرٍ، إلاّ في بعض تلك البلدان التي صاحب الاستعمارَ فيها تخطيطٌ ممنهجٌ استئصاليٌّ يهدف إلى محو العربية وثقافتها وإحلال سواهما محلّهما، كما في بعض بلدان المغرب العربي.

(١) انظر: العقيلي، محمّد بن أحمد، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، (نادي جازان الأدبي)، ١٩٩٠م، ١: ٨٧.

كان له حصن بعَكْوَة، مشيراً إلى أن العَكْوَتَيْن جبلان منيعان لا يطمع أحدٌ في حصارهما، وفيهما يقول راجز الحاجّ:

إذا رأيت جبَلَي عكادِ
وعَكْوَتَيْن من مكانٍ بادي
فأبشري يا عينُ بالرُّقادِ

ذاكراً أن جَبَلَي عكاد: فوق مدينة الزرايب، وأن أهلها باقون على اللغة العربيّة منذ الجاهليّة إلى يومه ذاك، لم تتغيَّر لغتُهم، بحُكم أنهم لم يختلطوا قط بأحدٍ من أهل الحَاضرة، وهم أهل قرارٍ لا يظعنون عن ديارهم. ولذا أشار إلى أنه لّما دخل زبيد في سنة ثلاثين وخمس مئة، يطلب الفقه، وكانت سنّه دون العشرين، جعل الفقهاء في جميع المدارس يتعجّبون من كونه لا يلحن في العربيّة؛ حتى إن أحد الفهاء، واسمه نصرالله بن سالم الحضرمي، قد أقسمَ بالله لقد قرأ الصبيُّ عمارة في النحو قراءةً كثيرةً. حتى عَرَفَ فيما بعد أن ذلك عن طبعٍ وتلقٍّ بيئيٍّ لا عن تعلُّمٍ مدرسيّ. كما أنه لما زاره والده وإخوته السبعة إلى زبيد أحضر الفقهاء، فتحدّثوا معهم، قال: "فلا والله ما لحن أحدٌ منهم إلاّ لحنةً واحدةً نقموها عليه."(١).

(١) انظر: عمارة الحَكَمي، تاريخ اليمن، (لندن: كِلْبرت ورِونكتُن)، ١٣٠٩هـ، ٢١. وقد نَقَلَ هذا عنه (الحموي، ياقوت (-٦٢٦هـ)، معجم البلدان، (عكاد)؛ (عكوتان). ثم نقله (الفيروزآبادي (-٨١٧هـ)، القاموس المحيط، (عكد)، مضيفاً أن عَكَاد: "قُرب زَبيد". وكذا نقله (الزبيدي (-١٢٠٥هـ)، تاج العروس، (عكد)، وأضاف- إلى جانب قول (الفيروزآبادي): إن عَكَاد: قُرب زَبيد- قوله: إن أهلها باقون على اللّغة الفَصِيحة "إلى الآن"، قال: "ولا يُقيم الغَرِيبُ عندهم أَكثرَ من ثلاث ليالٍ، خوفاً على لسانِهم." وقد لفتت إشارة (الزبيدي) إلى امتداد فصاحة أهل عكاد، إلى زمنه- أي القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، من خلال قوله: "إلى الآن"- (الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٠): ١: ١٩٤)، مشيراً إلى أنه لا يُعرف قوم خلصت لغتهم غير أولئك "العكاديّين"، مستدلاً ممّا أورده (الحموي) كذلك على: أنه لم يكن يُعرف في زمنه غيرهم على تلك الصفة. مضيفاً أن لسان البدو النازلين في الجنوب من شبه الجزيرة لا يزال لسانهم إلى اليوم أكثر شبهاً بالفصيح من بعض الوجوه من سائر العرب. ولنا مع هؤلاء وقفات: =

....

= أ. أين تقع "الزرايب"، التي أشار إليها عمارة؟ لقد تقدَّم أنها في جبل مصيدة من جبال بني الغازي، حسب تحديد العقيلي.

ب. أين تقع "العَكْوَتان"؟ إنهما جبلان، ما زالا يُعرفان باسمهما إلى الآن، في أعلاهما فوّهتا بركان، يُريان من بعض جهات فَيفاء. ومعنى العَكْوَة في العربية: أَصلُ الذَّنَب، حيثُ عَرِيَ من الشَّعَر من مَغْرز الذَّنَب، وعكَى الضَّبُّ بذَنَبه: لواه، وشاةٌ عَكْواءُ: بيضاءُ الذَّنَب وسائرُها أَسْوَدُ، وقيل: الشاةُ التي ابْيَضَّ مؤخَّرُها واسْوَدَّ سائرُها. وعُكْوَةُ كلِّ شيء: غِلَظُه ومُعْظَمُه. والعُكْوَة: الحُجْزة الغليظة. وعَكا بإزاره عَكْواً: أعْظَم حُجْزَتَه وغَلَّظها. والعاكي: الغَزَّالُ الذي يبيع العُكَى، جمع عُكْوة، وهي الغَزْلُ الذي يَخْرُج من المِغْزَل. تُسمَّى بلهجات فَيفاء وبني مالك وبني منبّه وأماكن أخرى من اليَمن: عكاوَة، جمعها: عَكاوٍ. ويقال: عَكا بإزارِه يَعْكُو عُكِيّاً أَغْلَظَ مَعْقِدَه، وقيل: إذا شدَّه قالصاً عن بَطْنه لئَلَّا يَسْتَرْخي لِضِخَم بطنه؛ قال ابن مقبل:

... شُمٌّ مَخاميصُ لا يَعْكُوْنَ بالأُزُر

والعَكْوَةُ والعُكْوَةُ جميعاً: عَقَبٌ يُشَقُّ ثم يُفتَل فَتْلَين كما يُفْتَلُ المخراقُ. وعَكَت المرأة شَعْرَها إذا لم تُرْسِلْه. والعَكْوَة كذلك: النُّقْرة في ذقن الصبيّ. (يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (عكا). ومن خلال هذا الحقل الدلاليّ اشتُقّ اسم عَكْوَة، لالتفاف فوّهتها ذات الحمم البركاني.

ج. أين تقع "عكاد"؟ هما جبلان صغيران، يسمِّيهما بعض الناس اليوم: "العكادين"، في درب بني شُعبة، موقعهما بين الدَّرْب والمطعن، جهةَ الجنوب الشرقي من الدَّرْب، جُعلت فوقهما اليوم بعض أبراجٍ للاتصالات. ويشير (العقيلي، محمّد بن أحمد)، في تحقيقه لكتاب (البهكلي، عبدالرحمن بن أحمد، نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تكملة: الحسن بن أحمد عاكش، (جازان: مطابع جازان)، ١٩٨٦م، ٢١٣– ٢١٤)، إلى أن عكاد غرب خطّ الإسفلت، وليس قرب عكاد أو حولها جبل باسم عكوتين، وإنما العكوتان عند قرية جخيرة، في المكان المحدّد أعلاه، ويبعدان عن عكاد مسافة ٧٥ كيلاً.

د. كيف يقول صاحب "التاج"– وهو قد أقام بزَبيد وانتسب إليها، ويُفترض أنه أعرف بديارها وما جاورها– إن عكاد بقرب زَبيد؟ ذلك محمولٌ على: نَقْله كلام (الفيروزآبادي) دون تدقيق، ولعلّ كلام (الفيروزآبادي) بدوره تصحيفٌ في الأصل عن عبارة (عمارة): إن عكاد "فوق الزرايب"، ملتبساً ذلك بما ساقه من بَعدُ عن زَبيد. أو ربما كان القول بقُرب عكاد من زبيد مبنيّاً على النسبيّة في مقياس القرب والبعد، ولاسيما أن كليهما من جهات اليمن، بمفهوم اليمن القديم، وإلاّ فبينهما بَون مكانيّ شاسع. وهؤلاء– على كلّ حال– إنما ينقلون عن عُمارة، وعُمارة من أبناء تلك البلاد، وهو الحُجّة في معرفتها، ولم يقل ما قالوه.

هـ. عمَّ كان يتحدّث (عمارة) في مسألة الفصاحة والبقاء على العربية؟ قال نصّاً: "وجبلا عكاد فوق=

وعلى الرغم ممّا قد يتّسم به أسلوب عمارة من مبالغاتِ شاعرٍ، ولاسيما في مقام الفخر- حتى إنه ليزعم أن جَدَّه لأبيه، زيدان بن أحمد، كان يقول: "أنا أَعُدّ من أسلافي أحدَ عشرَ جَداً، ما منهم إلاّ عالم مصنِّف"(١)- على الرغم من ذلك فليس كلامه ببعيد عن التصديق. وما قاله عن تلك الجبال ينطبق على جبال فَيْفاء وما جاورها. ونحن حين نذكر اليوم أن ظواهر لغويّة- ممّا يتكرّر في الدراسات الحديثة أنه قد امّحَى من اللهجات العربيّة- ما زال موجوداً في لهجاتنا، لا يصدّقنا أحد.

وخلاصة القول: إن اللهجة الفَيْفيّة- أو غيرها من اللهجات العربيّة- لا تسوِّغ أصالتُها استمراريّتَها أو الترويجَ لها أو ترسيخَها بالشِّعر والإعلام بحالٍ من الأحوال؛ لأن الطموح النابه في أجيال المستقبل ينبغي أن يتّجه إلى تخطّي اللهجات إلى

= مدينة الزرايب، وأهلها باقون على اللغة العربية..." . فأوّلاً، قوله "فوق" إشارة إلى الجهة، وكأنه يعني: "شَمال" الزرايب، لا أنهما في مكان واحد. أمّا أبيات الراجز، فلا تعني بالضرورة تجاور جبلَي "عكاد" و"العكوتين"، وإنما ضُربتْ هذه الأماكن مثلاً على فرح الحاجّ بالعودة إلى تلك الديار، حين يرى تلك الجبال على دربه. غير أن الوهم الآخر الذي وقع فيه القدماء والمحدثون هو في من وصف (عمارة) بعضَ أهل تلك الجهات بالفصاحة. فهو إنما تحدَّث عن أهله في جهة الزرايب والعكوتين، حيث قال، بعد تحديده جبلَي عكاد بـ"فوق مدينة الزرايب": "وأهلها باقون على اللغة العربية"، فالضمير هنا عائد على "مدينة الزرايب"، وكل كلامه اللاحق هو عن أهله فيها، لا عن (عكاد)، التي جاء ذكرها عَرَضاً في كلام الراجز، ولا عن (العكاديّين)، كما توهّم الواهمون. وإنْ كان هذا لا ينفي فصاحة هؤلاء أيضاً، بيد أن الاستشهاد بقول عمارة على ذلك لا وجه له. أمّا استدلال الرافعي بكلام صاحب "التاج"، وكلام (الحموي) على بقاء اللسان العربي الفصيح إلى زمنيهما، فهو أوّلاً- وإنْ صحّ احتمالاً- مبنيٌّ على ذلك الوهم المشار إليه، وعدم الوقوف على نصّ عمارة؛ حيث تكلّم عن (الزرايب)، فذهب الزبيدي والحموي يتكلّمان عن (عكاد)! ثم إننا لا نملك أن نثق بدقّة ما أورده (الزبيدي)، حتى عمّن وصفهم عمارة، أي (أهل الزرايب والعكوتين)؛ لأننا قد رأينا اعتماده على نقل عبارات سابقيه دون تمحيص. ولعلّه إنما ينقل كذلك إشارةً شبيهةً نجدها لدى (الحموي)، في قوله: "باقون على اللغة العربية من الجاهلية إلى اليوم". وقد رأينا لَبس الاثنين فيما نقلاه عن (عمارة) في تحديدهما مكان أولئك المعنيّين بالفصاحة، بل في تحديد جبلَي عكاد نفسهما، فكيف بمعرفتهم بلغة أهالي تلك الديار؟!

(١) انظر: عمارة الحَكَمي، النكت العصريّة في أخبار الوزراء المصرية، عناية: هرتويغ درنبُرغ (مدينة شالَوْن- فرنسا: مَرْسَوْ)، ١٨٩٧م، ٨.

العربيّة الفصحى الجامعة للأُمّة، لغةِ القرآن والتاريخ والحضارة، غير أن دراسة اللهجات تظلّ معيناً خصباً في الوعي المعاصر بجذور لغتنا العربيّة، وإعادة النظر في جهود القدماء في دراستها، وهذا ما أسعى إليه.

إن البنية اللغوية والنحوية، في لهجات فَيْفاء، وكذا البنية المعجمية، والبنية شعرية، تُجيب عن خلافات لغوية قديمة، كان يسوقها العلماء في جدليّاتهم المتعلقة باللغة العربية، مع غياب علمهم الدقيق باللهجات العربية والبيئات العربية.

وقد آن أن يعيد الدارسون النظر النقديّ في كُتب التراث اللغويّ في ضوء المعرفة باللهجات العربيّة، ولاسيما لهجات الجزيرة العربية. وفيما يلي نماذج من تلك البنيات.

١- نماذج من البنية اللغوية والنحوية:

[أ] همزة النداء: يستعملونها كما يستعملون في النداء "ها"، وكأنها تحوير لهَجي لأداة النداء: "يا". كما يستخدمون: "وا". وفي أساليبهم في النداء يسوق (العقيلي)[١] نموذجين- على ما وقع فيهما لديه، وفي تفسيره إيّاهما، من أخطاء- وهما:

النموذج الأول: "وَيَزِمْ قاسمْ، وَايَزْ! أنتَ بادٍ، وَيَزْ؟! مَا لَّ خَيرْ، وادْعِ الجابرِ مْسالمْ، قِلْ لَوْ: قال الأمير: يَستِلْ نَحَوْ ذلحِيْنْ، ويَاهَبْهَا مَرَّةْ؛ بها بْحاجَتُوْ، ولا يَلْهِي."

المعنى: "وا يزيد بن قاسم، وا يزيد! أأنت بادٍ، وا يزيد؟! ما [هناك] إلاّ خيرٌ، وادعُ جابر بن سالم، قُلْ له: قال الأمير: ليَصِلْ نَحْوَه هذا الحِين، وليَهَبْها [=جيئته] مرّةً [واحدة]؛ فهو بحاجة إليه، ولا يلهَى [بشيء عن سرعة المجيء]".

وهكذا تبدو الكلمات فصيحة والتراكيب مستقيمة العربية، مع بعض اللكنة

(١) تاريخ المخلاف السليماني، (الرياض: دار اليمامة)، ١٩٨٢م، ١: ٨٧.

اللهجية والحذف لما هو مفهوم من السياق.

النموذج الآخر: "وَيَزْ! بِدّي أواشِعْجَ أَيْلَ انتَ هايشٍ معي نَحَ امشيخ، وما نْحِنْ لاهين."

المعنى: "وا يزيد! بودّي أن ألتقيك إذا كنتَ ذاهباً معي نحو الشيخ، وما نحن بلاهين [=متأخرين]."

ولتحليل المفردات: "بدّي= بودي"، "واشع= قابل"، "أيل= إذا"، "هايش= ذاهب"، "نحَ= نحو"، "لاهين= متأخرين"، والتفصيل في شرح دلالة هذه المفردات وأصولها موضوع يطول، محلّه من معجم تحت الإعداد. وإنما الشاهد هنا استعمال الهمزة للنداء.

ونداؤهم بهمزة النداء، "أ.. فلان"، ولا يستعملون: ياء النداء.

أمّا ترخيم المنادى المفرد، فظاهرة شائعة لديهم، كما هي لدى العرب، من نحو قول (امرئ القيس):

أَحارِ، تَرى بَرقاً أُريكَ وَميضَهُ كَلَمعِ اليَدَينِ في حَبِيٍّ مُكَلَّلِ

في نداء (حارث). فهم يرخِّمون المنادى على النحو الآتي: أ مَحَهْ= أ محمّد؛ أ أحْمَهْ= أ أحمد؛ أ سِلَه= أ سليمان؛ أ سَلَهْ= أ سَلامَةْ (اسم امرأة)؛ أسلْمَهْ= أ سلمان؛ أقاسْ= أ قاسم؛ أعلْ= أ علي؛ أمَسْعهْ= أ مسعود؛ أ حَسْ= أ حسن؛ أ حِسَهْ= أ حسين؛ أ جِبْرَهْ= أ جبران؛ أ فَرْحَهْ= أ فرحان؛ أ يَحْ= أ يحيى؛ أ جابْ= أ جابر؛ أ سالْ= أ سالم؛ أسْعَهْ= أ أسعَد؛ أ سَعَهْ= أ سعيدة (اسم امرأة)؛ أ فاطْ= أ فاطمة؛ أ مَشْ= أ مَشْنيَة (اسم امرأة)؛ أ جَمْ= أ جميلة؛ أ عايْ= أ عائشة. بينما نجدهم ينادون اسماً كـ"مفرح" هكذا: أ فَرِّحْ، بالحذف من أوّله لا من آخره، تحاشياً- فيما يبدو- لدلالة غير مستحبة، أو ملتبسة، فيما لو حذفت الحاء فقيل: "أ مفرّ".

إلا أنه لا يمكن أن يُرخمّوا الاسم الثلاثي المتحرك الوسط، كعُمَر، أو جُبَر. وقد كان هذا موضع جدل لغويّ، فأقرّه الكوفيون وأنكره البصريون. قال المتنبي:

أَجِدَّكَ ما تَنْفَكُّ عانٍ تَفُكُّهُ عُمَ بْنَ سُليمانَ ومالٌ تُقَسِّمُ

أي: "عُمَر بن سليمان"(١).

ويُلحظ في لهجات فَيْفاء، سواء في النداء أو في غير النداء، ظاهرة مطّ الحركة، للتذكُّر، ونحوه من أسباب التوقّف. كقولهم: "قالا..."، أي "قالَ...". أو "نا بوجا/ نا بوكا"، أي "نا بوجَ/ نا بوكَ"، بمعنى: "أنا أبوكَ"(٢). أو "قِدِي قلت لو"، أو "قيدْ قلت لو"، أي "قدْ قلت له". وهم لا يحقّقون نُطق الياء في "قِدِي" و"قيدْ"، ولكنها تسمع كالألف الممالة. وهي ظاهرة سجّلها قديماً (سيبويه)(٣) في الكلام العربي، حيث قال: "يقول الرَّجُل، إذا تذكَّر، ولم يُرِد أَنْ يَقْطَع كلامَهُ: "قالا": فَيَمُدُّ قال؛ و"يقولو"(٤)، فيمدُّ يقولُ. و"من العامي"، فيمدُّ العامِ؛ سمعناهم يتكلَّمون به في الكلام ويجعلونه علامة ما يَتذكَّر به، ولم يَقطع كلامه. فإذا اضطُرُّوا إلى مثل هذا في السَّاكن كَسَرُوا. سمعناهم يقولون: "إنه قَدِي"، في قَدْ، ويقولون: "ألي"، في الألف واللام، يتذكّر الحارث ونحوه".

[ث ن ى] المُثَنّى: من الشائع لدى اللغويين المحدثين أنه لم يَعُد مستعملاً اليوم، ولاسيما إذا أُسند الفعل إليه. وذلك صحيح في معظم اللهجات العربية الحديثة. إلاّ أن ذلك ما يزال مستعملاً في لهجة فَيْفاء في ضمير المخاطب: "أنتما". وفي لهجة بني مالك، أبناءِ عمّ أهل فَيْفاء كذلك، إلاّ أن لديهم إضافة إلى ذلك

---

(١) انظر: المتنبي، ديوانه، تح. عبدالرحمن البرقوقي (بيروت: دار الكتاب العربي)، ١٩٨٦م، ٤: ٢١٢.

(٢) ينطقون الكاف في كلّ الأحوال صوتاً شبيهاً إلى حدٍّ ما بالجيم المعطّشة، يُشبه نطقَ بعض اللهجات العراقيّة الكافَ.

(٣) الكتاب، تح. عبدالسلام محمّد هارون (بيروت: عالم الكُتُب)، ١٩٨٣م، ٤: ٢١٦.

(٤) في "الكتاب": "قالوا"، وهو غلط.

إسنادَ الفعل إلى المثنى، فيقولون مثلاً: "هِيْشا لمكان كذا وكذا"، و"هيشا": تعني اذهبا. ولكنهم لا يطّردون في الثنية، فقد يستعملون الجمع. وهذا أمر معهود في الفصحى كذلك. فمن نموذج سجّله (العقيلي)[1]: "بوُدِّي (تشهدان) نَحَوْ (أنتما) وشَوْفتين".

٢- نماذج من البنية المعجمية:

[ث و ب] ثاب، يَثُوب، ثِبْ: أي استراح.

وهي لهجة حِمْيَرِيَّة قديمة، فقد جاء في كتاب (ابن السكّيت، -٢٤٤هـ) "إصلاح المنطق"[2]: "قال الأصمعي: دخل رجلٌ من العرب على ملك من ملوك حِمْيَر، فقال له: ثِبْ- وثِبْ بالحِمْيَرِيَّة: اقْعد- فوَثَبَ الرجل فتكسّر، فقال الحِمْيَري: ليس عندنا عربيت، من دخل ظفار حمّر، قال الأصمعي: حمّر، تكلّم بكلام حِمْيَر"[3]. ونَسَبَ (ابن فارس، -٣٩٥هـ) "الصاحبي في فقه اللغة"[4] القصة إلى زيد بن عبدالله بن دارم، وأضاف أن الملك كان على جبل مشرف، فلمّا قال: "ثِبْ"، قال زيدٌ: "لتجدني أيها الملك مِطواعاً"، ووَثَبَ من الجبل. ولعلّ الحكاية- أو المبالغة في تفاصيلها، في الأقل- محضُ اختلاق، للتأكيد على الفروق اللهجية بين لغة اليمن ولغة عرب الشمال، التي قد تصل إلى أن لغة حِمْيَر ليست

(١) المخلاف السليماني، ١: ٨٦.

(٢) إصلاح المنطق، تح. أحمد محمّد شاكر وعبدالسلام محمّد هارون (القاهرة: دار المعارف بمصر)، ١٩٧٠م، ١٦٢.

(٣) قال (البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر)، في موضوع من كتابه تحت عنوان "ذِكر أخبار الجَزْع"، تعليقاً على هذا: "لو قيل: مَن مَلَكَ ظفار، تفنّنَ؛ فخاطب كلَّ إنسانٍ بما يَعرف، كان أصوب!" ولكن مَن لملك ظفار بمعرفة أنّ "ثُبْ" لدى العدنانيّ ستُفهم على ذلك النحو، أي على أنها "ثِبْ"! والحكاية بمجملها مصطنعةٌ، بل غير معقولة، كما نرى، وإنما سيقت إمعاناً في تصوير الاختلاف اللهجيّ بين عربيّة الجنوب وعربيّة الشمال.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح. عُمَر فاروق الطبّاع (بيروت: مكتبة المعارف)، ١٩٩٣م، ٥٤.

بعربيـة: "ليس عندنا عربيت"! انطلاقاً من مقـولة (أبي عـمرو ابن العلاء): "ما لسان حِمْيَر وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيّتُهم بعربيّتنا"، التي ساقها (الجُمَحي، -٢٣١هـ) "طبقات الشعراء"[١]. إلا أن ذلك الشاهد الذي ساقوه من خلال حكاية "ثب" لا شاهد فيه. والحقّ أن ابن السكّيت وابن فارس، كمعظمِ لغويّينا القدامى، نَقَلَةٌ، تُعوزهم المعرفةُ الدقيقةُ باللهجات، وهم يوردون مثل تلك الحكاية بلا تحليل ولا تمحيص، وإلاّ فإنه- إذا كانت لهجة الحميريّ تلك لهجةً يمانية كلهجة فَيْفاء اليوم، وهو الراجح- فـ"ثِبْ" في الحكاية من "ثَوَبَ"، لا من "وَثَبَ"، كما فهم اللغويون، وساقوا تلك الحكاية ليستنتجوا منها افتراق لغة حمير عن لغة عدنان. ولهذا يقال بلهجة فَيْفاء: "ثابَ، يثوب، ثِبْ"، أي قَعَد أو استراح. و"ثِبْ" هنا هي: "ثُبْ"، إلاّ أنهم يُميلون الضمّ إلى الكسر في مثل هذا الموضع. و"ثاب، يثوبُ، ثُبْ": عربيّةٌ لا غُبار عليها، بمعنى رجَع وعادَ إلى موضعه وجلس في مجلسه. ومنه مَثابُ البئر: مكان الساقي على فم البئر. والمَثابَة: المُجتَمَع والمنزل[٢]. يقول (ابن مقبل)[٣]:

أَلَمْ تَرَ أنَّ القَلْبَ ثَابَ وأَبْصَرَا وجَلَّى عَمَايَاتِ الشَّبَابِ وأَقْصَرَا

وعليه، فاستعمال "ثُبْ، أو ثِبْ (حسب نطقها في اللهجة)"، بمعنى: "اقعد، أو استرح، أو اهدأ"، ليس بغريب الدلالة عن معاني مادة "ثَوَبَ"، حتى يُستنتج منها حكمٌ تعميميٌّ بأن الحميريّة ليست كعربيّتنا.

وفي مقالة نشرها الباحث العراقيّ (علي الشوك)[٤] حول ترجمةٍ عربيةٍ أولى لقصيدة فينيقيّة عُمرها ٢٨٠٠سنة، يشير في تعليقه على القسم الثاني من

(١) طبقات الشعراء، تح.جوزف هل (بيروت: دار الكُتُب العلمية)، ١٩٨٢م، ٢٩.

(٢) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ثوب).

(٣) ديوان ابن مُقْبِل، تح. عزَّة حسن (دمشق: مديرية إحياء التراث القديم)، ١٩٦٢م، ص١٤٢: ب١.

(٤) انظر: صحيفة الحياة، العدد١١٥٥٦، السبت ٨ أكتوبر ١٩٩٤م= ٣ جمادى الأولى ١٤١٥هـ، ص٢٠.

القصيدة قائلاً: "جاء السطر الأوّل. . . باللغة الفينيقيّة على النحو الآتي: "أ ن ك. ك ل م و. ب ر. ح ي ء– ي ش ب ت. ع ل. ك س ء. أ ب ي"، ويعني بالحرف الواحد: "أنا. كيلاموا [كذا]. ابن. حي– وثبت (أي جلستُ). على. عرش. أبي." ذلك أن (أ ن ك) الفينيقيّة تعني "أنا"، والكلمة التي تُقال للجلوس بالفينيقيّة هي (ي ش ب)، أي (يَثِب)، وهذه تعني (يجلس) في اللغات الساميّة، عدا العربية التي ذهبت إلى معنى (الوثوب)." والحق أن "ي ش ب ت" تعني: و"ثُبْتُ". وقول الباحث إن العربية قد "ذهبت إلى معنى (الوثوب)" في الكلمة، فيه إغفال للغة الحميريّة (العربية)، التي كانت فيها "يَثُوْب" بمعنى يجلس، كما أن فيه إعادة لذلك الخطأ القديم، الذاهب إلى أن الملك الحميري قال: "ثِبْ"، من الوثوب، وهو إنما قال: "ثُبْ" من الثَّوْبِ والثَّوَبان. ذلك أن "ثُبْ"– كما سبق– من "ثَوَبَ"، لا من "وَثَبَ". وما زالت مستعملة بذلك المعنى في لهجات جبال فَيفاء، كما تقدّم.

والمثابة: بيت في جبل آل الداثر. وربما سُمي المثابة العليا، تمييزاً له عن بيت أسفل منه قليلاً، أُلحق باسمه، فأُطلق عليه اسم المثابة السفلى.

"والمَثَابَة: الموضع الذي يُثاب إليه، أي يُرجع إليه مرةً بعد أُخْرَى. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾. وإنما قيل للمنزل "مَثَابَة" لأن أهله ينصرفون في أمورهم ثم يثوبون إليه"(1).

[ذ و] ذا/ ذي: يستعملونها بمعنى (الذي). يقول أحدهم مثلاً: "يَقَعْ ذا وَقِعْ"، أي: "ليحدث ما يحدث". أو: "مِنْها امْرَجِل ذي جانَ مَعَجَ؟"، أي: "من هو الرجل الذي كان مَعَكَ؟". ولعلّ أهل الجبل الأسفل أميل إلى استعمال: "ذا" بدل "ذي". وفي لهجة بني مالك يستعملون: "ذا" كذلك.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، (ثوب).

واستعمال "ذو" بمعنى "الذي" لهجة قديمة، وصفها اللغويين في قبيلة طيء. ومنها قول الشاعر:

فقولا لهذا المرءِ ذو جاء ساعياً　　　هَلُمَّ؛ فإن المشرفيّ الفرائضُ

[ذ ي] ذِيْ، ذَيَّا: هذا. وقد قال (المتنبي، ديوانه، ٢: ٢٢٦):

أذا الغصنُ؟ أم ذا الدِّعْصُ؟ أم أنت فِتْنَةٌ؟

و(ذَيَّا) الذي قَبَّلْتُهُ البَرْقُ أم ثَغْرُ؟!

قيل: "ذيَّا" تصغير اسم الإشارة "ذا"، غرضه الإشارة إلى شِدَّة قُرب المشار إليه أو صِغَره.

وما يعرف من الاستخدام اللهجي يؤيد الغرض الأول لهذا التصغير دون الآخر، أي: الإشارة إلى شِدَّة قُرب المشار إليه لا إلى صِغَره بالضرورة.

[ر ب ص] تَرَبَّص، يتْـرَبَّص، اتربَّص (وينطقون الصاد سين تاء): تأنّى في مشيه.

وفي القرآن الكريم: "يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى، وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ، وَتَرَبَّصْتُمْ، وَارْتَبْتُمْ، وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ، حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ، وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ."(١). فالتربّص يأتي بمعنى التأنّي، كما تدلّ اللهجةُ بما حفظته من هذا الأصل الدلاليّ، ثم صار يعبَّر بذلك مجازاً عن عدم الإقدام على شيء عموماً، وقد يكون لترقّب ما تنجلي عنه الأمور، أو لتدبير مكيدة. وجاء في خبر موقعة الجمل، مثلاً: "ولمّا فرغ عليٌّ من الواقعة أتاه الأحنف بن قيس في بني سعد، وكانوا قد اعتزلوا القتال... فقال له عليٌّ: لقد تَرَبَّصْتَ. فقال: ما كنتُ أراني إلاّ قد أحسنتُ..."(٢).

[ر ف ص] رُفْصَة/ رُفْستَة: دَرَجَة، في مبنى أو طريق، جمعها: رُفَص/

(١) سورة الحديد، ١٤.

(٢) النويري (– ٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح. عماد علي حمزة (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٢٠٠٤م، ٢٠: ٤٩.

رُفَسْت. وأرْفَصَ/ أرفَست، يُرْفص/ يُرْفست، ارْفص/ ارْفست: بمعنى ساعد على الصعود، كأن يدعم دابّة أو يدفع إنساناً من ورائه ليصعد درجاً. ولا يسمّون السُّلّم الخشبيّ ونحوه من السلالم المتنقّلة: رُفصة، بل يسمّونه: مرقايٍ/ مرقاء.

ويبدو للكلمة أصل عربيّ مهمل، ذلك أن معاجم اللغة تذهب إلى أن ارْتَفَصَ السِّعْرُ بمعنى غَلاَ وارْتَفَعَ[1]. لكن المعاجم تقف عند هذا، موردة معنى آخر لرُفْصَة، على أنه مقلوب: فُرْصَة. ويقول (الأزهري)[2] حول ارْتَفَصَ السِّعْرُ بمعنى غَلاَ وارْتَفَعَ: "كأنه مأخوذ من الرُّفْصة وهي النوبة." والواقع أن اللهجة تقرّب إلينا مأخذ قولهم ارْتَفَصَ السِّعْرُ بمعنى غَلاَ وارْتَفَعَ؛ فارتفص بمعنى: طلع وارتفع وصعد، كمن يصعد رُفْصَة. غير أن المفردة أُهملت في مدوّن اللغة فغاب معناها هذا عن الأذهان. ولذلك فإن تعليل الأزهري غيرُ واردٍ، لكنه لم يجد غيره، ولو كان يعرف المفردة اللهجيّة ومعناها لاتضح لديه مأخذُ قولهم ارْتَفَصَ السِّعْرُ بمعنى غَلاَ وارْتَفَعَ.

[س ل ط] السَّلِيْطُ: الزيت، وغالباً ما يطلق على زيت (السِّمْسِم). ومعروف أن السِّمْسِم من أهم المحاصيل الزراعية في جنوب الجزيرة، ومعاصره من أشهر تراث تلك المنطقة الإنتاجي.

جاء في (ابن منظور)[3]: "السَّلِيْطُ: عند عامة العرب الزيت، وعند أهل اليمن دُهْنُ السِّمْسِمِ؛ قال امرؤ القيس: أمالَ السَّليطَ بالذُّبال المُفتَّلِ.

وقيل: هو كل دُهن عُصر من حَبّ؛ قال ابن بري: دُهن السِّمْسِم هو الشَّيْرَجُ والحَلُّ؛ ويُقَوّي أَنَّ السَّليط الزيتُ قولُ الجعديّ:

يُضيءُ كَمِثْلِ سِراجِ السَّليـ ... ـطِ، لم يَجْعَلِ اللّهُ فيه نُحاسا

(١) انظر: الجوهري، صحاح اللغة، (رفص)، وغيره.

(٢) تهذيب اللغة، (رفص).

(٣) (سلط).

قوله لم يجعل الله فيه نُحاساً أي دُخاناً دليل على أَنه الزيت لأَن السليط له دُخان صالِحٌ، ولهذا لا يُوقد في المساجد والكنائس إلا الزيتُ؛ وقال الفرزدق:

ولكنْ دِيافِيٌّ أَبُوه وأُمُّه   بِحَوْرانَ يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أَقارِبُهْ

وحَوْرانُ: من الشام والشأْم لا يُعْصَرُ فيها إلا الزيتُ. وفي حديث ابن عباس: رأَيت علياً وكأَنَّ عَيَنَيْه سِراجا سَلِيطٍ؛ هو دُهْن الزيتِ". وقد سقتُ هذا الشاهد المطوّل لأبيّن ما تتضمنه اللهجات من رصيد لغوي كان كفيلاً بالإجابة عن كثير من الأسئلة اللغوية. فابن بري يدير جدله وكأنه يتعامل مع لغة أجنبية لا يعرفها، فيُضطر إلى الاستدلال بالشِّعر على أن السليط ليس بدهن السِّمْسِم وإنما هو الزيت، أي زيت الزيتون، أو دهنه. في حين يطابق ما يعرفه أهل فَيْفاء عن "السليط" مع ما جاء في مستهلّ كلام ابن منظور عنه من أنه: الزيت عموماً، وعند أهل اليمن دُهْنُ السِّمْسِم خاصة. أمّا استدلالات ابن بري فلا تناقض ذلك؛ لأن قول الجعدي قائم على الاستدراك، فهو- بعكس ما أراد ابن بري- دالّ على أن السليط هو زيت السِّمْسِم، ولمّا كان كذلك، وكان له دخان، استدرك الشاعر نفي الدخان عن زيت السراج الذي شبّهه بسراج السليط، أي عن ذلك (الزيت الاستثنائي المميّز) الذي امتدح إضاءته، قائلاً "لم يَجْعَلِ اللّهُ فيه نُحاسا"، كما قال الله تعالى عن خمر الجنة: ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾(١). وأوهى من ذلك استدلالُه بأن "حَوْرانُ: من الشام والشأْم لا يُعْصَرُ فيها إلا الزيتُ." وكأن قد ضمن أن أهل الشام لا يعصرون من الحبّ سوى الزيتون، بل كأن لا علاقة لما عرف في اليمن بما يعرف في الشام، على الرغم من علاقاتهما التجارية القديمة، من خلال "رحلة الشتاء والصيف" قبل الإسلام. وكانت تغنيه عن الخوض في هذا كله معرفة لغة العرب التي كانت ما تزال دائرة على الألسن. وهذا يقدم نموذجاً شاهداً

(١) سورة الصافات، ٤٧.

على أهمية مثل هذا التأصيل اللغوي، بدراسة الفصحى في ضوء اللهجات التي ما تزال متداولة اليوم. كما يدلنا على حاجة العربيّة إلى ثورة في لغتها ونحوها اللذين صنع لنا تراثَهما (أعاجمُ) أو (غرباءُ) عن الذوق العربي والسليقة العربيّة والبيئة العربيّة، فأفسدوا وأصلحوا. ولن يتأتّى ذلك إلاّ بإعادة النظر النقدي في ذلك التراث في ضوء ما تبقّى حيّاً من العربيّة في الاستعمال الفطريّ الطبيعي للّغة.

[ع ن ق] العَناق: الشاة.

وفي (ابن منظور)[١]: "العَناق: الأنثى من المَعز؛ أنشد ابن الأعرابي لقُرَيْطٍ يصف الذئب:

حسبت بُغامَ راحلتي عَناقاً وما هي، ويْبَ غيركَ، بالعَناقِ

... وقال الأزهري: العَناق الأنثى من أولاد المِعْزَى إذا أتتْ عليها سنة، وجمعها: عُنُوْق، وهذا جمع نادر..." قلْتُ: ذاك الجمع النادر لعَناق على عُنُوْق، الذي أشار إليه، مستعمل في لهجة فَيْفاء، ولكن بلفظ: "عِنْوَق"، لا "عُنُوْق".

[غ ر ب] الغَرْب: في لهجات فَيفاء، إداوة الماء الكبيرة.

والكلمة فصيحة: فالغَرْبُ من معانيها: الرَّاوِيَة. والرَّاوِيَة: المزادة. وبهذا المعنى فسَّر (الليثُ) "الغَرْب" في بيت لبيد:

فَصَرَفتُ قَصراً وَالشُؤونُ كَأَنَّها غَرْبٌ تخبُّ بِهِ القَلوصُ هَزيمُ

إلاّ أنه اعتُرض عليه، بأن المعنى: "الدَّلْو الكبيرة"، لا "الرَّاوِيَة"[٢]. ناظرين في ذلك إلى المعنى، وأن شؤون العينين تهلّان بالدمع الغزير، والغَرْب – بمعنى: المزادة، أو الإداوة– ليس كذلك. وفيه نظر؛ لأنه لا يَعدم أن يرشح الغَرْب– بمعنى المزادة– بالماء الغزير، فتكون صورة الماء السَّرِب كالعين الدامعة، ولا سيما مع حركة القلوص

(١) اللسان، (عنق).

(٢) انظر: الأزهري، تهذيب اللغة، (غرب).

الهزيم، فلا يتعيّن، إذن، أن معنى بيت لبيد: "الدلو الكبيرة"، هاهنا. بل من الحماقة أن يوضع دلو على قلوص تجري؛ لأن الماء حينئذٍ سيتناثر، حتى لا يكاد يبقى منه شيء. كما أن من غير المناسب في التصوير أن يشبّه الدمع بالماء المتناثر من دلو على قلوص تجري!

غير أننا لا نجد في المعجمات اللغويّة تعريف "الغَرْب" بالمزادة (الكبيرة)، أو بالإداوة (الكبيرة)، كما نَعْرِف نحن في بيئتنا؛ إذ لا نسمِّي كل مزادة غَرْباً- بل تسمّى: إداوة، أو وَثْبَة إذا كانت صغيرة، فإذا كانت كبيرة، فـ: غَرْب- وإنما يرد وصفها في المعجمات بالكبيرة حين يقال إن معناها "الدلو الكبيرة". ولعلّ هذا مما لم تُلمّ به معجماتنا، فتَجبر نقصَه اللهجة.

[ه ص ع] الهَصْعَة: رقصة شعبية، ذات إيقاع سريع، كثيراً ما يكون من بحر الرمل (فاعلاتن/ فاعلاتن/ فاعلاتن). وتشبه العرضة. ولعل أصل كلمة "هَصْعَة": "هَسْعَة"، بالسين، من "هَسَعَ"، أي أسرع. جاء في (الزبيدي)[1]: "هَسَعَ، كمَنَعَ، أهْمَلَه الجَوْهَرِيُّ وقالَ الصّاغانِيُّ: أيْ أسْرَعَ، وكذلكَ هَرَعَ. وهاسِعٌ، وهُسعُ كزُفَرَ وزبير ومنبر: أبْنَاءُ الهَمَيْسَعِ بن حِمْيَرَ بن سَبإٍ. قال ابن دريد قد سمّوا هسعاً وهَيْسُوعاً قالَ: وهذه لُغَةٌ قَديمَةٌ لا يُعْرَفُ اشْتِقاقُهَا، قالَ: وأحْسِبُهَا عِبْرانيَّةً أو سُرْيانِيَّةً، قالَ الصّاغَانِيُّ: لقَدْ أبْعَدَ ابنُ دُرَيدٍ في المَرَامِ، وأبْعَطَ في السَّوْمِ، ولو عَلِمَ منْ أيْنَ يُؤْكَلُ الكَتِفُ، ومنْ أي الغُصُونِ يُقْتَطَفُ، لتَنَصَّلَ من ارْتِكاب الكُلَفِ، وهذه الأسْمَاءُ عَرَبيةٌ حِمْيَرِيَّة، واشْتِقاقُها من هَسَعَ: إذا أسْرَعَ، فتأمَّلْ ذلكَ." فإذن ما عَدَّه ابن دريد لُغَةً قَديمَةً لا يُعْرَفُ اشْتِقاقُهَا، وحسبه عبرانيّاً أو سريانيّاً، ما زال على ألسنة العامّة في جبال فَيفاء. ولا غرابة في نطق "هَسْعَة": "هَصْعَة"؛ فقلب السين صاداً- والعكس كذلك- أمر مألوف في اللهجات.

(١) تاج العروس، (هسع).

[ه ل م] هَلِم: أي أَقْبِل. وتُستخدم كذلك بمعنى: الجهة الأقرب. فيُقال مثلاً: "هَلِمْ من مكان كذا"، أي في موضع أقرب من ذلك المكان.

وقد جاء في (ابن منظور)[١]: "هلُمَّ: بمعنى أَقْبِل، وهذه الكلمة تركيبيَّة من ها التي للتنبيه، ومن لُمَّ، ولكنها قد استعملت استعمال الكلمة المفردة البسيطة."

وقد خاض اللغويون مخاضات كثيرة في تفسير الكلمة واختلفوا[٢]. ولعلّ اللهجة تُحلّ ذلك الخلاف، وتلك الاجتهادات في تفسير أصل الكلمة، بما ينفي ما ذُهب إليه من أن أصلها ها التي للتنبيه و"لُمَّ"؛ حيث تنبئنا اللهجة عن أصلٍ لم يسجّل في المعاجم، وهو أن "هلم" بمعنى: مكان أقرب، كما أشرنا في قولهم: "هَلِمْ من مكان كذا"، أي في موضع أقرب من ذلك المكان. وهم يعرّفون الكلمة بـ(أل) التعريف، مما يدل على أنها اسم، فيقولون: "بها الهلم"، أي "إنه في المكان الأقرب". وعليه فكأنّ قول العرب: "هلمّ"، يعني: "للتتخذ مكاناً "هلم"، أو أقرب"، أي اقترب. ولو عُلم ذلك لدى اللغويين السابقين لما خاضوا تلك المخاضات البعيدة في التأويل. وهو ما يشهد بضرورة دراسة اللهجات المعاصرة، لما تحمله من جذور مهملة تؤصّل كثيراً من استعمالات اللغة العربية.

٣- نماذج شعرية:

لمّا زار المستر فِلْبِيْ، هاري سانت جون (H. ST. J. B. Philby)، المتسمّي بالحاج عبدالله فيلبي، جبال فَيفاء وبني مالك، سنة ١٩٣٦م[٣]، أنشد جدّي الشاعر علي بن سالم آل حالية الخسافي الفَيفي، وذلك في سوق النفيعة، في حشدٍ كبيرٍ من الناس:

(١) لسان العرب، (هلم).

(٢) انظر: م.ن.

(٣) مسجِّلاً زيارته في سِفْرِه المعروف: "مرتفعات الجزيرة العربيّة Arabian highlands"، الفصل ٢٧، بعنوان: "جبال تهامة". وعُرف اسم فِلْبِيْ على ألسنة الناس في فَيفاء بـ"ثِلبي"، بإبدال الفاء ثاء.

يا لا بَتيْ نبّهْتِ انا في حالي المَنامْ　　　وجا المَنبِّهْ قالَ ليْ: آتفهَمِ الكلامْ

وتْصَدِّق اليَقيْنْ

حلِّيَةْ فَيْفا خَسَـارَةْ　　　خَلْف تصويرِ امنصارَةْ

ما بَقِي شَوْرٍ يَزيْنْ

والحَقيْقِ اللّي معَ اللهْ قدْ دَرَى بُو(١)

ثم أتبعه بـ(الدِّلْع) التالي- والدِّلْع لديهم من ألوان الإنشاد-:

خِلْت بَرَّاقٍ على الدّنيا بِديْمَتُو　　　لَوْ ثلاثينْ عام تِتْغَازَرْ مَعِيْنَتو

ما يَخْلُفُو ظَما

مِنْ على ارضِ الشّامْ لاحِي　　　لليَمَنْ ذي كانْ صاحي

سَيْل يَدْمُرْ كلَّ مالِ

والبَحرْ يرْتَجّ مِنْ قُوَّةْ طُلُوْعُو(٢)

والشاهد هنا هو في ما يلفت النظر في النصّين من البناء الإيقاعي. ولا شكّ أن هذا النمط كان يُنشد إنشاداً، معتمداً الإيقاع فيه على السماع، فالمَطْلَع من النص الأوّل بشطرَيه جاء على (مستفعلن/ مستفعلن/ مستفعلن/ مُتَفْ). ثم جاء شطرٌ أقصر يمثّل (الدَّوْر الأوّل)- حسب مصطلح الموشّح- في قوله: "وتْصَدِّق

(١) ومعنى النصّ: أن الشاعر نُبِّهَ من منامه الحالي اللذيذ، وقال له المُنَبِّه: أتفهم الكلامَ؟ وتصدّق اليَقينَ؟.. خسارة أن يَحُلّ المرء في جبال فَيفاء بعد أن صوّرها النصارى (إشارة إلى المستر فِلْبِيْ!)، ولم يعد هنالك من رأيٍ يَصْلُح أو مشورة تتّبع: "شَوْر". ومهما يكن من أمرٍ، فالحقيقة التي مع الله (أي في علم الله)، لا يعلمها إلاّ هو. إذ لم يَتقبَّل الشاعر ما تقبَّله غيره وصدّقه، وكأن زيارة فِلْبِيْ وتصويره فَيفاء، لأوّل مرةٍ في تاريخها، كان نذير شؤم، لا يعلم عواقبه إلاّ الله، وكان هذا في نظر ذلك الجيل مؤشّراً على نهاية الزمان.

(٢) خِلْت: لمحتُ وشِمْتُ، أو ظننتُ، كتعبير النابغة: "وَإِنْ خلتُ أَنّ المُنتَأى عَنكَ واسعُ". برّاق: لمع بَرْق. ديمتو: ديمَتُهُ. لو: لهُ. تتغازر: تتكاثف غزارتُها. مَعِيْنَتُو: مَعِيْنَتُهُ/ مَعِيْنُهُ أي غَيثه. ما يخلفو: لا يخلُفُهُ أو يعقبهُ. ظما: ظمأ. لاحي: لاحَ. ذي: الذي. صاحي: صاحٍ/ صَحْوٌ. طُلُوْعُو: طُلوعُهُ، أي السيل الجارف الذي صوّره.

اليَقِيْنْ" : (مستفعلن / مُتَفْ). ينتقل منه إلى منظومة نغميّة أخرى في القفل الثاني على : (فاعلاتن / فاعلاتن)، (فاعلاتن / فاعلاتن)، يعقبه الدَّوْرُ الثاني : "ما بَقِيْ شَوْرٍ يَزِيْنْ" (فاعلاتن / فاعلاتن)، ويختم بما يمكن أن يُعدّ الخَرْجَة : "والحَقيْقِ اللّي معَ اللهْ قدْ دَرَى بُو" : (فاعلاتن / فاعلاتن / فاعلاتن). وعلى هذا المنوال النصّ الآخَر. وهو نمطٌ شبيهٌ بالموشّح الأندلسيّ، كما ترى، إلاّ أنه يختلف عن الموشّح– وَفق بنائه المعروف– في ازدواج الوزن بين (مستفعلن وفاعلاتن) من ناحيةٍ، ومن ناحية أخرى في توزيع القوافي بين أقفال النصّ وأدواره؛ فجاء في هذا بعكس الموشّح، الذي تتّفق فيه قوافي الأقفال وتتنوّع قوافي الأدوار، كما هي نماذج الموشّح الأكثر شهرةً. وإنْ كانت نصوص أخرى من شِعر فَيفاء تتفق مع تلك الطريقة في توزيع القوافي الموشّحيّة. ونماذج هذا البناء الموشّحيّ معروفة في شِعر فَيفاء، إلى جانب القصائد ذات الشطرين المختلفَي القافية.

وبذا فلعل تلك الأبنية الشبيهة بالموشّح الأندلسي تؤيّد القول بأن الموشحَ مشرقيّ الجذور، تطوّر في الأندلس[1]. ولا يَسُوْغُ بحالٍ تصوّرُ العكس، أي أن

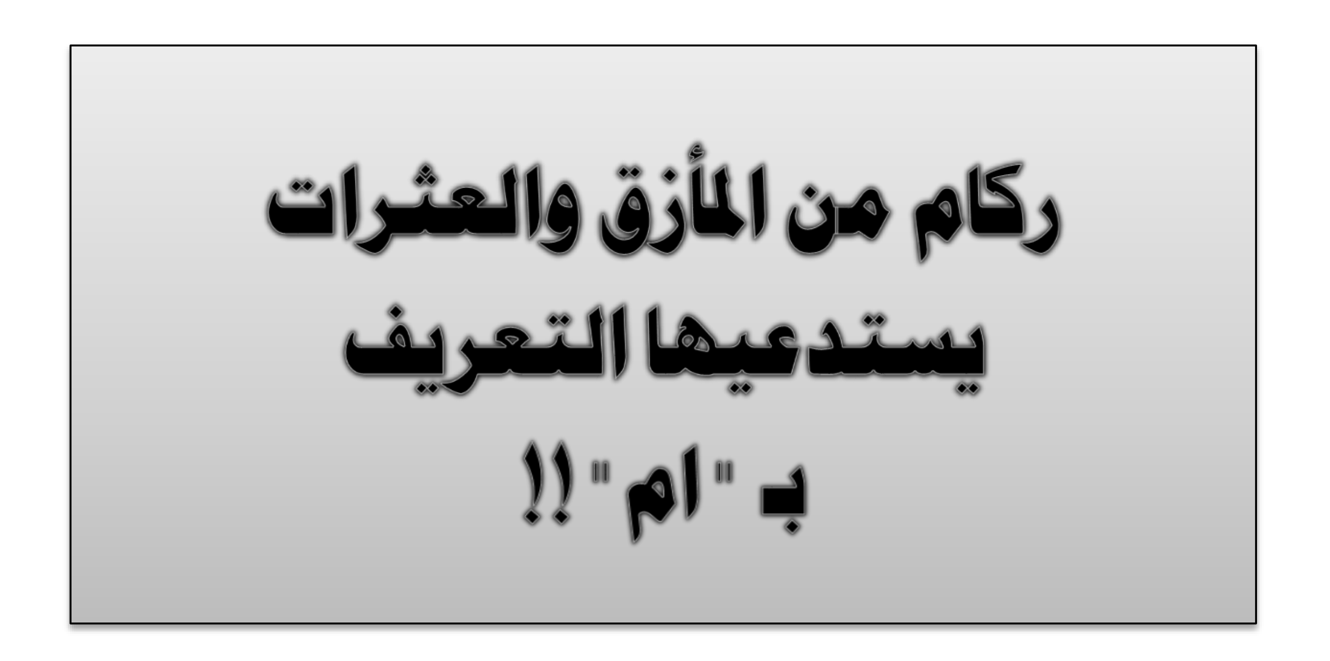
---

(١) ولقد أشار (ابن معصوم (ق١١هـ)، سُلافة العصر في محاسن الشعراء بكلّ مِصْر، (مصر: طبعة محمد أمين الخانجي الكتبي)، ١٣٣٤هـ، ٢٤٣– ٢٤٤) إلى أن لأهل اليمن نظمٌ يسمّونه الموشّح، غير موشّح أهل المغرب، من حيث إن موشّح اليمن عامّي، فهو كالزجل. فيما أشار إليه (الزبيدي، تاج العروس، (حمن) باسم "الحميني" ، ذاكراً أنه ضَرْبٌ من بحور الشِّعر المحدثة، وأنه المعروف بالموشّح. وجاء (الشرواني، أحمد محمّد الأنصاري اليمني، نفحة اليَمن فيما يزول بذكره الشَّجَن، (مصر: مطبعة التقدم العلميّة)، ١٣٢٤هـ، ٩٢– ٩٥) مؤكّداً أن الحميني لا يكون إلاّ ملحوناً، وأن أهل اليمن هم فرسانه، مورِداً بعض نماذجه. ثم نَقَلَ ذلك (الرافعيّ)، تحت عنوان "الموشَّح الملحون" ، في كتابه (تاريخ آداب العرب، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ٢٠٠٠): ٣: ١٢٣). وقد وضع الباحث (عبدالرحمن الرفاعي) كتاباً بعنوان "الحميني: الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشّح الأندلسي" ، (جازان: النادي الأدبي، ٢٠٠٠)، متّكئاً فيه على مَن سبقوه– ومنهم (أحمد محمّد الشامي)، الذي يرجع لديه إلى كتابين: "قصة الأدب في اليمن" ، و"من الأدب اليمني"– محاولاً إثبات أن الحميني ضربٌ شِعريٌّ عربيٌّ قديمٌ، وأنه الأصل في الموشَّح الأندلسي. والنماذج الفَيفيّة، كالمذكورة هاهنا، تدلّ على أن ذلك الضرب=

أولئك العوامّ المعزولين، الذين توارثوا شِعرهم- ولم يسمعوا بموشحٍ ولا زجلٍ قط، ولا حتى بأندلس- هم من تأثّروا بالموشّح الأندلسيّ وقَفَوْا آثاره! وكل الجدليّات حول نشأة الموشّح الأندلسي، وتولّده عن الغناء في جزيرة إيبيريا، أو تأثره بالترابادور- على بعض المقولات- أو بغناء الجوّالين في إسبانيا وأوربا، يبدو لا أصل له، إلاّ أصلٌ واحدٌ، هو الجهل المطبق بالتراث العربيّ الشعبيّ، الذي يُثبت أن الشكل الموشّحي هو من أنماط الشِّعر المتوارثة، المهاجرة، وإن اختلفتْ التسميات(١).

= الموشَّحيّ من الشِّعر ليس بمقصورٍ على الحواضر، ولا على الحميني، وإنما الحميني لدى أهله مصطلحٌ على ضُروب غنائيّة منه. ولربما عُمِّم إطلاق الحميني حتى شمل من الشِّعر الغنائي اليماني ضُروباً لا علاقة لها ببنية الموشّح الموسيقيّة. ولذا فإن بعض ما عُدّ موشَّحاً يمانيّاً، وسمّي بالحميني، نجده لا يعدو نظماً عامّيّاً ببعض التصرّف في البحور المعروفة، مع تنويع القوافي، كأن يكون النصّ من البسيط، أو الخفيف، أو الرجز- تاماً أو مجزوءاً أو مشطوراً- مع ازدواج التقفية. فأيّ توشيحٍ في هذا؟! إنما هو قصيدٌ خالصٌ، أو رجزٌ، وبعضه تسميطٌ، ولا يختلف بعضه عن ضروب النظم النَّبَطي، إلاّ باللهجة. فيما تبدو النماذج الفَيفيّة- بتنوّع الأغصان فيها والقوافي، وربما الوزن- أوضح شبهاً بنائيّاً بالشكل الموشَّحي الأندلسي، المتمثّل في منظومة الأقفال والأدوار. إلاّ أنه لا يُعرف بتسميةٍ خاصّة في فَيفاء، وإنما قد يطلقون تسميات عامّة بحسب المناسبة، كقولهم: المَغْرَد، والزّامل، والدلّع، والمَـرْعَة، وكلّه لديهم يُسمَّى شِعراً، على اختلاف ضُروبه وألوانه، دون تمييزٍ اصطلاحي. كما أنه ليس وليد الغناء، بل وليد الإنشاد المحض، على طريقة العرب في إنشاد الشِّعر والتغنّي به.

(١) وممّن سَفَّه كلَّ قولٍ بأصولٍ مشرقيّةٍ للموشّح المغربيّ، محتكماً إلى كلام المؤرّخين "الثقات"، مُوقناً بأنه فنٌّ أندلسيٌّ خالص، أصلاً وفصلاً، (عناني، محمّد زكريا، الموشَّحات الأندلسية، (الكويت: عالم المعرفة)، ١٩٨٠م. ونحن نتفق معه في أن هذا ما أدركناه فصيحاً، ومن خلال الكتب التي نقتات عليها جيلاً بعد جيل، غير أن ما لم ندركه من التراث الضائع، والمضيّع، وغير المدوَّن- مذ أُهمل تدوين تراث الجزيرة، اللغويّ والأدبيّ، فيما عدا وسط نجد- يبدو للمدقّق: أوسع، وأعرق، وأوثق.



للأديب الشاعر محمد بن مسعود الفيفي

للرد على

الدكتور عبدالله بن أحمد الفيفي

الأحد 5 يناير 2012م



لقد اختصت لهجة (فيفا) باستعمال أداتين للتعريف هما "إم" و "أل" على حد سواء، وبتتبعي لهاتين الحالتين من التعريف، اكتشفت ملمحاً يشف عن الدقة في هذه البيئة اللسانية، وكأن التعريف بـ "إم" جاء ليفتح أفقاً واسعاً أمام دراسة التعريف وحالاته في لغة العرب.

ومن هذا المنطلق يمكنني القول: إن كل ما ذُكِرَ في السابق حول التعريف بـ "إم" على مرِّ التاريخ ليس دقيقاً، طالما لم يكن مبنياً على أساس متين من البحث والاستقراء المنهجي، ولستُ هنا بصدد مناقشة أقوال السابقين ممن عرضوا لهذه الصورة من التعريف، بل سأكتفي بالإشارة إلى عدم صحة ما ارتجلوه حول استبدال "أل" التعريف بـ "إم" عند أقوام من حِمْيَر، وبعض الطائيين، ولن يؤاخذهم من أمعن النظر في أقوالهم المحررة، وإنما سيعذرهم لجهلهم الشديد بهذه المسألة، لكني قد لا ألتمس العذر لمن يتصدى لدراسة هذه اللهجة من أبناء فيفا خصوصاً، كالدكتور عبدالله بن أحمد الفيفي، فيأتي في محاضرته "لهجات فيفاء جذور العربية" على التعريف، **قائلاً**: ("إم" في لهجتنا وفي اللهجات الجنوبية عموماً واليمنية، هي "أل" التعريف، لكن لا تستعمل مع كل الأسماء المعرفة، فالأسماء المشهورة كاليمن والمملكة يعرفونها بـ "أل"، والكلمات التي لها علاقة بالدين الإسلامي، مثلا الصوم، أو القرآن، أو الحديث، لا يقولون (امقرآن)، و(امحديث) وإنما يستعملون "أل" التعريف المعروفة عند العرب، فتعريف ما ليس من ثقافتهم، وبيئتهم، ولهجتهم؛ ويشمل طبعاً المفردات الدينية، ولا سيما ما جاء لفظه في القرآن، أو في الحديث، أو الثقافة الإسلامية عموماً، فهم يرددون لفظه كما ثقفوه غالبا، وذلك في مسألة التعريف). راجع النص المسجل الجزء الثاني الدقيقة (٤٩د و٤٣ث) وأول الجزء الثالث.

قلتُ آنفاً: قد لا ألتمس له العذر لكني ربما أضطر لذلك ـ من باب المجاملة ـ فالدكتور حين عرج على ذكر التعريف لم يكن يقرأ من النص المكتوب للمحاضرة، وإنما كان يرتجل ارتجالاً عبر تعليقه على مداخلة حول حديث "ليس من امبر امصيام في امسفر"، ومن هذا الباب سألتمس له العذر، متعلقاً بأهداب الدهشة والذهول التي قد تباغته على حين غرة طالما لم يعتد مواجهة الجمهور؛ مع إيضاح ما وقع فيه من الأخطاء.

يقول الدكتور عبدالله بن أحمد الفيفي: ("إم" في لهجتنا وفي اللهجات الجنوبية عموما واليمنية، هي "أل" التعريف).

قلتُ: فإن هذا الكلام ليس صحيحاً البتة، سواءً ما كان يختص بلسان فيفا، أو عموم اللهجات الجنوبية واليمنية كما أشار، فالجغرافية اللسانية التي تستعمل "إم" التعريف، ليست مطلقة، في جنوب الجزيرة العربية، ولا تقتضي هذا التوسع من قبله في استخدام كلمة (عموماً)، ذلك لأن لسان صنعاء وما يحيطها من مخاليف ـ على سبيل المثال ـ يقتصر على استخدام "أل" التعريف، دون سواها، بل وغالب المرتفعات اليمنية على ذلك، خلا الأماكن التي استوطنتها قبائل حمير، وقلة منهم ظلت تقطن جهات مأرب وصرواح، أما الأكثرية الساحقة فاستوطنت صعدة وغربها، وشمالها، ومنهم قبائل خولان بن عمرو الحِمْيَرِيّةُ نسبًا، وتشكل مناطق تهامة اليمن غرب صعدة، وجنوب غرب المملكة، بتهامة جازان والحزون، والجبال، بيئة لسانية متجانسة شاع فيها استخدم "إم" و"أم" للتعريف، بالكسر والفتح معاً، وهي أداة تعريف تدخل على الأسماء التي يصح فيها التنكير، ولا تنوب عن "أل" التعريف مطلقاً، ولا تحل محله، عند سائر قبائل خولان الحِمْيَرِيّة خاصة.

ويستأنف **قائلاً**: (لكن لا تستعمل مع كل الأسماء المعرفة) .

قلتُ: لقد ناقض نفسه سريعاً ولم يمهلها، فكيف يكون التعريف في لهجة فيفا هو: "إم"، كما قرر في العبارة التي سبقت هذه، ثم يؤكد في العبارة التالية بأن هذا التعريف لا يستعمل مع كل الأسماء؟، وعلى هذا كان يتوجب عليه القول: "إم" في لهجتنا للتعريف، إلى جانب "أل"، طالما دخلت على الأسماء المشهورة كاليمن والشام، والمملكة، فإنهم يعرفونها بـ "أل"، وهكذا يصبح قوله مقبولاً، إلى جانب هذا الاستثناء لأسماء الأعلام المشهورة، أو اسم الجنس كما ذكر.

ويقول: (والكلمات التي لها علاقة بالدين الإسلامي، مثلاً الصوم، والقرآن، والحديث).

قلتُ: وهذا قول من لا يعرف لهجة فيفا، ولم يسمعها، فهذه الطائفة من الشواهد التي ساقها، باستثناء القرآن ـ لفظا لا معنى ـ إنما تُعَرف بـ "إم" ألم تر أنهم يقولون: (امصوم) امستوم، و(امخَتْمَة)، و(امحديث)؟، وأضيف: (اموضو) للوضوء، و(امصلاة) امستلاة، و(امزكاة)، و(امَّسجد)، و(امسجود) و(امركوع)، و(امّحراب)، و(امحج)، و(امحاج) للمفرد، و(امحجاج) للجمع، الخ .. فهل هذه كلمات لها علاقة بالدين الإسلامي؟ الجواب؛ نعم! بالتأكيد، ومع ذلك عُرّفَتْ بـ " إم" في لهجة فيفا، ومن قال بخلاف ذلك احتكمنا عند لسان جبل فيفا، أما من ناحيتي فقد سبق أن شرحتُ ضوابط التعريف في أكثر من مناسبة، ومما قلته حول التعريف بـ "إم": إن ما أمكن جمعه، أمكن تنكيره، وما أمكن تنكيره دخل عليه التعريف بـ "إم"، ولقد كان أخي الدكتور من أوائل الذين أطلعتهم على مبحث التعريف، وجاء ضمن رده على رسالتي: " .... بيد أني أرى بحثكم يثير السؤال: ما الهدف منه؟ – على طرافته – ذلك مالم يتبين لي"، وأعود لما بدأت:

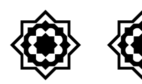
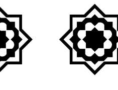
يقول الدكتور الفاضل عبدالله الفيفي: (فتعريف ما ليس من ثقافتهم، وبيئتهم، ولهجتهم؛ ويشمل طبعاً المفردات الدينية، ولا سيما ما جاء لفظه في القرآن، أو في الحديث، أو الثقافة الإسلامية عموما، فهم يرددون لفظه كما ثقفوه غالباً، وذلك في مسألة التعريف).

قلت: فإذن يقرر المحاضر بأن المفردات المتعلقة بالدين لم تكن من مكونات ثقافتهم، وليست من نمنمات بيئتهم، ولا هي من مفردات لهجتهم، وطبقاً لما قال فكل المفردات المتعلقة بالدين، ولاسيما ما جاء لفظه في القرآن الكريم، إنما هي مفردات طارئة على هذه البيئة اللسانية، ومعجم لم يتشكل في الوجدان اللغوي لفيفا، ولذلك فإنهم يعمدون إلى ترديده تبعا لمصادره.

فماذا أبقى لعنوان محاضرته "لهجات فيفاء جذور العربية"؟. من ناحيتي أراه قد جنى على عنوانه أولاً، بالبراءة من القاموس الديني الذي يمثل ذروته معجم ألفاظ القرآن الكريم، بغض النظر عن معجم ألفاظ الحديث النبوي، الذي غلب عليه نقل المعنى لا اللفظ الشريف عينه، طبقاً لأهل اللغة، وبالتأكيد فهذه العبارة التي ساقها الدكتور عبدالله ليست في الصواب ولا تقترب منه، ولو كانت ضمن نص المحاضرة لتنبه لخطلها المريع ولكان تجنبها حتماً، والتنزيل انتثرت بين آياته مفردات تنتمي لهذه اللهجة منها: الحَوْر في قوله جل جلاله (إنه ظن أن لن يحور)، وأهل فيفا يقولون حور اليوم، وانظر كلام أهل التفسير لتدهش، وقال تعالى: (وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون). القصص، فكلمة (ردءً): هي ذاتها من صميم لهجة فيفا التي تقلب صوت النبر إلى واو، أو ياء، كما في (وناي) إناء، والألف إنما يقلب عن واو أو ياء، فإذن: هم يقولون (زاد فلانٌ لفلانٍ على نصيبه (رِدْوَهْ) كذا، ، والهاء في آخره

للسكت، وكأنه يعزز نصيبه بتلك الزيادة، وهو ذاته المعنى الذي تفصح عنه المفردة في الآية الكريمة، ومن ذلك رفع الضمير في قوله تعالى: (وَمَا أَنْسَانِيهُ إلا الشّيطانُ). الكهف ٦٣، وفي لهجة فيفا، يرفعون الضمير في الثلاثي المنقوص على وزن أعطى: منح، وأحْوى: صد، ومنع، وأوطى، وأعلى، وأفطى، وما شابهه في هذا الميزان الصرفي، وهو كما ترى من ميزان (أنسى) ينسيهُ، إنهم يقولون: أعطى يعطيهُ، أبدى يبديهُ، وليس يبديهِ بالكسر، وتأمل البقية، والأمر كذاك في عليهُ، قال تعالى: (وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيه أَجْرًا عَظِيمًا) من آية١٠، سورة الفتح، وهذا الضمير المتصل بحرف الجر (عليه)؛ ينطقونه (علاهُ)، يأتي مرفوعاً في قولهم: (ما علاهُ)، و(لا تخاف علاهُ) ويشبع الرفع في هذين الشاهدين من لهجة فيفا، لهذا كله ليس من الإنصاف القول بأن ما جاء لفظه في القرآن الكريم ـ بشكل خاص ـ ليس من ثقافتهم، وبيئتهم، ولهجتهم، وإنما يرددونه كما سمعوه، وهذا لسانهم أوردت نماذج فقط وإلا فالشواهد كثر.

والحق أن هناك المزيد مما يستدرك على الدكتور في هذا الجانب لكني آثرت الاختصار، مبدياً اعجابي الشديد بمحاضرته وما كشفت عنه من شواهد تعزز ثراء اللسان العتيد لجبال المنطقة، إلى جانب أهمية دراسة اللهجات العربية التي أهملها التدوين.



للأديب الشاعر محمد بن مسعود الفيفي

السبت 21 يناير 2012م



إيقاعات سحابة عابرة

.. إيقاعات سحابة عابرة... .. إيقاعات سحابة عابرة .. إيقاعات سحابة عابرة .. ترحب بزوارها الكرام.. حللتم أهلا ونزلتم سهلا... إيقاعات سحابة عابرة إيقاعات سحا

الرئيسية فهرس المواضيع راسلنا

الصفحات الرئيسية

اليوم الصور...
الفهرس
إيقاعات المبدعين،
إيقاعات ساخرة
إيقاعات سحابة أسماء
إيقاعات سحابة البحوث
إيقاعات سحابة الرواية
إيقاعات سحابة الشعر
إيقاعات سحابة القصة
إيقاعات سحابة اللقاءات

الأربعاء 16 ديسمبر 2020 - الساعة الآن 03:40:55 صباحاً

"إم" التعريف من ابن جني إلى ابن مسعود!!

حين نتناول الحديث عن الظواهر اللهجية، لأي بيئة لسانية، فإننا تذهب إلى أبرز خصائصها من أصوات، وأبنية، وتراكيب، ودلالات، وكل ما من شأنه أن يضيف الجديد في مضمار دراسات فقه اللغة التي تتوجه في نهاية المطاف لدعم لغة الضاد، كما أن التنقيب بين تلافيف العاميات ليس الهدف منه إحياءً لها، والتفافا حولها، أو دعوة إليها، وبين أيدينا كتاب الله الذي اجتمعت عليه ألسنة الناطقين بلغة الضاد وتوحدت تحت أفيائه القلوب تلاوة وتعبدا .

وعند حضور الحديث عن التعريف بـ "إم" نقول : تلك لغة فصيحة نطق به أفصح العرب قاطبة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، في الحديث المعروف (ليس من امبر امصيام في امسفر)، الذي رواه الإمام أحمد في المسند (5/434)، والطبراني في المعجم الكبير(19/172) برقم (387)، والبيهقي في سننه (4/242) .

الصفحات

الصفحة الرئيسية

بحث هذه المدونة الإلكترونية

البحث

قال النبي صلى الله عليه وسلم أحَبُّ الأعمال إلى الله تعالى أدْوَمُهَا وإنْ قَلَّ

المتابعون

حين نتناول الحديث عن الظواهر اللهجية، لأي بيئة لسانية، فإننا نذهب إلى أبرز خصائصها من أصوات، وأبنية، وتراكيب، ودلالات، وكل ما من شأنه أن يضيف الجديد في مضمار دراسات فقه اللغة التي تتوجه في نهاية المطاف لدعم لغة الضاد، كما أن التنقيب بين تلافيف العاميات ليس الهدف منه إحياءً لها، والتفافا حولها، أو دعوة إليها، وبين أيدينا كتاب الله الذي اجتمعت عليه ألسنة الناطقين بلغة الضاد وتوحدت تحت أفيائه القلوب تلاوةً وتعبداً.

وعند حضور الحديث عن التعريف بـ "إم" نقول: تلك لغة فصيحة نطق به أفصح العرب قاطبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، في الحديث المعروف (ليس من امبر امصيام في امسفر)، الذي رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٤٣٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٧٢ برقم (٣٨٧)، والبيهقي في سننه (٤/ ٢٤٢).

ومهما ذهب متأخرو أهل الحديث إلى تضعيفه، بحجة الشذوذ في لفظه، كما جاء في نقدهم للمتن، يبقى رجاله ثقات على شرط مسلم.

وهنا سأعرض في عجالة لأبرز الأقوال المحررة حول التعريف بـ "إم" منذ إمام العربية ابن جني، وإلى آخر الأقوال، مع تعليقات مختصرة، وسأبسط القول حولها في الجزء الأخير من المقال بمشيئة الله.

* قال ابن جني. (٣٣٠هـ-٣٩٢هـ). في "سر صناعة الإعراب": (هذا الإبدال شاذ لا يسوغ القياس عليه، وفيه نظر، فإنه لغة قوم بأعيانهم).

قلتُ: فيما يختص بحكم ابن جني فقد استدرك عليه الرضي في شرح الكافية حيث قال: (لا يجوز الحكم على لغة قوم بالضعف، ولا بالشذوذ، نعم لا يجوز القياس بإبدال كل لام ميماً، ولكن يتبع إن سمع).

* وقال الجوهري صاحب الصحاح: (وفاته سنة ٣٩٣هـ): هي لغة لحمير.

* وقال الخطيب البغدادي (٣٩٢هـ ـ ٤٦٣ هـ) في " الكفاية " (ص ٢٨١)، معلقاً على الحديث: هذا لغة الأشعريّين يقلبون اللام ميماً فيقولون: رأينا أولئك امرجال (يريدون الرِّجال) ومررنا بامقوم أي: (بالقوم) قلتُ: في كلام الخطيب البغداي ـ إلى جانب الصواب ـ ما ليس دقيقاً، وما لا يصح، وذلك من وجوه:

الوجه الأول: أنها ليست لغة الأشعريين فحسب.

الوجه الثاني: إنه ليس قلباً وإنما هو الإبدال؛ عند المشاحة!! إلا أنه لا يصح عندي أعني الإبدال كما سيأتي.

الوجه الثالث: فإن المشار إليه لا تقلب لامه ميماً على الاطلاق، ويمتنع تعريفه بـ"إم" مع اشتراط أن يسبق المشار إليه اسم الإشارة؛ ولا يتأخر عنه، وعندها يعرف بـ "أل"، فيقال: (رأينا أولئك الرجال، لأن المشار إليه من المعارف التي اختصت بـ "أل" في لغة العرب قاطبة، أما صوابه اليتيم ففي قوله: (مررنا بامقوم).

*وقال الزمخشري (٤٦٦هـ ـ ٥٣٧هـ) في المفصل في صناعة الإعراب: (وأهل اليمن يجعلون مكانها الميم، ومنه (ليس من امبر امصيام في امسفر)، و "يرمى ورائي بامسهم وامسلمة "... البيت).

قلتُ: إنه يقصد لام التعريف، وما ذكره ليس صحيحاً.

*وقال الرضي (وفاته سنة ٦٨٦هـ) في شرح الكافية: هي لغة حمير ونفر من طيء.

ابن هشام الأنصاري (٧٠٨هـ ـ ٧٦١هـ) في "مغنى اللبيب، عن كتب الأعاريب" يقول: (وقيل إن هذه اللغة مختصة بالأسماء التي لا تدغم لام التعريف في أولها نحو غلام وكتاب بخلاف رجل وناس ولباس وحكى لنا بعض طلبة اليمن أنه سمع في بلادهم من يقول خذ الرمح واركب امفرس ولعل ذلك لغة لبعضهم لا لجميعهم، ألا ترى إلى البيت السابق وأنها في الحديث دخلت على النوعين) "مغنى اللبيب ص٧١. دار الفكر بيروت ط٦.

قلتُ: فكلام ابن هشام هنا مهما كان خاطئاً إلا أنه ينم عن محاولة يائسة لسبر أغوار هذه الصورة من التعريف، وذهب يفتش في اللام الشمسية، والقمرية، عَلَّ السر يكمن فيهما، فاعتبر أن الغز يكمن في اللام القمرية، وأنها المسؤولة عن استدعاء "إم"، واستشهد بعبارة (خذ الرمح واركب امفرس)!! وهذا باطل كما اتضح له من خلال عبارات الحديث والبيت الشعري، عندما لم يجده يتسق مع واقع شاهده، وهو أيضاً ما يتنافى مع صورتي التعريف في الجغرافية اللسانية المختصة بذلك، وهكذا لم يخرج ابن هشام بشيء يمكن ذكره في هذا الصدد.

* ومنهم الحافظ ابن حجر (٧٧٣هـ -٨٥٢هـ)، في "التلخيص الحبير" (٢/ ٢٠٥) حيث قال: هذه لغة لبعض أهل اليمن، يجعلون لام التعريف ميماً).

قلتُ: ليس صحيحاً أن لام التعريف يجعلونها ميماً، فقد شاع التعريف لديهم بـ"أل" إلى جانب "إم" بكسرها وفتحها أيضاً، وما ذكره الحافظ هنا عري عن التحقيق والتدقيق،

ولابد أنه نقله عمن سبقه، أو لربما نص عليه بعد رحلته الشهيرة إلى اليمن، حيث مكث في أبي عريش من تهامة جازان أياماً، وذكر أنها مدينة العُرش، ولا بد أنه سمع من يعرف بـ "إم" أثناء اجتيازه منطقة تهامة إلى زبيد، فاعتقد خطأً أن ذلك تعريف مضطرد في كل الأحوال.

* أما في الكتاب الدوري الموسوم بـ "بحوث ودراسات في اللهجات العربيّة" لمجموعة من الدكاترة أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فقد جاء فيه:

(الطمطمانية في اللغة: العجمة؛ وفي الاصطلاح: إبدال لام التعريف ميمًا، وتنسب إلى حمير ونفر من طيء، ومن المعروف أن أداة التعريف (الألف والميم) هي أداة التعريف على الإطلاق عند أهل اليمن وحمير وطيء قديمًا، ومن اليسير تفسير هذا التبادل بين اللام والميم في أداة التعريف، إذ إنهما من الأصوات المتوسطة المتقاربة في الصفات والمخارج). مجلة مجمع اللغة ص٥٨ لسنة ١٩٨٤م.

قلتُ: فجل العبث الذي أمتد للثقافة العربية ـ خاصة منها المتعلقة بعلم الاجتماع ـ فأصابها في مقتل؛ لم يلج إلا عن طريق التخصص طالما كان متكأً لنشر الجهل العميم، وإلا كيف يكون حارس الضاد على هذا النحو من الجهل الشاسع، في عصر الامتزاج، وتوفر المصادر؟، وطاقم مجمع اللغة العربية بقضه وقضيضه سيعجز ـ والله وبالله وتالله ـ أن يثبت صحة ما قاله هنا: (ومن المعروف أن أداة التعريف (الألف والميم) هي أداة التعريف على الإطلاق عند أهل اليمن وحمير وطيء قديمًا)، قالوا من المعروف؛ فمن أين عرفوا؟ وهذا المسند السبئي يحفل بأسماء مُعَرّفَة بـ"أل" على غرار (المقه ثهوان بعل أوام) الوثن الأكبر لشعوب سبأ!!. فتسقط بذلك كلمة (قديماً) آخر العبارة.

* ويقول الدكتور أحمد بن سعيد قشاش (معاصر) ببحثه تحت عنوان (الإبدال في لغات الأزد، دراسة صوتية في ضوء علم اللغة والحديث): (تتمثل هذه اللغة في إبدال لام التعرف ميماً، كقولهم: "طاب امهواء". أي: طاب الهواء. وقد عزيت هذه الظاهرة إلى الأزد، وإلى قبائل يمنية أخرى). مجلة الجامعة الإسلامية ص ٤٢٤ و٤٢٥.

قلت: وهذا أيضاً ليس قوله صحيحاً عن (إبدال لام التعريف ميماً)، رغم انتقاله إلى الميدان، واستماعه للتعريف من أفواه العامة في البيئة اللسانة التي تستخدم "إم" إلا أن ذلك لم يثمر عن اكتشافه لأدنى تعريف لا يستخدم "إم" وإنما "أل"!!.

* الدكتور عبدالله بن أحمد الفيفي: في محاضرة بعنوان (لهجات فيفا جذور العربية) قال: ("إم" في لهجتنا وفي اللهجات الجنوبية عموماً واليمنية، هي "أل" التعريف، لكن لا تستعمل مع كل الأسماء المعرفة، فالأسماء المشهورة كاليمن والمملكة يعرفونها بـ "أل"، والكلمات التي لها علاقة بالدين الإسلامي، مثلاً الصوم، أو القرآن، أو الحديث، لا يقولون (امقرآن)، و(امحديث) وإنما يستعملون "أل" التعريف المعروفة عند العرب، فتعريف ما ليس من ثقافتهم، وبيئتهم، ولهجتهم؛ ويشمل طبعاً المفردات الدينية، ولا سيما ما جاء لفظه في القرآن، أو في الحديث، أو الثقافة الإسلامية عموماً، فهم يرددون لفظه كما ثقفوه غالباً، وذلك في مسألة التعريف).

قلتُ: لم يتجاوز ما قيل سابقاً إلا فيما استثناه حول استخدامهم "أل" التعريف، في الأعلام المشهورة، وهذا يضعه في دائرة التميز وأهنئه عليه.

وتبقى عبارة استميحكم العذر في إعادة تشريحها الدقيق ليكون ما لله لله، وما لقيصر لقيصر، وهي قوله: (فتعريف ما ليس من ثقافتهم، وبيئتهم، ولهجتهم؛ ويشمل طبعاً

المفردات الدينية، ولا سيما ما جاء لفظه في القرآن، أو في الحديث، أو الثقافة الإسلامية عموماً، فهم يرددون لفظه كما ثقفوه غالباً، وذلك في مسألة التعريف). انتهى.

وأقول: كأن هناك خطأ جسيم حول فهم اللغة أولاً، ومن ثم حدود البيئة اللسانية ومكوناتها، فإذا كانت اللغة تنتمي إلى قسمين: مدونة، وقولية، فإن المدونة تنقسم إلى (لغة مقدسة) هي الكتب السماوية، ولغة بشرية، كتبت بها الأبجديات المختلفة، ونخلص إلى أن اللغة المقدسة (المدونة) في رتبة أعلى من اللغة البشرية (المدونة) وأن اللغة القولية هي في الرتبة الثالثة من هذه المستويات اللغوية، وبناءً عليه فاللغة الأولى (المقدسة) مدونة: تخاطب أمة كاملة، بينما اللغة (البشرية) مدونة، مكتوبة، فتخاطب مجتمعات ذات بيئات لسانية متعددة داخل الأمة، بمعنى أن دائرتها أضيق، في حين تكون اللغة القولية المحكية أدناها وتخاطب بيئة لسانية بعينها، ومن هذا المنطلق يجب أن نفهم للغة، وعلى هذا النحو نستطيع سبر أغوارها، وكيف تتشكل، ومدى تأثير بعضها في بعض، اللغة المقدسة جامعة محيطة تحدى اللهُ بها فصاحة الفصحاء فأفحمهم، وكيف لا؟ وهي تنزيل من عزيز حكيم، واللغة لا تؤثر في وجدان لم تتشكل فيه، أبداً لا تؤثر، كيف يهدي للتي هي أقوم لدى أمة لا تفهمه؟ الأمم ذات الألسن الأعجمية، ترجم لها القرآن حتى يلج إلى نفوسها، أما العرب فقد نزل بلسانها، وصدق الله حين قال: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، وليس من نافلة القول أنّ تعريف المعرفات في القرآن هي التي شاعت في لسان فيفا، ولا يقول بذلك عاقل، لأن الحديث هنا حول مكون لغوي من القسم الثالث الأدنى، وليس عن قراءة للغة مدونة من القسم الأول.

❋ فيما يخص التعريف بـ "إم" **فأقول**: لقد اكتشفت أسرار هذا التعريف في لهجة فيفا قبل ثلاثة أعوام، وأذعته في الناس، ورغبت من الأنس والجن ممن يلمس في نفسه العلم، ويدرك مفاتيح فقه اللغة أن يتأملها وينقدها، ويوجهها وفق الآليات والمنطلقات التي يتم بموجبها نقد العلم، والسفسطة، إذ هي ـ في نظري ـ تقلب كل الموازين السابقة، من إبدال، وطمطمانية، وعجمة، وتعريف، إلى شيء بعيد جدا عن هذه المصطلحات الفوضوية البائدة البلهاء.

رحلة
لسانية في لهجة فيفاء

أ. محمد بن مسعود الفَيْفي

٥ نوفمبر ٢٠١١م

رحلة لسانية في لهجة فيفاء [١]

من عيوب اللغة أن تعجز عن تأدية رسالتها عبر البيئة التي تنتمي إليها، وهذا ما لم يحدث طالما كانت كيان حي، مرن، قابل للنمو والتطور، وإذا كانت تعد تأتأة النطق عند الأطفال، صورة نموذجية لطفولة اللغة، فإني أعد لثغته محاولة بدائية (للتسهيل) وتحاشي الثقل، ومنه (القلب) و(الإبدال) الذي يقوم بتغيير البنية الصوتية للكلمة، فيلزم الطفل لنطق حرف الراء مرونة في اللسان، لإحداث الذبذبة المطلوبة التي يتشكل معها صوت الحرف، لكنه قد يعجز عن أدائه التام، فيبدل الراء لاما، ويرجع هذا الإبدال للتجاور أو شبه الاشتراك في مخرج الحرفين (اللام والراء)..ولهذا السبب لم يتقدم اللام على الراء في أي جذر لغوي ينتمي للعربية على الإطلاق، وللسبب نفسه وضمن الحالة ذاتها، لم يتقدم الباء على الميم في لسان العرب.

قلتُ: لا يمكننا اعتبار لهجة فيفاء منظومة لسانية مبكرة، قادمة من أتون التاريخ، دون أن تكون قد مرّت بالأطوار والمراحل التي أسهمت في ثرائها، ومرونتها، واستعدادها.

وكما كان للبيئة تأثيرها في رسم خطوطها العريضة على نحو خاص، فإن العزلة شكلت سبباً وجيهاً لبقائها في مأمن عن تأثيرات التواصل والامتزاج.

نعم لقد احتفظت لهجة فيفاء بالكثير من الخصائص القديمة، مع جملة لا بأس بها من قاموسها اللفظي الذي ينتمي إلى عصور مختلفة، أورد بعضا منه ابن دريد، مما حمل

---

[١] ـ أ. محمد بن مسعود الفَيْفي ٥ نوفمبر ٢٠١١م.

السيوطي ـ في المزهر ـ على القول: (ولولا إحسان الظن بأهل العلم لرُد كثيراً مما قاله ابن دريد).

لقد سلكتْ هذه اللهجة طريق التطور كغيرها من اللهجات، لتؤدي دورها بفعالية واقتدار، تاركة لنا العديد من الشواهد الحية، والظواهر اللهجية الدقيقة، التي أعتبرها ـ من جانبي ـ منجماً ثرياً، ويمكن من خلالها دراسة التطور اللغوي لبيئات اجتماعية مماثلة، ومن تلك الظواهر ما يعرف بـ (التسهيل) لتحاشي الثقل، ويشمل رقعة لسانية واسعة، كالقلب، والإبدال، والنحت، والترخيم، والأداء الصوتي، إلخ...ولنشير.

- **أولاً: إلى (النبر):**

فمما ساقه ابن منظور في اللسان؛ مادة نبر قوله:

(وفي الحديث قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا نَبِيءَ الله فقال لا تَنْبِر باسمي أَي لا تَهْمِزْ وفي رواية فقال: إِنَّا معْشَرَ قريش لا نَنْبِرُ والنبْرُ هَمْزُ الحرْفِ ولم تكن قريش تَهْمِزُ في كلامها).

قلتُ: وعند أهل اللغة أن العرب لا تنبر، وهو قول مشهور جداً. وعلى هذ النحو فإن لهجة فيفاء تخلو من النبر إلا في استعمالات نادرة. ولذلك يقلبون الهمزة واواً، ويختص القلب بحروف العلة، وما عداها فهو الإبدال فيقولون:

"وَسَرَ": أسَرَ: قلبت الهمزة واوا، في (وَسَرَ الدابة بتنشابة).. وقولهم: " وَمِيرٍ": أمير، مثل: (فلان أومر وميرٍ لفلان يقول لو كذا ...) ومنها؛ وناي: إناء، وطاير، وبير، إلخ ...

وفي الأيد قال تعالى: (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون). الآية (٤٧) سورة الذاريات.

وبالمناسبة: الأيد عند كافة المفسرين هي (القوة)، بينما في لهجة فيفاء هي (القدرة، والاستطاعة، والعزيمة، والمضاء) وهو المعنى الأول الذي يجب تقديمه على (القوة) مهما كان مرادفاً صحيحاً، ودقيقاً، لكنه يأتي متأخراً بعد (القدرة).

إذن .. يَدِيَ؛ يَدَيانٍ: آد، يئيد، وهنا لفتة عجيبة وهي: أن الأطفال في فيفاء بلثغتهم المحببة يقولون: (ما أديت أطلع) وما (أديت أفعل كذا وكذا) فيعيدونها لأصلها السابق أو صيغتها المبكرة .. مما يؤكد أن (يَدِيَ) مرحلة متطورة من (آد). أما الياء الثالثة في (يدي) فهي أساسية في تكوينه، عوضاً عن النبر المضعف في بداية الجذر (آد) فأصبح (يدي) للتسهيل، مع ما يعرف بالقلب المكاني.

- **ثانياً: (الإبدال):**

في قولهم "جَرَسَ": جَرَحَ، فأبدلوا (الحاء) بحرف (السين) كما جاء في قول الشاعر:

قَحْسَيْت في قلبي "جُرُوسٍ" واللهايبِ * * * مَعْلام تاجيني ونا في أرض غايبِ

كم هِا رجالٍ رَايِحَةْ فيما تِقَرّبَ

ويعود السبب إلى أن صوت السين بما فيه من الحدة، جاء ليتلاءم مع إحداث الجرح في الجلد. ولذلك فإنهم عندما يقطّعون اللحم فإنهم: (يُسَوُّوُه) وعندما يَحْتَزُّون الجلد فإنهم: (يُسَيِّروه) ويوشك حرف السين أن يلازم القطع والنقب للجلد والبدن.

وفي قولهم "بَدَعَ": بدأ؛ وهذا الإبدال ليس سببه تحاشي النبر، فقد رأينا كيف تواجهه هذه اللهجة بالقلب، وإنما؛ البدء والانطلاق، والشروع، ولإنشاء، يحتاج إلى إرادة، وقوة، واقتدار، وهو مالم يتحقق في أصوات حروف العلة، فجاء حرف العين ملائماً للتعبير عن البدع كونه يتصدر كل الأصوات الأبجدية عمقاً، ولهذا السبب جعله الخليل بن أحمد الفراهيدي الحرف الأول في معجم "العين"، الذي اشتهر به .. فإذن لقد جاء في القرآن ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ ولا أدري هل قُرِئت بفتح الباء، إنما أهل التفسير على إن: بدعاً من الرسل (أي أول مرسل، قد سبق قبلي كثيرون منهم).

- **<u>ثالثاً: (الإيجاز):</u>**

وهو هنا الاستغناء عن أدوات الربط من حروف أو أفعال نحو قولهم: "مُوطٍ هُو": سأُنْزِلُهُ، (يُشبع حرف الطاء بالتنوين، تلحقه هاء مشبعة بالرفع) ... و"خابطٍ هو": سأضربه، و"مُطْلِعٍ هو": سأرفعه للأعلى، و"شالٍّ ها": سأحملها و"مِكرِمٍ هم": سأكرمهم، وهكذا نلاحظ في الأمثلة السابقة أنها جاءت بصيغة (اسم الفاعل) وكأنه أي اسم الفاعل قد اختص في هذه البيئة اللغوية؛ بجواز تأخير الضمائر المنفصلة، دون أن تسبق بأداة الاستثناء (إلا).

حالات التعريف في لغة الغرب
لسان قبائل فيفاء أنموذجا

أ. محمد بن مسعود الفَيْفي



حالات التعريف في لغة العرب . . لسان قبائل فيفاء أنموجاً.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة محققة مستيقنة، وأشهد أن محمدا عبده وخاتم رسله، بعثه الى الناس كافة مؤيداً بمعجزة القرآن، أفصح ما لهج به لسان فبيانه البيان، ليس بعد بلاغته مطلب لمستزيد، ولا مبتغى لمريد، فصلى الله على نبينا وآله وصحابته وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فيسعدني هنا أن أستعرض معكم ملخصاً لبحث لغوي أسميته (الكشف عن القواعد اللغوية في اللهجات العربية القديمة(//فيفاء نموذجا//المكان: فيفاء..والجبال المحيطة به وخصوصا.. جبال العبادل.. وآل تليد والريث وجبال رازح في اليمن.الزمان:من ١٩٨٤م-٢٠٠٨م..

الأهداف: دراسة هذه اللهجة المحلية .أسباب البحث: بعد أن قرأت فصلا عن المسند السبئي في كتاب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)للدكتور جواد علي ، وجدت كثيرا من المفردات هي من صميم لهجتنا المحليه فأخذت أقرأ عن نقوش المسند ولهجاته المختلفة.كي أجد الرابط الدقيق الذي يربط هذه بتلك. فقمت بجمع الفاظ المعجم للهجة المحلية ودونت مئات (الاهازيج) والقصائد الشعريه الملحونة.هذه الدراسة: يمكنني تصنيفها بـ (المنهجية) حيث أخضعتها لأصول البحث العلمي الدقيق..الذي تقتضيه الرسائل العلمية.. أسباب إختيار المكان:كوني إبن المنطقه ولدي الحوافز المؤهلة للقيام بذلك وهي: الفضول ، وحب الإستطلاع ، مع القليل من المعرفة التي أخذت تنمو بمرور الوقت.التمهيد: إن الدارس المتمعن لتضاريس الجبل وبيئته

يدرك سبب بقاء لهجة هذه الأمة على صورتها العتيقة حتى وصلت إلينا علي هذا النحو..لدرجة أنها تنفرد بكثير من الخصائص عن بقية اللهجات المحيطة بالجبل نفسه إي في ذات النطاق الجغرافي مما يلفت الإنتباه بشكل ملح..نعم إن عوامل جغرافيه.. بيئية.. إجتماعية.. لايمكن إغفالها، أدت إلى خلق الفرصة المواتية أمام هذه اللهجة للبقاء والسلامة من أي تغيير قد يفقدها بعض قيمتها الأثرية.. فأذن قمت بدراسة ذلك التراث الإجتماعي ووجدته - دون تحيز- على درجة كبيرة من الإتقان.. ليس فيه من العشوائية أوالإرتجال مايمكن تعقبه أوالإستدراك عليه.. ومن رأى أنني متحيز أو أصدر عن عاطفة إبن الدار فله أن يراجع الفصل الثاني مخطوط ص٥٧ إلى نهايته ففيه مايغني عن تكراره وليس من نافلة القول أنني أتحامل في بعض الأحيان حتى أسلم -أمام نفسي وأمامكم- من الأتهام بما يأنفه الباحث الأمين..وإيثار السلامة من أي تأثيرات قد تغفل مثلبة أوتفتعل منقبة وعليه كانت دهشتي للدقة الصارمة في كل التفاصيل التي تحيطهم وتأطرهم. فتساءلت: هل تمتد هذه الدقه إلي لسانهم ؟فكانت إجابتي..نعم! غير أنني أحتاج الدليل القاطع والبرهان الأكيد فيسرالله ذلك فله الحمد والشكر .

ولو ألقينا نظرة عامة على اللغة لوجدناها ذات جغرافية متنوعة لا تخرج عن التوزيع التالي:

١ـ جغرافيا صحراوية..= قاموسا صحراويا (مثل)/ سراب / جمل /

٢ـ جغرافيا بحرية..= قاموسا بحريا (مثل) / سمبوك/ محارة/ غوص

٣ـ جغرافيا جبلية...= قاموسا جبليا (مثل)..جبل / طور / ريد /

وهكذا تتعدد بتعدد المستويات.. بيئات متعددة

ولونظرنا إلى الجغرافيا الصحراوية بتفحص سنجدها عبارة عن بيئات متنوعة لكل بيئة سماتها التي تميزها عن غيرها فيمربك قولهم وهذا لسان بعض تميم أوبعض أسد أو قوم من قيس ..كدليل على التنوع البيئي للغة ..وعن هذا التنوع في البيئات..

يبرز الأداء اللغوي (اللحن) النغم الموسيقا..كما تند الاشكالات المختلفة التي تظهر على هيئة أصوات لأحرف لم ترد في لغة القرآن .. كالكشكشة على سبيل المثال الذي يظهر في السنة كثير من قبائل الجزيرة العربية من جنوبها الى شمالها ومن شرقها الى غربها ..ومعه أصوات أخرى اطلق عليها اللغويون والنحاة اسماء عدة اعتبروها مستقبحة حينا ..وحينا عدوها غريبة شاذة .

وأعود فأقول : القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، ولهذا فقد جمع كل القواميس عبر جغرافية اللغة بمستوياتها المتعددة وأحاط بها واشتمل عليها لنجد ذلك يبرز بوضوح في القراءات (الأحرف)السبعة.. واللغات في القرآن.. والنحو القرآني ..أما مايختص بالقراءات فنلمسه في ذلك الأداء (اللحن) بين قراءة وأخرى إلى الحد الذي تتيقن معه أن قراءة (ورش) مثلا تتطابق مع اداء لهجة جبال جازان وما يليها من جبال صعدة في اليمن الشقيق وهي القراءة المنتشرة أيضا في شمال أفريقيا.. وانظر على سبيل المثال (أتحاجونني) قرئت (أتحاجونّي) و قوله تعالى (إلا ما عاهدتم عليهُ اللهَ) و(على الموسع قدْره وعلى المقتره قدْره) قرأها بعضهم (قدَره) بالفتح..

وعن اللغات في القرآن فقد وصلت إلينا مؤلفات كثيرة تنزع إلى وجود لغات عدة كالفرس والحبشة والسريان واحتجوا بأنها قد اكتسبت الفصاحة بنزولها في الوحي والحقيقة ليس في القرآن لغة غير العربية البينة الواضحة في الأذهان..من ذلك (الطور)

قالوا لغة السريان..وهو الجبل ولو سألت عن الطور في لسان بعض القبائل ومنها فيفاء لقيل لك بأنه جانب الجبل الصخري أو الصخرة العظيمة كالجبل ينطقونها بفتح الطاء (طَور) والحال كذلك في كلمة (حور) في قوله تعالى (إنه ظن أن لن يحور) فقالوا بأنها حبشية.. أو وافقت لسان أهل الحبشة ، وفهموا معناها من خلال السياق بأنها تعني العودة .. وفي لساننا يقولون (حور اموعد) ويفسرون حور: رِدِّ اليوم... عودة اليوم..وقل في النحو القرآني أنه قد استهلك تأويلات النحاة في مواطن عدة كسر فيها النحو بشكل لزم معه أن تعلل هذه الظواهر النحوية المغايرة للسائد ..ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى :(إنّ هذان لساحران) وبعظهم قرأها بالتخفيف (إنْ هذان لساحران) والشواهد كثيرة في هذا الشأن.

إن تدوين اللغة الذي أنطلقت بواكيره الأولى في مدينة البصره بالعراق على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي -(١٥٧)وفاته سنة مئة وخمس وسبعون هجرية- صاحب أول معجم لغوي (العين)..تزامن مع ظهور علم آخر بدأ جمعه وتدوينه هو علم الحديث النبوي الشريف ، وفق ضوابط وشروط تأثر بها علم اللغة دون شك ، ومن يقرأ (المزهر) للسيوطي يدرك أن ثمت تشددا لا مبرر له على الإطلاق.. ووفقا لتلك الضوابط ، فقد قسموا العرب الى أربعة أقسام ، أخذوا عن قسم واحد ، ونبذوا ثلاثة .القسم الأول:أخذت عنه اللغة وهم (قيس ، وتميم ، وأسد ، وهذيل، وبعض كنانة بعض الطائيين) هؤلاء أخذ عنهم الغريب والإعراب والتصريف.القسم الثاني: سكان المدن (الحضر) فلم تؤخذ عن حضري قط.القسم الثالث: سكان البراري ، أمثال لخم ، جذام ، قضاعة، غسان ، إياد .فلم تؤخذ عنهم قط.القسم الرابع: من جاوروا عجما أوأختلطوا بمن جاوروا عجما.. فلم تؤخذ عن: تغلب لمجاورتهم الفرس، ولاعبد القيس وأزد

عمان لمجاورتها الهند وفارس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ، ولا بني حنيفة وسكان اليمامة ..ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن ..هذا التشدد الذي لامبرر له من أي الوجوه تسبب في إستبعاد أغلب لسان العرب من معاجمها فصرف النظر عن دراسته والإهتمام به.لقد كانت هذه المغالاة كما أسلفت ناتجة عن إجتهاد لوضع ضوابط لهذا العلم حتى لا تشوبه شائبة.. فيدخل على لغة القرآن ما ليس منها. إلا أن من يتأمل المصنفات في القراءات ، واللغات في القرآن..وغريبه يدهش الى الغلو في الجانب التطبيقي إذا كان القرآن الكريم وقد نزل بلسان عربي مبين لم يأنف أن أستخدم لغات نسبها اهل العلم الى أولئك الذين أستبعدت السنتهم أثناء تدوين اللغة. ولو دونت لما عزى إبن حسنون ، (الطور) الى اللغة السريانية في قوله تعالى :(ورفعنا فوقكم الطور) قال :يعني الجبل وافقت لغة العرب في هذه الآية لغة السريانيين (اللغات في القرآن) أبن حسنون (المكتبة الشاملة). هذه إضاءة أولمحة عن ظروف تدوين اللغة لنعلم أن السابقين لم يفعلوا كل شيئ وأن علينا أن نستدرك ونضيف الجديد ولن نكمل مابدأوه وسيأتي بعدنا من يضيف ويستدرك..فإذا نجد وفق هذه المعطيات ضرورة العناية بلهجات العرب التي نزل بها القرآن الكريم ودراستها بعمق وأناة واضافة ما أهملته معاجمها وأخلت به قواميسها ..فلو لم يكن لذلك من محاسن تذكر سوى فهم غريب القرآن والسنة النبوية لكفاه شرفا ونبلا.

المدخل إلى كشف قواعد التعريف

لاحظت أن هذه اللهجة المحلية لفيفاء تجمع في التعريف بين (ال) و(إم) فقمت بجمع ما أمكنني جمعه من أسماء الأمكنه ..التي تبدأ التعريف ب(أل) كـ (الوَرَّاد) بفتح الواو

وتشديد الراء (اللّهَيْب) بفتح الهاء..(الرُّمَيْح (...(الشله) ....(الغابر) ....(النَّواعم) ..(البرده) ..(الخاشه)... (القثيث) تلك مواضع جلنا يعرفها ، لم نسمع من يعرفها بـ (إم) فعرفتها به!! فكانت النتيجة مذهلة ، لقد تغير معناها وتبدلت دلا لاتها ، جربوا أنتم ذلك وسترون اننا عندما نقول (إمغابر) لا انصرف الذهنُ الى الغبار دون أن ينصرف إلى علم على مكان..وكذلك (إمبرده) لتحول إلى ظرف زمان لأول النهار، أو آخره ،حيث تكون أشعة الشمس مائلة ويعرف بـ(إمبراد) كان هذا محركا ودافعا لحصر كافة الألفاظ المعرفه بـ (ال) وهكذا بدأت أكتشف صور التعريف.

صور التعريف بـ (إم) عند الأقدمين...

باختصار شديد لقد ذهبوا فيه مذاهب شتى نوجزها هنا على النحو التالي : _ فأبن جني جعلها من الإبدال الشاذ (١)) ويقول ابن هشام : إن هذه للغة(أي التعريف بـ(إم) مختصة بالأسماء التي لا تدغم لام التعريف في أولها نحو غلام وكتاب بخلاف رجل وناس ولباس ، وحكى لنا بعض طلبة اليمن -والكلام لإبن هشام- أنه سمع في بلادهم من يقول خذ الرمح واركب امفرس ولعله لغة لبعضهم لا جميعهم ..)(٢). ومع أن التعريف ب (ام) عرف عند نفر من طي في شمال الجزيرة وكثير من قبائل الأزد المطلة على الحجاز ومنها إلى أقصى حدود الجزيرة جنوبا غالب القبائل الموجودة في هذا النطاق ومنها التهامية في الغالب تعرف بالصورتين المذكورتين. إلا أن السابقين تراوحت أقوالهم أنها لغة أهل اليمن كابن أم قاسم المرادي ، صاحب الجني الداني ورضي الدين الإسترابادي في شرح الكافية ،وإبن جني في سرصناعة الإعراب ، وابن هشام في مغني اللبيب ، والزمخشري في المفصل في صنعة الإعراب كلهم قال: أن قلب ال التعريف إم

(في لسان حمير ونفر من طي) ويسوقون الحديث الذي رواه النمر بن تولب (ليس من إمبر امصيام في امسفر).الذي قال عنه ابن هشام أنه شاذ لايسوغ القياس عليه(٣).

أما أقوال وآراء المحدثين فنوجزها في التالي:إن أبعد ماوصلت اليه دراسات المحدثين حول التعريف ب (ام) من المستشرقين: ما ذهب اليه (حاييم رابين)في كتابه اللهجات العربية قال :_ إن أداة التعريف القديمة (أن) بالنون وأنها تغيرت إلى (ام) التي تغيرت فيما بعد إلى (ال) (٤)ومن العرب المؤرخ اليمني أحمد حسين شرف الدين في لهجات اليمن لم يذكر لـ (ام) التعريف أي شيئ سوى انها إحدى صور التعريف... وفي لهجات المسند لم يتجاوز القول بأن أدوات التعريف عند العرب القدامى ثلاث أدوات (النون) آخر الكلمة و(الألف واللام) أول الكلمة..و(اللام) فقط في أولها...

لقد استعرضنا في لمحة سريعة ما قيل حول التعريف قديما وحديثا ، والذي سنتشبث به من تلك الأقوال ماذكره المستشرق (رابين) والمؤرخ اليمني أحمد شرف الدين من وجود أدوات متعددة للتعريف في لغة العرب.. وفي الحقيقة ليسوا وحدهم من تفردوا بذلك فهناك العشرات أن لم يكونوا بالمئات -ممن سبقوهم أوتلوهم-.. ممن تطرقوا إلى هذا الشأن عبر بحوثهم ودراساتهم المعنية باللغات السامية.لقد احتفظت لهجة (فيفا) بأداتين للتعريف هما(إم) و (ال) على حد سواء ، وجعلواللأداة (ال) أحكاما وقواعد دقيقة جدا.. ومبلغ علمي فيها إلى الآن تسع حالات..

أحكام (أل) .

ونسوق هنا قول واحد من من اهل الشأن هو أبوسليمان البستي : من أن (دخول الألف واللام على الإسم لثلاثة أسباب : إما للتعريف ، أو التجنيس أو التعظيم.. فالتعريف:

قولك الرجل والمرأة.والتجنيس: قولك الشاء خير من الإبل أوالذهب خير من الفضة.والتعظيم: كقولك حسن بن علي وعباس بن عبد المطلب ثم تقول : الحسن بن علي والعباس بن عبد المطلب(غريب الحديث للبستي ج ١ص ٦٤٩ م.ش) . لكنها هنا مختلفة بعض الشيئ كما سيتبين لنا ذلك من خلال الحالة التالية:الحالة الأولى:التقديس: لله ، العزيز الحكيم.. المعبود ، الخالق ، المتفرد بالوحدانية.. المنزه في أسمائه وصفاته.. (فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزوجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيئ وهو السميع البصير) الآية ١١ الشورى.فلا يد خل على أسمائه وصفاته جل شأنه (إم) مطلقا..لأنه في الأصل منزه عن التنكير جل جلاله وتقدست أسماؤه.. ومن خصائص (ام) دخولها على مايقبل التنكير.. مثل(رجل) و (بيت) و (وادي) و(جبل).. إمرجل ، إمبيت ، إموادي ، إمجبل... وهكذا.. فإذن يستحيل دخول (إم) على الأسماء أو الصفات أوما أسند أو أضيف الى لفظ الجلالة..ك(الله العوين) أو(العوين الله) أو(العون بالله) (القوي الله) و(الله العالم)؟ و(الله المطلع)؟ والتحية (السلام)فلا يقولون: إمسلام عليكم!! مطلقا.. لأن (السلام) من أسمائه تعالى.. ومنه إذا مرأحدهم بمن يؤدي عملا ما فأنه بعد القائه السلام يردفه بقوله :_والمعونة؟ فيكون الجواب :من الله كل عونه.. فلا يقول (امعونة) الا إذا أستقلت بمفردها عن المعونة التي هي من عند الله.. ونلاحظ هنا أن (العوين) المعين و(العالم)و(القوي)و(المطلع) يمكن ان نطلقها نعوتا دالة على بعض أحوال المخلوق على غرار (...والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه) الحديث.. وهكذا الحال بالنسبة للعلم ، والقوة ، والإطلاع..وغيرها الكثير من النعوت التي يجوز أن نطلقها على المخلوقين.. غير أنها تتغير في هذه الحالة بحيث ينزع منها التعريف ب(ال) وتعرف بدلا

منه ب(إم)!! فتصبح: إمعين ، بتكرير الميم، وإمعالم ، وإمقوي ، وإمكريم ، وإمرحيم ، الخ هذ جانب.. والجانب الثاني ما ماله قداسة متمكنة مثل الكعبة،،بيت الله والقرآن كلام الله فلا يدخل عليها (إم) التعريف مطلقا..ومن هنا يمكننا أن نجتهد في صياغة القاعدة الأولى على هذا النحو:_(لاتدخل أداة التعريف (ام) على أسماء الله وصفاته أوما أسند اليها مطلقا ، لأنها تختص بالدخول على الأسماء التي تقبل التنكير فتعرف بها..

إن الحالة الأولى التي مرت بنا آنفا تمتد في التطبيق الى أبعد مما أشرنا إليه..بحيث يمكننا تطبيقها على المسند السبئي في العصور الوثنية قبل الإسلام ، ..حيث أتخذت تلك الأمم أندادا يعبدونها من دون الله وأطلقوا عليها أسماء شتى، جاء ذكر بعضها في القرآن الكريم كـ (يعوق) و(يغوث)و(نسرا) و (اللات) و(العزى) الخ...وأندادا أخرى لم تذكر بأسمائها ، ومنها ـ المقه ـ كبيرآلهات سبأ ، الذي يرد ذكره في كل أدعيتهم وقرابينهم ، التي سجلتها النقوش السبئية ، على المعابد الوثنية لتلك الآلهة.. وترد في أغلب نصوص القرابين باسم : ـ المقه ثهوان بعل أوام ـ وقد ترد بنعوت أخرى .. غيرأن مايعنينا هو اضافتهم (ال) التعريف لتلك الآلهة ، وهو أمر نادر في لهجات المسند.. مما جعل بعضهم يعتقد أن هذا الإسم من مقطعين : (أيل) وتعني إله و(مقه) ويعني كوكب لامع اختلف فيه من قبل الدارسين للآثار والنقوش السبئية.. أهو الشمس ؟ ام الزهرة ؟ ولكن كلمة (بعل) التي ترد في العادة بعد لفظ (ثهوان) تعني آلهة .. أما (إيل) فعادة ماترد مفصولة بخط عمودي ، كما هو المتبع في خط المسند السبئي بحصر كل كلمة بين خطين عموديين، حتى لاتتداخل الألفاظ ، ويتعذر قراءتها.. فلم يرد أسم (المقه) من مقطين فيما تحت أيدينا من مئات النقوش حتى الآن.. لقد أستوقف (ال) هذا!! عدد ممن عنوا

بالتاريخ واللغة ؟ وتباينت الآراء.. ماإذا كان أداة تعريف أم لا؟ في لهجة اشتهرت باسبخدام (إم) للتعريف..فهل نحن نقترب من تفسير منطقي عندما نعلم أن (المقه) كان أعظم وثن في تاريخ سبأ ولذلك عرفوه ب (ال)...للتقديس فتعالى الله وتقدس اسمه عما يفعلون، القائل في كتابه الكريم: ((قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السماوات ولافي الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير)) الآية٢٢سبأ.

الحالة الثانية:

(التنزيه) كـ: الرسول ، البيت الحرام، الحرم ، القدس ، الكتاب ، ،الوحي ، الأنبياء..الخ.. فلا يدخل التعريف ب(إم) على ما كانت له صفة التنزيه والتعظيم..فاختصت بذلك ولم أجد سببا آخر مع عدم إمتناع تنكيرها ، وإمكان تعريفها بـ (إم).. لكنه ينقلها الى معنى آخر لا علاقة له بالمعنى السابق من حيث التنزيه والتعظيم.. فمثلا عندما نقول : (إمرسول) ونعرفه بام يكون أي رسول ترسله في شأن من شؤنك ويخرج عن دائرة التعظيم بهذا التعريف (إم) ..كذلك الحال في (إمبيت) فإنه يصبح أي بيت آخر.. وهلم جرى في (إمحرم) و(إمكتاب) و(إموحي).. وهكذا الحال في بقية الأمثله (امحرم) يصبح احد المحارم في العائلة وهناك موضع يعرف بـ (نيد إمحرم) لم يسمع من يعرفه بـ (ال) ومن الطريف في هذا الصدد.. ما يروى أن أحدهم كان ينادي بالركاب في سوق (الداير) رافعا صوته.. نيد الحرم !.. نيد الحرم! (يقصد نيد امحرم) فاقترب منه أحد كبار السن وانتهره بشده على هذا التجاوز وعدم إدراكه لما يقول !! والقصة بتمامها يرويها الإستاذ/ حسن أسعد الفيفي المرشد الطلابي بمدارس نيد الضالع بفيفا.. وأعود فأقول

: إن الكثيرين قد يعتقدون أن ذلك يأتي تحاشيا لعدم الوقوع في المشترك اللفظي أو الشبه والنظير الذي سيمربنا لاحقا في فصحيح أن الغلبة في اسم (البيت) هي لبيت الله على سائر البيوت فاستحق التعريف ب(أل) لكن ليس من باب الغلبة فحسب بل من باب التنزيه ولذلك عرف ماسواه من البيوت ب(إم) لتواضعها الشديد الى جانب بيت الله المعظم..وعلى هذا المنوال قس الوحي ،والكعبة ،والأنبياء، والرسول ، النبي.. والكتاب ، القرآن.. مع ملاحظة أن ما أمكن جمعه أمكن تعريفه ب(إم) مثل المصحف الشريف فهم يعرفونه ب(إم)ويقولون (امختمه) لأنه اسم يطلقونه على كيان مادي جلد أوورق مرتب بين دفتين.. وختمت أوراقه وشدت لبعضها.. ويطلق على الجزء من الكتاب ختمة..وقد يكون القرآن الكريم الذي لا يعرفونه ب(إم) تنزيها...

الحالة الثالثة:

اسم الجنس : الناس ، الملائكة ، الجن ، الشياطين ، الكافرين ، المعورين ، السماوات وعند ما يرد في صيغة المفرد فإنهم يعرفونه بأل لتمييزه عن الأسماء الأخرى فيقولون:(الحي) و(المخلوق) و(الواحد) معرفة ب(ال) للدلالة على كافة الجنس ، ك: قولهم :_عنبٍ وسعٍ (الحي) جافٍ من عز امهيجة بيديه.. أوقولهم : رجلٍ مها سالتٍ (بالحي) يجني من بِنّهِ.. أو قولهم : مكانٍ قريبٍ (بالحي) هايشٍ على أقدامو..وفي قولهم: طريقٍ ضيقه مها واسعه (المخلوق) يِجَنِّبْ .. وفي قولهم: سا مدرابٍ جابحٍ (الواحد) قافزٍمن فوقه.. وهكذا.وقد سمعنا جميعا أنهم ينزعون الأداة (ال) ويستبدلونها بـ (ام) فتتراجع الدلالة من اسم الجنس الى فئة أو(نوع) وكأنهم يسيرون وفق الترتيب المعروف في علم المنطق..ففي هذه اللهجة (لهجة فيفاء) نجدهم يقولون: إشبح

(الناس) مذهم يجودون وافعل مهلهم.. أو ماسمعت هروج (الناس) ومذهم يقولون؟ ثم قارن كيف تتحول الدلاله عند قولهم: ما رويت لي منهم (امناس) أوذا أتوا أمس؟ أو قولهم : كيف حال (امناس) أوذا كنت نحهم؟ أتلاحظ الفرق بين الدلالتين ؟؟ وهكذا تسطيع أن تمثل للحالتين وتستنتج الفروق بينهما في اسم الجنس..

وفي قول الشاعر :

(وما في حزب (الحي) مكنوز وزانتو)

.. الشاهد في (الحي) إي ماقد يحمله الحاج من مال ونفقة ..فإنه عرّفه رغم وروده بصيغة المفرد إلاّ أن المقصود به اسم الجنس ..

الحالة الرابعة :ما سبق باسماء الإشارة.. فإنهم لايعرفونه ب(ام) مطلقا.. وهي: ،ذيَّ، تيَّ ، ذِ ، تِ ، ذِ لي، تِ لي، وألحق الكاف للبعيد في ذاك وتاك، وسبق ب (ها) التنبيه..في قولهم : هاذِلي الرجل، هاتِلي المره ، وبما أن اسماء الأشارة من المعارف فأن (إم) لايمكن دخولها في تعريف المشار اليه.. ولو فعلوا ذلك لما أستوقفت لهجتهم أحدا لدراستها..

وقد وهم الشاعر اليمني الراحل / القاضي عبدالله عبدالوهاب نعمان عندما اعتقد أن (ام) تستخدم في تعريف كل شيئ!! في قوله (تا مدبعة)!! في نص شعري باللهجة التهامية الدارجة ،بعنوان (طاير امغرب) غناه أيوب طارش العبسي.

الحالة الخامسة:

المصدر: فإنهم يعرفونه بـ (أل) مطلقا في ثلاث صور ١ـ عندما يرد منهيا عنه

٢ـ أومنفيا..٣ـ أوسبق بضميرمتصل بأحد حروف الألصاق ..ففي النهي نحو قولهم : (لا تهب القروش) (لا تعطي الجعول) (لا تحرق الحطب) وفي النفي ما جاء في قولهم (ما معنا النشب) (ما بهم الجوع) (ما معي الوكد) (ما شرى الغنم) أما ماسبق بضمير متصل بأحد حروف الإلصاق ..فنجده في قولهم :(بهم الريب) (بهم الحفى) (بهم النكد) وهذه الشواهد تأتي بصيغة الدعاء بالويل والنكال على العدو والمغضوب عليهم ..

الحالة السادسة

المنادى المسبوق باداة التنبيه هـا وقد بدأت أشك أنه اسم اشارة وليس أداة تنبيه..في قولهم (وها الرجل) (آها القوم)..(يا ها الولد) (أها المرة)..(وا ها اللدة) وهكذا ..

قال الشاعر:

يا ها (العتايق) واحذروا هرج الزرا والمنقدة..

وقال آخر:

يا ها (الفقير) واقنع بما جا من الله،، ،،، والبرج ياتي راية بعد راية

الحالة السابعة:

المشترك اللفظي: المتساوي كما هو في (القاع) و (امقاع) و(العافية) و (امعافية)

فالقاع المعرف بـ (أل) يقصد بها أديم الأرض ..أما المعرفة بـ (إم) فتعني شجرة معمرة تنتشر في جبال فيفاء بكثرة.

ورد في قول الشاعر:

(بعدِّ نبت (القاع) وامجراد أيلى نجم) والشاهد في تعريفه (القاع) وقد حرّك (الدال) كسراً في كلمة (بعدِّ) أي بعدد نبت القاع..والتحريك تعني التضعيف هنا..

والعافية : المعرفة بـ (أل) تعني الخير نقيض الشر ..أما المعرفة بـ (إم) فتعني المرأة الذاهبة لزيارة أهلها في مناسبة ما .. فهي تعتفي عافية عندما تذهب للزيارة والجمع يعتفين عافياتٍ.

وفي قول الشاعر..

ما تطلع البيضا سماط (العافية) ....أي لا بد من سفح الدماء وذلك هو نقيض العافية

كما جاء في قول من سبقه ..

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ....حتى يسال على جوانبه الدم..

يتضح لنا من خلال ما سبق أن هناك أن التعريف بـ (ال) قد أ

الحالة الثامنة:

ليس هناك أدنى شك في أن التمهيد المقتضب الذي سبق البحث قد أغفل الكثير من النقاط الرئيسية التي كان يجب التطرق إليها قبل الولوج لأي نتائج..لما لها من وثيق الصلة في إضاءة الكثير من الجوانب المعتمة حول أهداف البحث.. وأهميته للغة العربية وبحوثها المختلفة.وقد رغبت إلي أخي الدكتور عبدالله بن أحمد الفيفي أن يطلع على ما تم نشره هنا..حرصا مني على الإستضاءة برأيه ولما له من أهمية بالنسبة لي فتكرم مشكورا بطرح عدد من التساؤلات الهامة..والنقاط المثيرة والفاصلة..فكان منها ماكنت أجهله تماما..ومنها ماكان علمي به قاصرا محدودا.. ومنها ما تجاوزته أولمحت إليه

بإيجاز.. قاصدا الإختصار ومتعمدا أن يتركز الحديث حول أمثلة اللهجة التي وردت كشواهد للإستنتاجات.. دون التعرض للمباحث الأخرى المتعلقة بجوهر الموضوع وليس ذلك مني ضنا بها.. لكني قدرت أن تكلف نشرها هنا بالتفصيل سيكون عبئا لا أستطيعه في الوقت الراهن على الأقل..ومن تلك النقاط.. الأولى : (الهدف من البحث)؟.يتساءل الدكتور عبدالله في البداية قائلا : (بيد أني أرى بحثكم يثير السؤال: مالهدف منه ؟ – على طرافته – ذلك مالم يتبين لي..).بالتأكيد كان ذلك تقصيرا شديدا من جانبي فقد ذهبت ألخص التعريف بالبحث من حيث الأسباب والدوافع دون ذكر للأهداف : خلا عبارة (دراسة اللهجة المحلية) لم أتطرق لذكر أي مشكلات قائمة.ثم أشفعها بأخرى للحلول النظرية الإفتراضية ثم أبدأ سلسلة من التجارب التطبيقية أتوصل في النهاية الى الحلول المثلى للمشكلات.. ثم أخرج بحل لعقدة التعريف ب(ال) و(ام) كان يمكنني فعل ذلك وهو حق مشروع لي ولاغبار عليه.. فلماذا لم أذكر الأهداف على هذا النحو الذي استعرضته؟ سأقول لكم سر ذلك بالتفصيل.. لقد بدأت الموضوع قبل عشرات السنين دون أفتراض عقدة ما حتى أبحث لها عن حل مناسب هذه هي الحقيقة بكل صدق وأمانة.. بدأت مشتتا دون أهداف واضحة.. سوى إنجاز كتاب بعنوان (فيفاء لمحة تاريخية... أدبية ..شاملة) فند عنه سؤال : مالعلاقة بين لهجتنا والمسند السبأي؟ فذهبت أقرأ ما وجدته من العناوين ذات الصلة بهذا الشأن.. بحثا عن الحلقة الرابطة بين هذه وتلك .. وهنا أصبح الهدف غير سابقه.. فدونت كل اللهجة ودرستها بعمق وأناة لا يمكنكم تصوره بسهولة..على امتداد ما يربوعن عقد من الزمان..واكتشفت أن اللهجات العربية من أقصاها إلى أقصاها تربطها علاقات وثيقة راسخة تمد جذورها إلى أصل واحد لغة القرآن الكريم وليس هناك لهجة أولغية ترجع أصولها إلى لهجة مماثلة وكانت

هذه الحقيقة صدمة أخرى بالنسبة لي فلا نقوش المسند السبئي أولهجاته المختلفة كانت تربطها بلهجتنا إلا بمقدار ما يربطها باللهجات المنحدرة من أصل واحد..تنازلت عن ذلك الهدف عن قناعة تامة وبدأت ألملم أوراقي وفي النفس شيئ من لهجتنا وعلاقة مفرداتها بمعاجم اللغة فاعتبرتها لهجة أثرية لم تحض بالتنقيب الأثري الذي قد يكشف لنا أسرارا لغوية لم يهتد أحد إلى كشفها من قبل..فمثلا نجدها تستخدم صيغتين للتعريف..وجملة طويلة من الإشكالات ؟ لكن التعريف كان مايشغلني في بادئ الأمر..إنه هدف مختلف عن سابقيه!!

التي بلغت تسع الى الآن وهي:

١ـ التقديس..

٢ ـالتنزيه

٣ ـ اسم الجنس

٤ ـ المشار اليه..

٥ـ ماسبق بأداة النداء

٦ـ لأزاحة الأشتراك اللفظي..

٧ـ التغلب...

.٨ـ ما جاء بصيغة (المصدر) منهيا عنه أومنفيا..أوسبق بضميرمتصل بأحد حروف الألصاق نحو: (لاتهب القروش)للنهي و(ما معنا النشب) للنفي و(بهم الريب) للإلصاق

٩ـ التفخيم : علو الشأن والمكانة في المجتمع معصية.

---

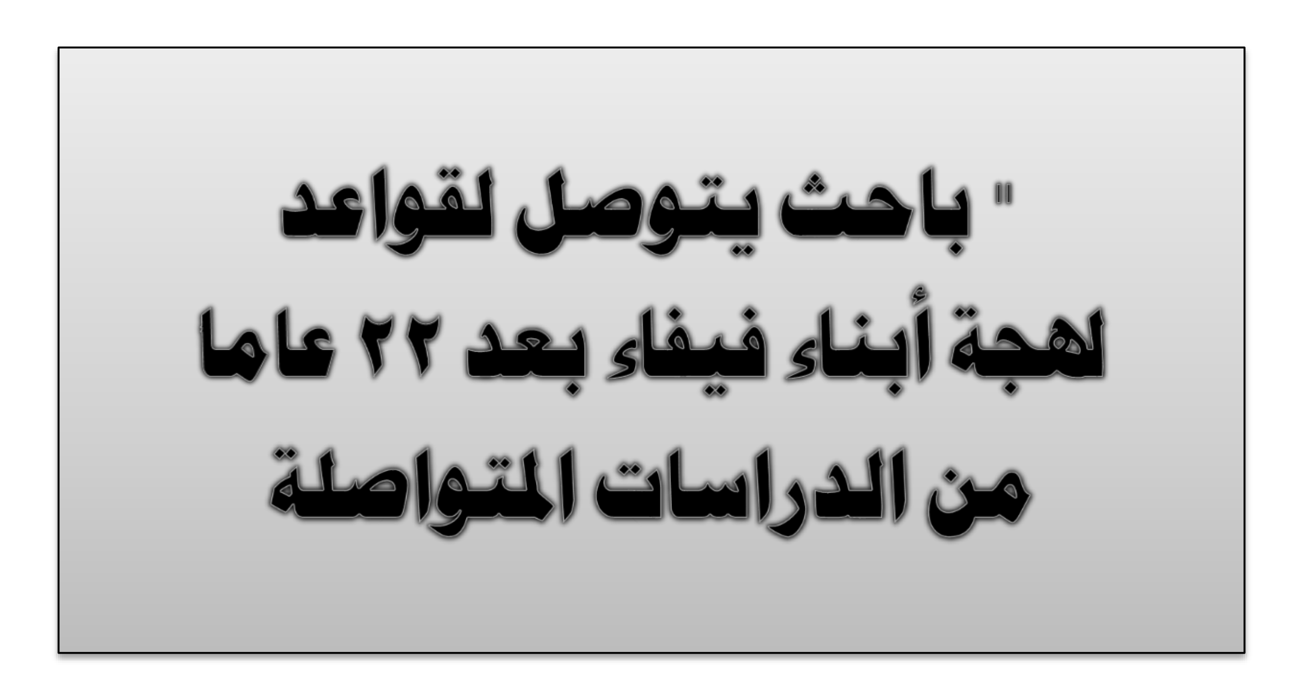
(١) سر صناعة الإعراب لإبن جني ج١ (٤٢٣) –المكتبة الشاملة.

(٢) مغني اللبيب لإبن هشام ج١ ص١٧ (المكتبة الشاملة).

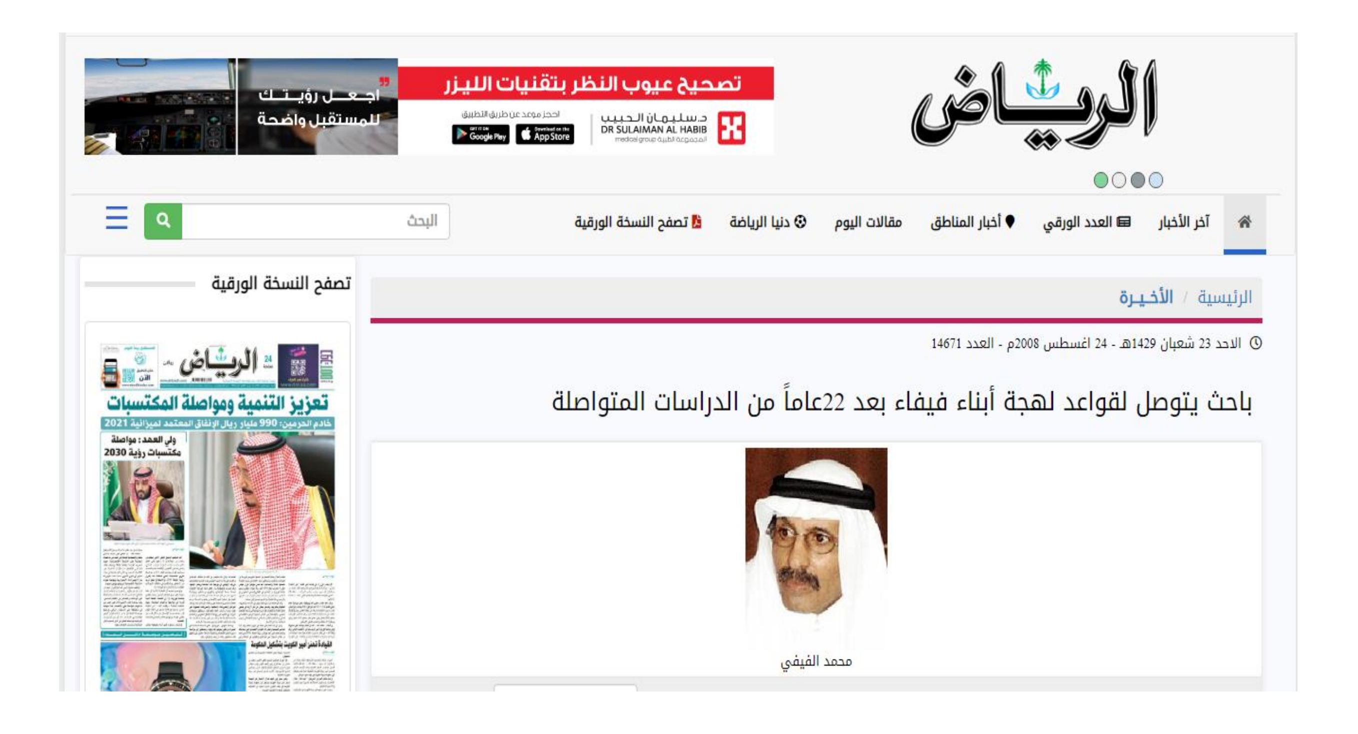
(٣) القائل هو ابن جني وليس ابن هشام.

(٤) لهجة أزد السراة ص٢٦ (عن مصدر للباحث)للدكتور جمعان بن عبد الكريم الغامدي.

(٥) نفس المرجع (عن مصادر للباحث) ص١٦،(٢٦).



جريدة الرياض – الأحد ٢٣ شعبان ١٤٢٩هـ – ٢٤ اغسطس ٢٠٠٨م – العدد ١٤٦٧١ .



بعد ٢٢عاماً في دراسة اللغة العربية ولهجة أبناء فيفاء توصل الباحث محمد بن مسعود الفيفي إلى الكشف عن القواعد اللغوية للهجة أهالي فيفاء التي يصعب على غير أبناء فيفاء فهمها أو نطقها وقد تم الكشف عن قواعد هذه اللهجة من خلال قواعد التعريف ب (أل) و(إم) والتي ظلت بعيدة عن انتباه الباحثين منذ عصر التدوين في القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا وأكد الباحث أن النتائج التي توصل لها البحث تكشف عن غموض عدد من إشكالات اللغة العربية التي نجدها في اغلب لهجات العرب والمعروفة لدى علماء فقه اللغة بالكشكشة والطمطمة والشنشنة والعنعنة وغيرها ليكشف عن غموضها الذي بقي يكتنفها وأنها جاءت وفق قواعد دقيقة ولم تأت اعتباطا أو كما كان يعتقد سابقا من أنها من باب القلب والإبدال أو التسهيل.

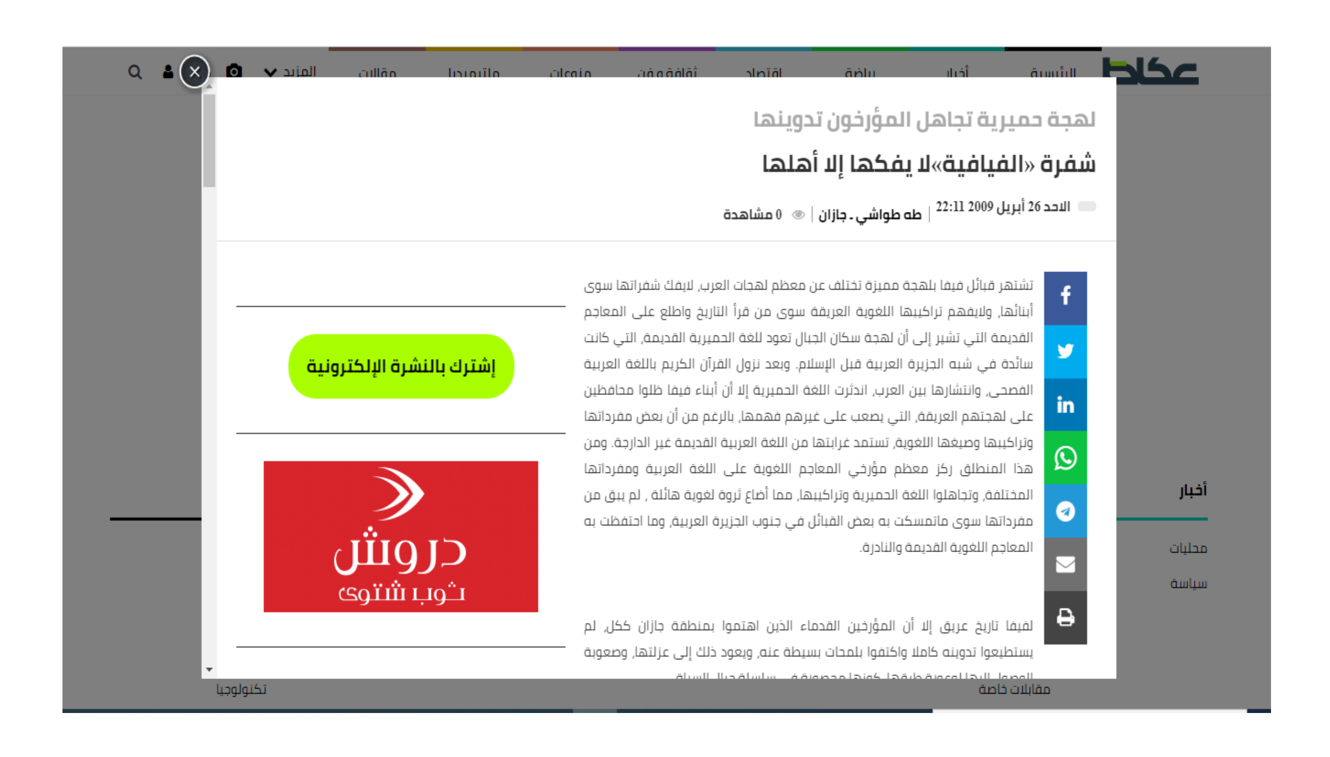
واعتبر الباحث أن ظروف تدوين اللغة قد أهمل كثيراً من ألفاظها وأصوات أحرفها التي لم ترد في التنزيل ومن المؤكد أن هذا الكشف اللهجي سيدفع بدراسات فقه العربية إلى ميدان جديد من خلال اللهجة الأثرية لفيفاء التي لا تجد شواهدها إلا في القرآن الكريم وكتب القراءات.

وكان الباحث قد قام بزيارة مؤخراً لدارة الملك عبدالعزيز للبحوث والنشر وقال إنه قد حظي بالدعم المبدئي من قِبل دارة الملك عبدالعزيز للبحوث والنشر وأضاف أن لقاءهُ مع الأمين العام لدارة الملك عبدالعزيز الدكتور فهد السماري قد أتاح لهُ فرصة توضيح بعض النقاط المتعلقة ببحثه.

وأكد الباحث أن نتائج البحث يمكن تطبيقها على المسند السبئي إلى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد.

لهجة حميرية
تجاهل المؤرخون تدوينها
شفرة «الفيافية» لا يفكها إلا أهلها

جريدة الرياض – الأحد ٢٦ أبريل ٢٠٠٩م .



لهجة حميرية تجاهل المؤرخون تدوينها

شفرة «الفيافية»لا يفكها إلا أهلها

الاحد 26 أبريل 2009 22:11 | طه طواشي . جازان | 0 مشاهدة

تشتهر قبائل فيفا بلهجة مميزة تختلف عن معظم لهجات العرب, لايفك شفراتها سوى أبنائها, ولايفهم تراكيبها اللغوية العريقة سوى من قرأ التاريخ واطلع على المعاجم القديمة التي تشير إلى أن لهجة سكان الجبال تعود للغة الحميرية القديمة, التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. وبعد نزول القرآن الكريم باللغة العربية الفصحى، وانتشارها بين العرب, اندثرت اللغة الحميرية إلا أن أبناء فيفا ظلوا محافظين على لهجتهم العريقة, التي يصعب على غيرهم فهمها, بالرغم من أن بعض مفرداتها وتراكيبها وصيغها اللغوية, تستمد غرابتها من اللغة العربية القديمة غير الدارجة. ومن هذا المنطلق ركز معظم مؤرخي المعاجم اللغوية على اللغة العربية ومفرداتها المختلفة, وتجاهلوا اللغة الحميرية وتراكيبها, مما أضاع ثروة لغوية هائلة , لم يبق من مفرداتها سوى ماتمسكت به بعض القبائل في جنوب الجزيرة العربية, وما احتفظت به المعاجم اللغوية القديمة والنادرة.

لفيفا تاريخ عريق إلا أن المؤرخين القدماء الذين اهتموا بمنطقة جازان ككل, لم يستطيعوا تدوينه كاملا واكتفوا بلمحات بسيطة عنه, ويعود ذلك إلى عزلتها, وصعوبة

تشتهر قبائل فيفا بلهجة مميزة تختلف عن معظم لهجات العرب، لا يفك شفراتها سوى أبنائها، ولا يفهم تراكيبها اللغوية العريقة سوى من قرأ التاريخ واطلع على المعاجم القديمة التي تشير إلى أن لهجة سكان الجبال تعود للغة الحميرية القديمة، التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

وبعد نزول القرآن الكريم باللغة العربية الفصحى، وانتشارها بين العرب، اندثرت اللغة الحميرية إلا أن أبناء فيفا ظلوا محافظين على لهجتهم العريقة، التي يصعب على غيرهم فهمها، بالرغم من أن بعض مفرداتها وتراكيبها وصيغها اللغوية، تستمد غرابتها من اللغة العربية القديمة غير الدارجة.

ومن هذا المنطلق ركز معظم مؤرخي المعاجم اللغوية على اللغة العربية ومفرداتها المختلفة، وتجاهلوا اللغة الحميرية وتراكيبها، مما أضاع ثروة لغوية هائلة، لم يبق من مفرداتها سوى ما تمسكت به بعض القبائل في جنوب الجزيرة العربية، وما احتفظت به المعاجم اللغوية القديمة والنادرة.

لفيفا تاريخ عريق إلا أن المؤرخين القدماء الذين اهتموا بمنطقة جازان ككل، لم يستطيعوا تدوينه كاملاً واكتفوا بلمحات بسيطة عنه، ويعود ذلك إلى عزلتها، وصعوبة الوصول إليها لوعورة طرقها، كونها محصورة في سلسلة جبال السراة.

تاريخ فيفا القديم يشير إلى جهل وأمية أبنائها، مما أدى إلى عدم تدوين أية معلومات أو تاريخ عن جبالها الشامخة، ولكن من المعروف أن الحكم الفعلي المباشر في جبال فيفا كان لمشايخ القبائل الذين كان يطلق عليهم سابقا السلاطين.

وأقدم تاريخ مدون لدى قبائلها يعود إلى ما قبل البعثة النبوية، ويؤكد ذلك قصة هند بنت عتبة المشهورة والتي جرت بعض أحداثها في وادي ضمد «شط الصبايا» وهو من ضمن أودية فيفاء، كما يشير كبار السن بأن الكاهن الذي حكم ببراءة هند بنت عتبة، كان من أهل نافية من قبيلة المدري في فيفاء.

وقد ذكر الهمداني المتوفى في سنة ٣٣٤ هـ، فيفا في صفة جزيرة العرب في أكثر من موضع.

قبائل فيفا:

تستوطن جبال فيفا ١٨ قبيلة وكل قبيلة تنسب إلى الجبل الذي تقييم فيه، وفضلت القبائل السكنى في الجبال المرتفعة لاتخاذها كملاجئ آمنة وقت الحروب والاضطرابات التي كانت في عهد المخلاف السليماني.

ومن المتفق عليه أن كافة قبائل فيفا ماعدا الأشراف ينسبون إلى خولان بن عمرو الحاف قضاعة، وبالرغم من أن قبيلة الأشراف تعتبر من قبائل فيفاء، ولكن نسبها يعود إلى آل يحيى بن يحيى من سلالة الإمام الهادي يحيى بن الحسين الرسي الذي يعود نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن المعروف تاريخياً أن فيفا عاشت بأهلها وقبائلها بعيداً عن الاختلاط بالقبائل المجاورة لها، لذلك لم يتعرض أهلها لأي تغييرات سكانية أخرى دخيلة عليها، حتى أن

بعض المؤرخين المحدثين قال: إن الإنسان في هذه السلسلة الجبلية هم سكانها من عهد قحطان.

نبذة جغرافية:

فيفا عبارة عن مجموعة من الجبال ملتفة حول بعضها، تبدو كجبل واحد هرمي الشكل مما أجاز لها التسمية الثنائية المعروفة بجبال فيفا أو جبل فيفا، وهي كتلة جبلية صعبة التضاريس تتميز بشدة انحدارها في جميع الاتجاهات، ذات مسالك وعرة للغاية وكثيرة المنعطفات، قال عنها المستشرق البريطاني فليبي بأنها تصلح ميدانا لهواة التسلق.

وتتكون جبال فيفا من صخور تعود إلى ما قبل العصر الكمبري، والقاعدة مركبة من صخور «السبانايت والجرانيت»، التي تقطعها عروق الكوارتز في أجزاء عديدة من الجبل، وصخور فيفاء ذات صلابة متوسطة إلى شديدة لكن يمكن تفتيتها. وتختلف ارتفاعات جبال فيفا عن بعضها، حيث نجد أن بعض الجبال ترتفع ٣٠٠٠ قدم عن سطح البحر، فيما ترتفع قمة جبل العبسية أعلى قمة في فيفا ١١٠٠٠ قدم عن سطح البحر.

التراث الشعبي:

تتميز فيفا بتراث شعبي من النادر وجوده في منطقة ذات مساحة صغيرة تقطنها قبائل محدودة، ويحتوي تراثها على الآلاف من الأمثال الشعبية والأساطير والحكم والشعر والأحاجي التي أثرت ثقافة أبنائها، وتناول هذا الجانب كتاب باقة من تراث فيفا، للشيخ العلامة علي قاسم الفيفي، ويقال إن مجموع الحكم والأمثال في فيفا يبلغ ٣٥٠٠ مثل وحكمة و٣٠٠ أسطورة وقصة تراثية مميزة.

الطراز العمراني:

إن أكثر ما يلفت النظر في جبال فيفا، هو طريقة بناء المنازل قديما، والتي أضافت على الجبال لمسة فنية امتزجت مع جمال الطبيعة الخلابة، بشكلها الاسطواني الفريد من نوعه.

المنازل الاسطوانية لا زالت تحافظ على أشكالها المميزة، ولم تتأثر بالعوامل الطبيعية كثيراً، بالرغم من أن بناءها اعتمد على مواد بسيطة كالطين والأحجار وأخشاب الأشجار.

منازل فيفا القديمة تنوعت تصاميمها وطرق بنائها، فمنها المفتول أو الدارة والتي تعتبر من أشهر الأبنية وهي أنواع عديدة منها الدارة أي الدور الواحد، والدارتان، والدارتان ومشراح، والدارة ومشراحان وكلها تحمل الشكل الإسطواني، بالإضافة إلى الشكل العلي وهو شبيه بالمفتول، فنوع منه يتكون من دارتين ومشراح كالمفتول تماما إلا أنه توجد فيه إضافة سقف دائري من الخلف يمتد من أسفل البناء إلى الأعلى.

العادات والتقاليد:

لقبائل فيفا تقاليد غريبة في اللباس، كغرابة لهجتهم التي لا يفهمها سواهم، فلباس الرجل يتكون من المصنف، وهو إزار أبيض اللون في أطرافه خطوط ملونة ويستر ما فوق السرة إلى نصف الساق تقريباً، ويلبس فوقه حزام من الجلد يثبت فيه الجنبية أو الخنجر، ويلبس حزام المسبت، لتثبيت البنادق ورصاصها، التي يحملها الرجال بصورة شبه دائمة كونها تعد من لوازم الرجولة، ويغطي الفيفي صدره، عادة بقميص يسمى بالشميز، ويزين

الرجال شعورهم بسير من الفضة مثبت فيه بعض الأشجار العطرية كالكادي والبعيثران وغيرها.

ويتكون لباس النساء من الصدرة، وهي لباس فضفاض طويل يصل إلى نصف الساق، والوزرة وهي شبيهة بالمصنف الذي يرتديه الرجل ولكنها ذات ألوان متعددة، وترتديه المرأة مرافقا للصدرة لتغطية باقي جسمها حتى القدمين، بالإضافة إلى القطاعة لتغطية الرأس وهي معروفة باسم المحنا، واستخدمت النساء في الماضي الحلي البسيطة للتزين تتكون غالبا من الفضة أو الأحجار الجميلة، حيث إن الذهب لم يكن معروفا لديهم وقلما أن تجد أسرة لدى نسائهم حلي من الذهب.

ومن أهم الحلي الفضية، اللبة وهي شبيهة بالرشرش ولها عدة أنواع وتضعها المرأة فوق صدرها، والأعلاج وتلبس على جانبي الرأس «الصدغين» بدلاً من الأقراط أو معها، والمسك أساور توضع في المعصم، والأوضاح حلق أكبر حجماً يوضع في العضد، والمعانق وهي عبارة عن عقود من المرمر أو حبات من الخرز الأبيض الكبير أطرافه سوداء يوضع وفي وسطها ريال فرنسي من الفضة توضع على الصدر.

المناخ معتدل طيلة العام:

تتميز فيفا باعتدال مناخها طيلة العام تقريباً، ويميل إلى البرودة في الشتاء على قمم الجبال المرتفعة، والحرارة صيفاً على السفوح، وتهطل الأمطار المصحوبة بالعواصف الرعدية بكثرة في فصل الصيف أكثر من أي فصل آخر، ويتراوح معدلها ما بين ٣٥ إلى ٤٥ سنتيمتراً مكعباً في السنة.

وتتراوح درجة الحرارة في جبال فيفا صيفاً ما بين ١٦ إلى ٢٨ درجة مئوية تقريباً، وفي الشتاء ما بين ثلاث إلى ٢٥ درجة مئوية، وتصل نسبة الرطوبة في الشتاء إلى ٥٠ بالمائة وصيفا إلى ٣٠ بالمائة.

وبهذا يكون الجو معتدلاً جميلاً في فصل الصيف، وأقرب إلى البرودة في فصل الشتاء.

بعض المفردات من لهجة فيفا الفصيحة

- عندما نشير للمكان البعيد، نقول (ثَمَّ).

❋ وقد وردت في القرآن الكريم: (وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً).

- عندما يبالغ أحدهم في إكرام شخص، نقول: (بها يحفا بو).

❋ وقد وردت في القرآن الكريم: (إنه كان بي حفيا).

- إذا أكل أحدهم الشيء دفعة واحدة، نقول: (التقمو).

❋ وفي القرآن الكريم: (فالتقمه الحوت).

- إذا أخذ الشيء نقول: (التقطو).

❋ وفي القرآن الكريم: (فالتقطه آل فرعون).

- إذا سقط أحدهم على طوله ممدود، نقول: (وقع قعيرن).

* وفي القرآن الكريم: (كأنهم أعجاز نخل منقعر).

- الذي يقسم نقول له: (يثبي) ونقول للأقسام: (ثبات).

وفي القرآن الكريم: (فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً) فثبات هنا يعني أقسام!.

- الذي هرب نقول له: (فرَّ).

* وفي القرآن الكريم: (ففرت منكم لما خفتكم).

- وإذا أردنا أن نقول لأحدهم: انتظر، فإننا نقول له: (عقِّب).

* وفي القرآن الكريم: (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّب).

- ونقول للمكان المرتفع من الأرض: (حدبين).

* وفي القرآن الكريم: (وهم من كل حدب ينسلون).

- ونقول للمرأة إذا استبان حملها: (أثقلن).

* وفي القرآن الكريم: (فلما أثقلت دعوا الله ربهما).

- نقول في لهجتنا للأمر السهل (هوينن) وإذا كان الأمر أسهل نقول له: (أهون).

* وفي القرآن الكريم: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ).

- حتى هذين الحرفين: (قع) لم أسمع بهما إلا في لهجتنا!. فإن الأم أو الأب يوصي ولده قائلا: (قع رجلن) أو يوصي أولاده: (قعوا صبيانن).

❋ وفي القرآن الكريم: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين).

"لهجة فيفاء" فاجأت الاسرائليين بحرب ١٩٧٣م

تتعصى لهجة أهالي محافظتي فيفاء والدائر بني (مالك) والمتجذرة من اللغة العربية "الفصحى" على فهم من لم يكن ممارساً لها، أو اختلط بأهلها من المحافظات الأخرى خاصة مع سرعة حديث أهلها مما يجعل سواهم في فهم مايدور بينهم؛ كما يقال " كالأطرش في الزفة " ليس كونهم لا يتحدثون العربية بل من سرعتهم في الحديث.

ومما رواه أحد الجنود يرحمه الله وكان من أحد أفراد الجيش السعودي الذين شاركوا في حرب اكتوبر " تشرين أول" ١٩٧٣م بالجبهة السورية " أن المسؤولين بسلاح الإشارة وخشية من التقاط المحادثات من جهات معادية "إسرائيل" بين مركز القيادة والقوات السعودية بسوريا أناط المسؤولون بالقيادة العسكرية بجنود "فيافية" لإرسال وتلقي الاتصالات من مركز القيادة للقوات السعودية في سوريا تحسباً من اعترضها من الإسرائليين.

وكان يتولى أحد الجنود الفيافية نقل الاتصالات من المملكة ويستقبلها زميل له "فيفي" آخر بالقوات السعودية في سوريا باللهجة الفيفية؛ ويقوم كل منهما بنقلها باللغة الفصحى لقياداتهم كل بموقعه مباشرة.

من جانب آخر نشر ناشطون مقاطع فيديو على موقع يويتوب عن اللهجة الفيفية "كارتون" ومؤخر مقاطع فيديو مع زيارة الشيخ سلمان العودة لمحافظتي فيفاء والدائر (بني مالك) وهو يتدرب على الهجة الفيفية ولهجة بني مالك.

ونشر أحد المواقع التي نقل عنها الزميل " حسين الفيفي " مفردات باللهجة الفيفية وما يقابلها من مفردات بالقرآن الكريم منها: عندما نشير للمكان البعيد نقول (ثم) وقد وردت في القرآن الكريم: (وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً) - وعندما يبالغ أحدهم في إكرام شخص، نقول: (بها يحفا بو) وقد وردت في القرآن الكريم: (إنه كان بي حفياً) - إذا أكل أحدهم الشيء دفعة واحدة، نقول: (التقمو) وفي القرآن الكريم: (فالتقمه الحوت) - إذا أخذ الشيء نقول: (التقطو) وفي القرآن الكريم: (فالتقطه آل فرعون).

وإذا سقط أحدهم على طوله ممدود، نقول: (وقع قعيرن) وفي القرآن الكريم: (كأنهم أعجاز نخل منقعر) الذي يقسم نقول له: (يثبي) ونقول للأقسام: (ثبات) وفي القرآن: (فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) فثبات هنا يعني أقسام! الذي هرب نقول له: (فرَّ) وفي القرآن الكريم: (ففرت منكم لما خفتكم) وإذا أردنا أن نقول لأحدهم: انتظر، فإننا نقول له: (عقّب) وفي القرآن الكريم: (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ).

ونقول للمكان المرتفع من الأرض: (حدبين) وفي القرآن الكريم: (وهم من كل حدب ينسلون)؛ ونقول للمرأة إذا استبان حملها: (أثقلن) وفي القرآن فلما أثقلت دعوا الله

ربهما) نقول في لهجتنا للأمر السهل (هوينن) وإذا كان الأمر أسهل نقول له: (أهون)؛ وفي القرآن: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ).

وأضاف وحتى هذين الحرفين: (قع) لم أسمع بهما إلا في لهجتنا! فإن الأم أو الأب يوصي ولده قائلا: (قع رجلن) أو يوصي أولاده: (قعوا صبيانن) وفي القرآن الكريم: (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين).

لغة اهل فيفة التي استخدمها المصريون في حرب إسرائيل

في حرب العرب ضد إسرائيل عانى الرئيس الراحل جمال عبدالناصر من قوة الاستخبارات الاسرائيلية وذاك كان في اكتشافهم للشفرات أثناء الاتصالات بين القوات المصرية، حكى الرئيس جمال عبدالناصر هذه المعاناة لجلالة المغفور له بإذن الله الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، فما كان منه إلا أن وعده بأن يحل له هذه المشكلة، وكان رحمه الله من أشد الناس ذكاء ومعرفة بدهاليز السياسة قام رحمه الله بتجنيد رجال فيفا والذين يملكون لهجة عربية من أروع وأصعب اللهجات التي عرفها العرب ومن ثم قام بإرسالهم إلى مصر والتي تولى جيشها تعليمهم وتدريبهم على أجهزة الاتصالات ولكن لم يتم استخدامهم إلا في عهد الرئيس أنور السادات برغم أنهم دخلوا أثناء حرب الاستنزاف التي في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وكان ذلك في عام ١٣٩٣هـ أي في حرب العبور عانت المخابرات الاسرائيلية الأمرين في حل شفرة اتصالات الجيش المصري والذي فاق التقنية الإسرائيلية في ذلك الوقت بفضل من الله ثم بفضل الفيصل والفيافية وكانوا هم الذين يتكلمون لاسلكياً على جانبي خط برليف العظيم أثناء العبور ويرسلون المعلومات السرية والخطيرة علنا دون أن يتمكن الجيش الإسرائيلي من التقاط حرف واحد منها وفهمه حتى بلغ بالإسرائيليين العجز أن قالوا هذه لغة جديدة ظهرت في العالم ولن يستطيع أحد فهمها أو فك طلاسمها غير من أتت من جانبه يقال أن أمريكا بعد هذه الحادثة قامت بعمل بحث وتقصي حتى وصلت إلى أن دست أحد عملائها بين الفيافية وقام بتعلم هذه اللهجة وأضافتها أمريكا إلى جهاز مخابراتها على الأقل كما تزعم لتتفادى الوقوع في شراك أهلها حقيقة هي لغة عجيبة ورائعة وممتعه لمن يستطيع أن يجيدها.

وجدت رسالة لأحد أبناء فيفا يوجهها لأبناء قبيلته والحقيقة أنني عجزت عن فهمها فهل أجد بينكم من يترجمها برغم أن لسانها عربي كلساننا هذا هو المقال.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

(أول شيِّن أرحبوا تراحيب المطر، ومن القاع فوق الراس، وبقد درينا إن من رحب غدى وعشى، لكن ما هني لنحن يادين لا نغدي ولا نعشي حدن، وسا قلْنا لنا بنروي لجم بشورن بنحن نداور علاهو آنجودو أو لا وهدينا قلنا نروي بو وذا وقع يقع.

أول مها: ما حدن دارن مذحن ميد نروي بو أيل روينا لكم بذا ثم الشور. ثاني ماثم: لو دريتم شجيف أستشغلنا في جواد تي الصفحة وأتعبنا دوار لم مواضيع تي قد جودناها لان ما معنا شين يعني لجواد صفحة وهدينا عزمنا نجود صفحة ونهب فيها معلوماتن ذا تيسر وقدها فتحانن لم مباب أرب الله ييسر لنا ذا ينفعنا من أهلم جبل أوذي يعرفون لمكمبيوتر ويمكن ياتي ومعهم مخبرة أكثر منا وأوذي معهم معلوماتن عن أم جبل أخير من ذي قد هبناهو هم صفحة.

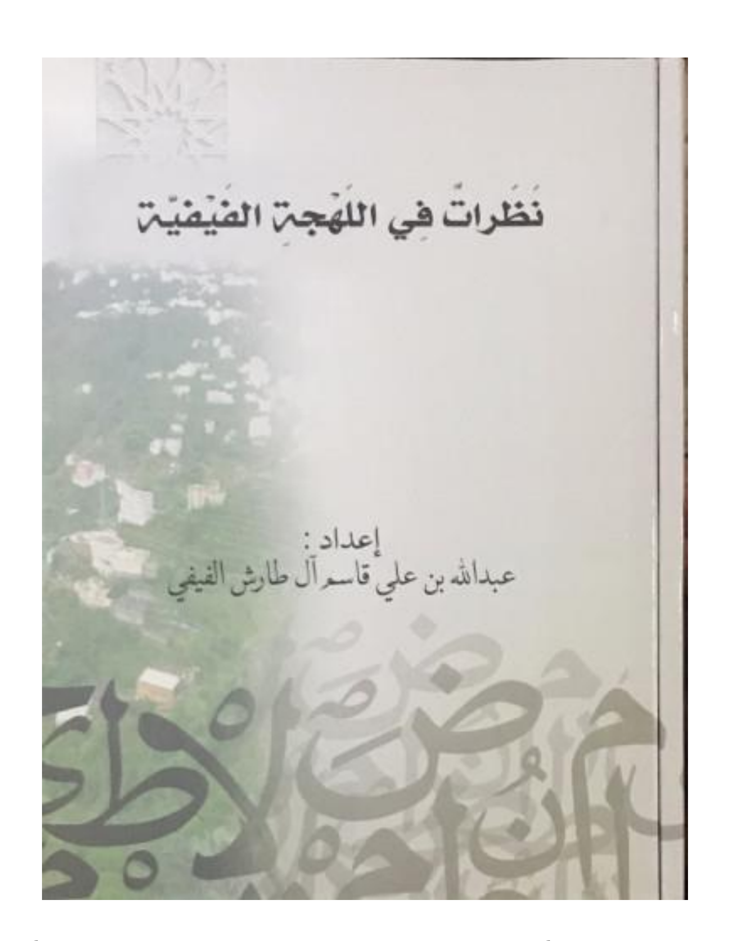
ثالث شين: قلنا مهب ما نتعاون أنحن شباب أم ديرة ونتفع بجواد أم صفحة ذا معو مخبرة يومر لنا ببريدن وأنحن مستعدين نديهو امعلومات تا يبغاها عيشان ييدا يدخل لمصفحة ويغير فيها سو أيل بدو يزيد والا ينقص مها عيبن لكن لا حدن يخرب (جاهنا نحكم) ذا لو بيتمله بابو مكاينن غير ذي المكان.

رابع ما هني: ذها يرى انو شورن وزان فالا يومر لنا ببريدو ويروي لنا منها عيشان لا يبره واحدن يخلط ويبلط لنا في ميارتنا با ما معنا غيرها وسا لنا نديهو ام طارف ويبره يخلف

لنا الباسوورد وما حيندا ندري وقحن نغرد في حباطة وحدنا با محن مدينها الا واحدن ستاقدن يعني ينفع مها لذها عله ما درى مها فيهو.

خامس واحدة: انحن حازبين لذا بدو ينفع وحازبين لذا بدو يتعلم ولا ينشد من شين ما ذحن نعرفو بنحن ميد نروي لو بو ولو مها عيشان شين لو ما الا نتعارف بس.

وآخر شين: ايل بدشجم ننتفع ونطور تي الصفحة لان بها شين يخص اهلم جبل شجلهم ولخدمة الجميع يمكن ياتي في المستقبل وقها موقعن وياتي وانحن انحن أوذا تعبنا فيهو وياتي واها باسم الجميع با منحن متوحدين بو اركنو يعلم الله لا ندور لغير مصلحة ام جبل وسمعتو).



لا يفوتكم هذا الكتاب الجميل الذي جمع كل شيء

عن لهجة فيفاء

